

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة



كتـــاب

شرح النيل وشــفاء العليل

الجـزء السادس عشر

(ثـــان)

اهداءات ١٩٩٨

وزارة التراث القومي والثقافة

سلطنة عمان

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



شرح كتاب النيل وشفاء العليل

تأليف العلامة
محمد بن يوسف اطفيش

الجزء السادس عشر

(ثان)

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م



بـــاب

حمـد الزهـد في الدنيـا . . . .

بـــاب

في الزهد والرغبة في الاسلام

(حمد الزهد في الدنيا) اى حمد الله الزهد فيها اى مدحه واثنى عليه واوجب عليه الثواب قال الله تعالى : ﴿ لا تمدّنّ عينيك الى ما متّعنا به ازواجا ﴾ (١) الآية قال ابو رافع : نزل عند رسول الله ﷺ ضيف فلم يلقَ عنده ما يصلحه فارسلني الى يهودى من بنى خيبر وقال لى : « قل له يقول لك محمد اسلف لى او بع لى دقيقا الى رجب » فاتيته فقال : لا والله الا برهن قال : فاتيته ﷺ فاخبرته فقال : « اما والله انى لأمين في اهل السماء وامين في اهل الأرض ولو باعنى او اسلفنى لأدّيته ، اذهب اليه بدرعى هذه » (٢) قال ولما خرجت نزلت هـذه الآية : ﴿ ولا تمدّن عينيك ﴾ الآية فامر مناديا ينادى : « من لم يتادّب بادب الله تقطعت

---

(١) سورة الحجر : ٨٨ .

(٢) رواه مسلم .

. . . .

نفسه حسرات ، ومن لم ير لله نعمة الا فى مطعم أو فى مشرب أو ملبس فقد قصر عمله وحضر عذابه ، ومن نظر الى ما فى يد غيره طال حزنه ولم يشف غيظه » (١) وكل آية او حديث او اثر ورد فى مدح ترك المعصية فهو من باب الزهد ، وقال الله تعالى : ﴿ يايها النبى قل لأزواجك ﴾ (٢) الآية فامره بفراقهن ان اخترن الدنيا ، وقال ﷺ : « أوحى الى كلمات فدخلن فى اذنى ووقرن فى قلبى ، من اعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن امسك فهو شر له ، ولا يلوم الله على الكفاف » (٣) وعن معاوية بن حيدرة قلت : يا رسول الله ما يكفى من الدنيا ؟ قال : « ما سد جوعتك وستر عورتك فان كان دار فذاك وان كان حمار فبخ بخ ، فلق من خبز وجرع من ماء وانت مسئول عما فوق الازار » (٤) وعن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ كل من ملك بيتا وزوجة وخادما فهو ملك ، وروى ذلك عنه ﷺ وهو فى المعنى صحيح لأنه بالزوجة والخادم مطاع بالبيت محجوب الا باذنه ، وعنه ﷺ : « والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء المسلمين الجنة قبل اغنيائهم بخمس مائة سنة ياكلون فيها ويشربون ويتنعمون والآخرون جاثون على ركبهم وليقولن لهم الجبار جل جلاله : « انتم كنتم ملوك الناس وحكامهم واهل الغنى فارونى ماذا صنعتم فيما اعطيتكم » (٥) وعنه ﷺ : « التقى مؤمنان على باب الجنة فقير وغنى كانا فى الدنيا فادخل الفقير الجنة واحتبس الغنى ما شاء الله ، ثم

(١) رواه ابو داود .
(٢) سورة الاحزاب : ٢٨ .
(٣) رواه ابو داود .
(٤) رواه ابو داود .
(٥) رواه مسلم .

To: www.al-mostafa.com

. . . .

دخلها ، فلقيه الفقير فقال له . يا اخى احتبست بعدك محتبسا فظيعاً كريهاً وما وصلت اليك حتى سال منى من العرق مالو ورده الف بعير كلها اكلت خمطاً لصدرت منه رواة » (١) وقال موسى عليه السلام : « يا رب اى عبادك اغنى » فأوحى الله اليه : « اقنعهم بما اعطيته » وقال على :

افادتنى القناعة كلّ عزّ — وهلّ عز اجلّ من القناعة
فصيّرها لنفسك راس مال — وصيّر بعدها التقوى بضاعة
تحرّز حين تغنّى عن لئيم — وتنعم فى الجنان بصبّر ساعة

وعنه ﷺ : « طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به »(٢) وقال ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس » (٣) وقيل لحكيم : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ، وقيل لحكيم : ما مالك ؟ قال : الغنى فى الظاهر والقصد فى الباطن والاياس مما فى ايدى الناس ، ويروى ان الله عز وجل قال : ﴿ يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا الموت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن ﴾ وعن وهب انه أوحى الله تعالى الى نبى من بنى اسرائيل : ان اردت ان تسكن حظيرة الفردوس فكن فى الدنيا فريداً وحيداً هيوباً وحيشاً بمنزلة الطائر الوحدانى الذى يظلّ فى الفلوات ويأكل من رءوس الأشجار ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل آوى وحده ولم يأو مع الطير استئناساً بربّه ، قال الشاعر :

(١) رواه ابن حبان والبيهقى .
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه مسلم وابو داود .

* * * * * * * * * * * * * *

كم للحوادث من صروف عجائب ونوائب موصـــــولة بنوائب
ولقد تقطّع من شبابك وانقضى مـــا ليس اعلمه اليك بآيب
تبغى من الدنيا الكثير وانمـــا يكفيك منهـا مثـل زاد الراكب

ودخل عمر رضى الله عنه على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فراى اثره فى جنبه فدمعت عيناه فقال لـه ﷺ : « ما الذى ابكاك يا ابن الخطاب ؟ » قال : « ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بشريط فقال له : « اما ترضى يا عمر ان تكون لهم الدنيا ولا تكون لهم الآخرة ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، قال : « فذاك كذلك » ثم قال ﷺ : « انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سافر فى يوم صائف فرُفعت له شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها » (١) .

قال العكبرى : وممن زهد فى الدنيا وابصر عيوبها من ابناء الملوك ابو عقال علوان بن الحسن بن الاغلب من ملوك المغرب ، وكان ذا نعمة وملك وفتوة ، فتاب الى ربه ورجع عن ذلك وفارق نظراءه ورفض المـال والاهل وهجر النساء والوطن ، وبلغ فى العبادة مبلغاً وفاق المجتهدين وعرف باجابة الدعاء ، وكان عالماً اديباً ، وصحب رجلاً يكنى « ابا هارون الاندلسى » وكان منقطعاً متبتّلاً الى الله تعالى فلم ير له كبير اجتهاد فى العلم ، فبينما ابو عقال يجتهد فى بعض الليل وابو هارون نائم اذ غلبه النوم فقال لنفسه : يا نفس ما هـذا ، عابد جليل القدر ينام الليل وانا

(١) رواه ابو داود واحمد .

. . . .

اسهر كله فلو ارحت' نفسي ، فوضع جنبه الى الارض فراى في منامه شخصاً فتلا عليه قوله تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا ﴾ (١) الآية فاستيقظ فازعاً وعلم انه المراد فايقظ ابا هارون فقال له : سالتك بالله هل اتيت كبيرة قط ؟ قال : لا يا ابن اخي ولا صغيرة عن عمد والحمد لله ، فقال ابو عقال : لهذا تنام انت ولا يصلح لمثلي الا الكدّ والاجتهاد .

قال ابو بكر الطرطوشي : مرّ بعض الملوك ببقراط الحكيم نائماً فركضه' برجله قال : قم ، فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه ، فقال له : الا تعرفني ؟ قال : لا ولكني ارى فيك طبع الدواب لانها تركض بارجلها فغضب فقال : اتقول لي هذا وانت عبدي !! فقال له بقراط : بل انت عبدُ عبدي قال : وكيف ذلك ؟ قال لان شهواتك قد ملكتك وانا ملكت الشهوات ، فقال انا الملك ابن سادات الاملاك املك كذا وكذا من البلاد وكذا وكذا من الرجال وكذا وكذا من الاموال ، قال : اراك تفتخر بما ليس من جنسك ، وانما سبيلك ان تفتخر عليّ بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونترامى في هذا النهر ونتكلم فحينئذ يتبين الفاضل والمفضول .

وعن الجاحظ انه وجد مكتوباً على حجر : يا ابن آدم لو رايت يسير ما بقي من اجلك لزهدت في طول ما ترجو من املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك ، وانما يلقاك غداً ندمك وقد زلّت بك قدمك وصرمك اهلك وحشمك وتبرا من صحبتك القريب ، وانصرف عنك الحبيب ، فلا انت في عملك زائد ولا الى اهلك عائد ، وقال بعض الحكماء :

---

(١) سورة الجاثية : ٢١ .

• • • • • • • • • • • • • •

الزاهد فى الدنيا نظره عبرة وكلامه فيها حكمة ، وسكوته فيها فكرة ، يصبر عند البلاء ، ويشكر عند الرخاء ، ويرضى بجميع القضاء .

وقال يحيى بن معاذ : الزاهد الصادق قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، ومسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكره ، والقرآن حديثه ، والزهد قرينه ، والحزن شانه ، والتقوى اراته ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته ، والجنة مبلغه ، وقيل لبعض الزهاد : ما بالك تمشى على عصا ولست بكبير ولا مريض ؟ قال : انى مسافر وانها دار بلغة والعصا من آلات السفر ، وهذا كما قيل لأبى مقرع : لم تمسك العصا دائماً ؟ فقال :

وما مسكت يدى العصى عن أهانة ولا اضطرنى ضعف اليها ولا ضرر

ولكننى فى حق نفسى حبستها لأعلمها ان المقيم على سفر

وعنه ﷺ : « اذا اراد الله بعبد خيراً زهّده فى الدنيا ورغّبه فى الآخرة ويصّره عيوب نفسه » (١) وقال ايضاً : « ازهد فى الدنيا يحبك الله وفيما فى ايدى الناس يحبك الناس » (٢) وقال ايضاً ﷺ : « من اراد ان يؤتيه الله علماً بغير تعليم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا » (٣) وقال ﷺ : « من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابو داود والبيهقى .

(٣) رواه ابو داود .

وهــو ترك الحــرام وقيــل : حبُّهــا ولذّاتهــا . . . .

المصائب » (١) وقيل : ما زهد الرجل فى الدنيا الا نطقت الحكمــة على لسانه ، وعن وهب : ان للجنة ثمانية ابواب ، فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون : وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين فى الدنيا والعاشقين للجنة ، وعن يحيى بن اكثم : اذا رايت الزاهد يستريح الى طلب الرخص فاعلم انــه قد بدا له فى الزهد (و) اعلم ان الزهد فى اللغة ترك الشىء خيراً او شراً طاعة او معصية او غير ذلك ، والزهد بضم الزاى واسكان الهاء والزهادة بمعنى واحد ، وقال الخليل : الزهادة فى الدنيا والزهد فى الدين ، والمعنى فى ذلك ضد الرغبة فى الشىء ، الا انه يقال : زهــد فيه بمعنى أعرض عنــه ، كما يقال : زهد عنه ، واما فى الشرع فالزهد كالزهادة (هو ترك الحرام) من المــال والافعال كالزنى وسائر المعاصى والاقوال المحرمة والاعتقادات المحرّمة ، فمن فعل كبيرة فليس زاهداً ، ولو ترك المــال راساً ، ويلتحق بالحرام الشبه وحب الجاه ، فمن احب الجاه او يتبع الشبه فليس زاهداً ، وقال ابراهيم بن ادهم : الزهد ثلاثة ، زهــد فرض ، وهو الزهد فى الحرام ، وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال ، وزهد سلامة وهو الزهــد فى الشبهات .

(وقيل :) الزهد شرعاً هو ترك (حبّها) اى حب الدنيا بذاتها كان يحب الحياة لا الطاعة ، بالجر بمضاف محذوف للعلم به ، وتقدم ذكره او بالرفع نيابة عنه (ولذّاتها) بجرّ لذّات عطفاً على « ها » بلا اعادة الجار او بالنصب عطفاً على محل « ها » لانها مفعول به مضاف اليه ، او بالرفع نيابة عن المضاف اى وحب لذّاتها او يعطف على حب اى وترك

---

(١) رواه ابو داود وابن حبان .

وايثارها وفرح بنيلها وحزن عن فائتها وكل شاغل عن الآخرة • •

لذاتها وان قدرنا وحب لذاتها فالتقدير ايضاً وترك حب لذّاتها (وايثارها) اى اختيار امورها على امور الآخرة (وفرح بنيلها) اى بنيل امرهـا (وحزن عن فائتها) اى عن فائت من امورها وايثار معطرف على حب ، وكذا فرح وحزن فيجرن ان جر ويرفعن ان رفع وكذا لفظ كل بعد هذا فكأنه قال : ترك حبها وترك حب لذاتها او وترك لذاتها وترك ايثارها وترك فرح بنيلها وترك حزن عن فائتها (و) ترك (كل) امر (شاغل عن) امر (الآخرة) واذا لم يترك بعضاً من ذلك فليس بزاهد ، ولو ترك الباقى ، مثل ان يترك اللذات كلها وما ذكر كله الا لذّة واحدة من الحلال فليس بزاهد •

ولقد حكى عن ابراهيم الخواص [قال] : كنت اعتقدت ان لا اكل شيئاً من الشهوات الا الرمان فاجتزت برجل به علة شديدة واذا الزنابير تقع عليه وتاخذ من لحمه فسلّمت عليه فقال : وعليك السلام يا ابراهيم وعرفنى من غير تقدم معرفة ، فقلت له : ارى لك حالا مع الله فلو دعوت الله حتى يخلّصك من هذه الزنابير ، فقال لى : وارى لك حالا مع الله يا ابراهيم ، فلو دعوت الله حتى يخلصك من شهوة الرمان فان لسع الزنابير على النفوس ايسر من لدغ الشهوات على القلوب •

وعن ابن عُيينة : الزهد ثلاثة احرف زاى وهاء ودال ، فالزاى ترك زينة الدنيا ، والهاء ترك هواهـا ، والدال ترك الدنيا باسرهـا حلالها وحرامها الا ما لا بد منه من حلالها ، واذا كان هكذا سُمّى زاهداً ، وقيل لبعض العلماء : ما الزهد ؟ قال : التقوى ، وعن بعض الحكماء : الزهد زهدان : زهد فى الدنيا وزهد فى الرياسة ، ومن زهـد فى الدنيا ولم يزهد فى الرياسة لم ينفعه زهده فى الدنيا ، وعلى زهد فى الرياسة فهو زاهد فى الدنيا وفيه نظر لبعد تسميته زاهداً اذا ترك الرياسة وانهمك فى جمع المال الحرام واتباع الشهوات او يفعل من ذلك قليلاً •

* * * * * * * * * * * * * *

وعن عمر رضى الله عنه : الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن ، وهذا تعريف الزهد او اخبار بحال الزهد ، قال الدارانى : ليس الزاهد من نفى هموم الدنيا واستراح منها انما الزاهد من زهد فيها وتعب فيها للآخرة ، وقيل لبعضهم ما راس الزهـادة ؟ قال : اخذ الاشـياء من حلها ووضعها فى حقها ، وعن بعض الحكماء : الزهد فى الرياسة اشـد من الزهـد فى الذهب والفضة لانهما قـد يبذلهما المرء فى طلب الرياسة ، وقال الدارانى : ما شغلك عن الله من اهل ومال فهو عليك مشئوم ، فالزهد عندنا يعنى عند العارفين بالله تعالى : ترك كل شىء يشغلك عن الله عز وجل . وقيل ليحيى بن اكثم : متى يكون الرجل زاهداً ؟ قال : اذا بلغ حرصه فى الدنيا كمرض المريض على طلبها .

وسئل رسول الله ﷺ عن الزهد فقال : « اما انه ليس باضاعة المـال ولا بتحريم الحلال ، ولكن ان تكون بما فى يد الله اوثق منك بما فى يدك ، وان يكون ثواب المصيبة ارجح عندك » (١) وقيل : الزهد لغة ، الاعراض عن الشىء احتقاراً له ، وشرعاً اخذ قدر الضرورة من المـال المتيقن الحل فهو اخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وقيل : ترك الدنيا عن قـدرة ، ولقد قال الطيبى : لا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه ، وقيل لابن المبارك : يا زاهد ، قال : الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، اما انا ففيم زهدت ؟ وقيل : الزهد تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوة ، وقال ابو يزيد : ما غلبنى احـد ما غلبنى شاب من اهل بلخ مر علينا حاجاً فقال : يا ابا يزيد ما حد الزهـد عندكم ، فقلت : اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا ، فقال : هكذا كلاب بلخ عندنا ، قلت : فما حد الزهـد عندكم ؟ فقال : اذا فقـدنا شكرنا

---

(١) رواه ابو داود والطبرانى وابن ماجه .

واذا وجدنا آثرنا . وقيل : الزهد النظر الى الدنيا بعين احتقار فتصغُر في عينيك ويسهل عليك الاعراض عنها ، وقيل : الزهد قصر الامل والاياس مما في ايدي الناس ، ومن ثم قال الضحاك : قيل يا رسول الله من ازهد الناس : قال : « من لم ينس القبر والبلاء وترك فضول زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ومن لم يعدّ من ايامه غداً ، وعدّ نفسه من الموتى » (١) ، وقيل الزهد ان لا تحزن على ما فات من الدنيا ولا تفرح بما اتاك منها .

واحسن حدوده كما قال ابن القيم : انه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد ، وهذا زهد العارفين ، وعلامة زهد المقربين ، وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنّة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد الا الوصول الى الله تعالى ، والقرب منه ، والحامل على الزهد اشياء منها استحضار الاخرة والحساب ، لقى رسول الله ﷺ حارثة فقال له رسول الله ﷺ : « كيف اصبحت يا حارثة ؟ » قال : اصبحت والله مؤمناً حقاً ، قال رسول الله ﷺ : « انظر ما تقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ » قال : عزفت نفسي على الدنيا فاستوى عندي حجرُها وذهبها ، وسهرت ليلي وظمأت نهاري وكأني انظر الى عرش ربي بارزاً وكأني انظر الى اهل الجنة في الجنة يتمتعون والى اهل النار في النار يعذّبون قال : « يا حارثة عرفت فالزَمْ » . قال رسول الله ﷺ : « من سرّه ان ينظر الى رجل نوّر الله قلبه بالايمان فلينظر الى هذا » (٢) .

ومنها استحضار ان لذّاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى وموجبة لطول الحبس والوقوف للحساب والسؤال عن شكر النعم ، ومنها كثرة الذل والتعب

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه ابو داود .

ولا يزول اسم زاهد عن مشتغل بمـا يحتاجه او بمـا اجبر عليه ان لم يكن حبّهـا فى قلبـــه . . . .

فى تحصيلها وسرعة تقلبها ومزاحمة الارذال عليها ، ومنها حقارتها عند الله ، وعن بعض العلماء : من اوصى بثلث ماله لأعقل الناس فانه يصرف فى الزهـاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتّرّوا بالأمل .

(ولا يزول اسم زاهد عن مشتغل بما يحتاجه) دون اسراف ودون تكاثر مثل ان يشتغل فى كسب مؤنته ومؤنة من تلزمه مؤنته ، او فى جمع ما يقضى به حقوق الله تبارك وتعالى او حقوق العباد كزكاة لزمته او حج لزمه او صداق لزمه او دَيْن ولو لم يعرف ربه فيعطيه للفقراء وكفارة فيشتغل بكسب ذلك ان لم يجد ما يقضى به او وجد ولكن ضاقت عليـه المعيشة بل يزول عنه اسم زاهد بتضييع ماله وترك حوطته بان يتركه حيث تفسده الامطار او الريح او الشمس او الدابة او غيرهـا او حيث يسرق او نحو ذلك ، ويزول عنه بترك حفظ نفسه او من يلزمه حفظه والردّ عنه ويزول عنه بترك عياله او من لزمه الانفاق عليه بلا انفاق فكيف يكون بترك ذلك زاهداً مع انه يكون بتركه غير زاهـد .

(او) لا يزول اسم زاهد عن مشتغل (بما اجبر عليه) مما يحل له فعله فى السعة او فى الضرورة (ان لم يكن حبها فى قلبه) مثل أن يجبره جبار او ابوه ولو بضرب على جمع مال من حلال او على قول : الهين اثنين ، او على افطار فى رمضان ، او يجبره على جمع المـال صاحبه او صديقه او ابوه او امه او من تشقّ عليه مخالفته حيث لا ضرب ولا قتل ، وان اجبره جبّار او غيره على مـا لا يجوز فعله ولو فى الاضطرار فترك فعله زهد وفعله رغبة كالزنى والربا والظلم ، وكذا الاجبار على ترك ما لا يترك ، ولو فى الاضطرار ، فان تركه فليس بزاهـد كترك الصلاة الواجبة ، وان

او بخدمة والد او سيد او لموصل لنفع اخروى او دفع ضره وان عن الغير وذمت الرغبة فيها كالشح بها وحمد شحيح فى . . .

لجبر على فعل مكروه فتركه زهد ولكن فعله لا يكون رغبة ، وان اجبره على ترك سنة لا تجب ففعلها زهد وتركها لا يكون رغبة مهلكة .

(**او**) لا يزول اسم زاهد عن مشتغل (**بخدمة والد**) او ام او جد او جدة (**او سيد**) او زوج او من له عليه حق بلا حب للدنيا (**او لموصل**) اللام بمعنى الباء اى او بامر موصل او للتعليل اى لا يزول عنه اسم زاهد لامر موصل (**لنفع**) اى الى نفع (**اخروى**) كخدمة مال ليتصدق به او ليحج به نفلا او ينفقه فى غزو العدو او ينفع به محتاجا (**او دفع ضره**) عطف على موصل (**وان عن الغير**) والهاء فى ضره عائدة للاخروى اى لا يزول عنه اسم زاهد باشتغاله بدفع ضر الامر الاخروى اى الامر الذى يضر فى الآخرة فعله فيدفع وقوعه او يضر فى الاخرة تركه فيدفع تركه قيل : لفظ غير فى قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ نعت للذين انعمت عليهم ، وانها اشبهت المعرفه باضافتها الى المعرفة فعوملت معاملتها ، ووصف بها المعرفة ، ومن هنا اجترا بعضهم فادخل عليها الالف واللام ، لانها لما اشبهت المعرفة باضافتها الى المعرفة جاز ان يدخلها ما يعاقب الاضافة وهو الالف واللام ، ولك ان تمنع الاستدلال وتقول : الاضافة هنا ليست للتعريف بل للتخصيص والالف واللام لا تفيد تخصيصا فلا تعاقب اضافة التخصيص مثل : سوى وحسب ، فانه يضاف للتخصيص ، ولا تدخله الالف واللام وكل ما يفعله الانسان ولا يخرج به عن الزهد فانه يامر به (**وذمت الرغبة فيها**) اى فى الدنيا (**كالشح بها**) اى كما ذم الشح بالدنيا ، والرغبة ترك الزهد فى حد ما مر فى الزهد (**وحمد شحيح فى**

دينــه وليس من الرغبة فيهــا حبّ البقــاء فيهــا لنفع أُخــروى ولا من الزهــد فى الآخرة ولا بارادة مبـاح احتيج اليـــه . . . . . .

دينـه) يقال : زيد شحيح فى دينه او بدينه أو على دينه كل حمـد لزيد ووصف له بانه محافظ على دينه لا يتركه للضيعة (وليس من الرغبة فيهــا حب البقاء فيها لنفع أخروى) كحب البقاء فيها ليزيد من الاعمال الصالحة كالصلاة والصوم والحج والصدقة والتعلم والتعليم مخلصاً فى ذلك وليطول عمره فى اداء الفرض كالصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة والامر والنهى والغزو والدعاء بنصر المسلمين على المشركين وغير ذلك أو ليؤدى التباعات ويتخلص منها .

(ولا من الزهد فى الآخرة) عطف على قوله : من الرغبة فيها أى ليس من الرغبة فيها ولا من الزهد فى الآخرة حب البقاء فيها أى فى الدنيا وانمـا أخّره رحمه الله لئلا يتوهّم متوهّم ما أن الضمير فى فيها للآخرة وأما حب البقاء فى الدنيا للمباح أو للمكروه أو للمعصية فرغبة فيها وزهد فى الآخرة ، وكذا كراهة لقاء الله لظن السوء بالله او لسوء عمله مع اصراره عليه واما مع الندم والرجاء فلا بأس (ولا) يكون الانسان راغباً فى الدنيا (باردا مباح) او اراد : ولا باشتغال بارادة اى بمقتضى ارادة مبـــاح (احتيج اليه) اى احتاج اليه ذلك الانسان ولا بالاشتغال به كأكل وشرب ولبس وركوب وتزوج وتسر من حـلال بلا اسراف ولا مباهاة فهـذا فى استعمال المـال فى الانتفاع وقوله سابقاً : عن مشتغل بمـا يحتاجه فى جمع المـال فلا يتكرر معه .

قال ابو بكر الطرطوشى فى الباب الحادى والثلاثين : الشح فى كلام العرب البخل ومنع الفضل ، وكان النبى ﷺ يدعو : « اللهم انى اعوذ بك من شح نفسى واسرافها ووسواسها » (١) وروى جابر ان النبى ﷺ قال :

---

(١) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • •

« اتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا الدماء ويستحلّوا محارمهم » (١) ، وقد فرّق بينهما مفرقون فقالوا : الشح اشد من البخل فان البخل اكثر ما يقال فى النفقة وامساكها ، قال الله تعالى : ﴿ سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ ومن يبخّل فانما يبخّل عن نفسه ﴾ (٣) وقال فى الشح : ﴿ اشحّة على الخير اولئك لم يؤمنوا ﴾ (٤) وقال : ﴿ ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ (٥) فالشح ينبىء عن الكزازة والامتناع فهو يكون فى المال وفى جميع منافع البدن ، وقال ابن عمر : ليس الشح أن يمنع الرجل ماله انما الشح أن يطمع الى ما ليس له . ولهذا قال ابن المبارك : سخاء النفس عما فى أيدى الناس افضل من سخاء النفس بالبدن . وقال رجل لابن مسعود : انى اخاف ان اكون قد هلكت ، سمعت الله تعالى يقول : ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شىء ، فقال : ليس ذلك بالشح الذى ذكره الله ولكن الشح ان تاكل مال اخيك ظلماً . ولكن ذلك البخل وليس الشح البخل ففرق بينهما كما ترى ، وقال طاووس : الشح ان يبخل المرء بما فى ايدى الناس والبخل ان يبخل المرء بما فى يديه ، وروى انس عن النبى ﷺ : « برىء من الشح من أدى الزكاة واقرى الضيف واعطى فى النائبة » (٦) وقال ابن زيد : من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه ولم يدعه الشح ان يمنع شيئاً مما أمره الله به فقد وقاه شح نفسه ، وقال ابو التياج الاسدى : رايت رجلاً فى الطواف

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٠ .

(٣) سورة محمد : ٣٨ .

(٤) سورة الاحزاب : ١٩ .

(٥) سورة الحشر : ٩ .

(٦) رواه ابو داود .

* * * * * * * * * * * * * *

يقول : اللهم قنى شح نفسى ، لا يزيد على ذلك ، فسألته عن ذلك فقال : اذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم ازن ولم اقتل ، فاذا الرجل عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنـه .

واعلم ان البخل يكون من سوء الظن بالله ان لا يخلف ولا يثيب ، وهذا يوهن التصديق بما تكفل الله به ويطرق الخلل والامتناع من جميع اوامر الله التى بين العبد والخالق وبين الخلق فى ترك معونتهم والنصح لهم ، وقال كسرى لأصحابه : أى شىء اضر بابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، فقال كسرى : الشح أضر من الفقر لأن الفقير اذا وجد شبع أبداً والشحيح لا يشبع أبداً أ هـ كلام الطرطوشى ، وكذلك حكاه الشيخ اسماعيل فى « القناطر » وقيل فى البخل والتقتير : [هو] ملكة امساك المـال حيث يجب بذله بحكم الشرع أو المروءة ، والمروءة ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات ، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال من الأقارب والأجانب والغنى والفقير ، ونحـو ذلك .

واشد البخل الامساك عن نفسـه بان لا تسمح ان ياكل أو يلبس أو يتداوى قيل : يسمى شحا ، ويقال : المروءة ست خصال : ثلاث فى السفر وثلاث فى الحضر ، ففى الحضر : تلاوة القرآن ، وعمارة مسـاجد الله ، واتخاذ الاخوان فى الله ، وفى السفر : بذل الزاد ، وحسن الخلق ، والمزاح فى غير معصية الله سبحانه وتعالى . وقال قوم : البخل منع الواجب ، فمن أدى الواجب فليس بخيلاً ، وقال آخرون : البخل استصحاب العطية ، واعترض القولان بان من يرد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز بنقصان حبة أو نصفها فلا يعد بخيلاً بالاتفاق ، وكذا لا يكون بخيلاً باستصحاب العطية دون الامساك ، قال طلحة وهو جواد نجد باموالنا ما يجد البخيل

• • • • • • • • • • • • • •

ولكن نتصبر وقال الله عز وجل : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ﴾ (١) الآية ، وقال : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون ﴾ (٢) الآية وقال ﷺ : « طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء » رواه الدارقطنى عن ابن عمر ، ويروى انه ﷺ سمع رجلاً يقول : الشحيح اعذر من الظالم فقال : « لعن الله الشحيح ولعن الظالم » وقال ﷺ « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة ولا جبار ولا منان » وروى الترمذى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » وقال ﷺ : « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه » (٣) وانما قيده بالمطاع لأن الشح ملازم للنفس فأخرج المعصى والخرج بالمتبع الهوى المعصى ، وقال ﷺ : « ان الله تعالى يبغض ثلاثة : الشيخ الزانى والبخيل المنان والمعيل المختال » (٤) اى الفقير المختال وقال ﷺ : « مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثدييهما الى تراقيهما ، فاما المنفق فلا ينفق شيئاً الا اتسعت على جلده حتى تخفى بنانه ، وأما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئاً الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها فلا تتسع » (٥) وقال ﷺ : « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق » رواه الترمذى عن ابى الدرداء وقال ﷺ فى دعائه : « اللهم انى اعوذ بك من البخل والجبن وان ارد الى ارذل العمر » وقال ﷺ : « اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش ، واياكم

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٠ .
(٢) سورة النساء : ٣٧ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه البيهقى .

. . . .

والشح فانه أهلك من كان قبلكم الشح ، امرهم بالكذب فكذبوا ، وامرهم بالظلم فظلموا ، وامرهم بالقطيعة فقطعوا » ، وقال ﷺ للانصار : « من سيّدكم ؟ » قالوا : الجد بن قيس على بخل به فقال :« وايُّ داء ادوى من البخل ؟ » قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « ان قوماً نزلوا بساحل البحر لبخلهم عن نزول الأضياف بهم فقالوا : ليبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى الأضياف ببعد النساء وتعتذر النساء ببعد الرجال ، ففعلوا وطال ذلك بهم فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء » ؛ وفى رواية « يا بنى سلمة من سيّدُكم » ؟ قالوا : سيدنا الجد بن قيس الا انه رجل فيه بخل ، فقال « أى داء أدوى من البخل ؟ » ولكن سيدكم عمْرو بن الجموح » وفى رواية قالوا : سيدنا الجد بن قيس قال : « بم سوَّدتموه ؟ » قالوا : لانه اكثرنا مالاً وانا على ذلك لنصفه بالبخل قال : « واى داء أدوى من البخل ؟ ليس ذلك بسيدكم » قالوا : فمن سيدنا يا رسول الله قال : « سيدكم بشر بن البراء » وقال : « شر ما فى الرجل شح هالع وجبنٌ خالع » رواه أبو داود عن ابى هريرة ، وقتل شهيد على عهده ﷺ فبكته باكية وقالت : واشهيداه فقال : « وما يدريك انه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه » وقال جبير : بينما نسير مع رسول الله ﷺ معه الناس مقبلة من حنيْن اذ علقته ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف فقال : « اعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » وقال عمر رضى الله عنه قسم رسول الله ﷺ قسماً فقلت : غير هؤلاء كانوا احق به منهم ، فقال : « يخيروننى بين أن يسألونى بفحش او يبخلونى ولست ببخيل » وقال ابو سعيد الخدرى : دخل على رسول الله ﷺ رجلان فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارينْ فخرجا من عنده فلقيا عمر فاثنيا وقالا معروفاً وشكرا ما صنع بهما ، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فاخبره بما قالا ، فقال ﷺ : « لكن فلاناً اعطيته ما بين عشرة الى مائة

. . . .

ولم يقل ذلك ، ان احدكم يسالنى فينطلق بمسالته متابطها وهى نار » فقال عمر : فلم تعطيهم ما هو نار ؟ فقال : « يابون الا ان يسالونى ويابى الله لى البخل » وقال ﷺ من حديث : « وخلق الله البخل ومقته وجعل له راسا راسخا فى اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر فى النار » (١) وقال من حديث : « والبخل شجرة تنبت فى النار ولا يلج النار الا بخيل »(٢) وقال ﷺ : « ان الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته » (٣) وقال ﷺ : « السخى الجهول أحب الى الله من العابد البخيل » (٤) اى سخاؤه خير من عبادة العابد البخيل ، وعن ابى هريرة عن رسول الله ﷺ : « لا يجتمع الشح مع الايمان فى قلب عبد » (٥) وقال ﷺ : « لا ينبغى للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا » (٦) وقال ﷺ : « يقول قائلكم : الشحيح اعذر من الظالم واى ظالم اظلم عند الله من الشحيح ، حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل » (٧) وروى انه كان ﷺ يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول : بحرمة البيت الا غفرت لى ذنبى فقال له : « وما ذنبك صفه لى ؟ » قال : هو اعظم من ان اصفه لك قال : « ويحك ذنبك اعظم ام الارض ؟ فقال : بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال : « ذنبك اعظم ام البحار ؟ » فقال : بل ذنبى اعظم يا رسول الله ، قال : « ذنبك

---

(١) رواه مسلم والترمذى .
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه البخارى ومسلم وابو داود .
(٦) رواه البخارى ومسلم وابو داود .
(٧) فى الاصل « السخيل » وليس بصحيح .

• • • • • • • • • • • • • •

اعظم أم السموات ؟ » قال : بل ذنبى اعظم يا رسول الله قال : « ذنبك اعظم أم الله » ؟ : قال : بل الله اعظم واعلى فقال : « ويحك ، فصف لى ذنبك » فقال : يا رسول الله انا رجل ذو ثروة من المال وان السائل لياتينى يسالنى وكانه استقبلنى بشعلة نار ، فقال له رسول الله ﷺ : « اليك عنى لا تحرقنى بنارك ، فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام وصليت الف عام وبكيت حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وانت لئيم لكبك الله فى النار ، ويحك اما علمت أن البخل كفر ، والكفر فى النار ، ويحك أما علمت ان الله تعالى يقول : ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ (١) وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال : « تزينى ، فتزينت » ثم قال لها : « اظهرى انهارك » فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فقجر منها فى الجنان ، واظهرت انهار الخمر وانهار اللبن وانهار العسل فقال لها : « اظهرى سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحورك » فاظهرت فنظر اليها فقال : « تكلمى » فقالت : طوبى لمن دخلنى فقال الله عز وجل : « وعزتى لا اسكنك بخيلاً » وقالت اخت عمر بن عبد العزيز [لبخيل](٢): لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته ، وعن حكيم : البخل جلباب المسكنة ، وعن بعض البلغاء : البخيل حارس نعمته وخازن ورثته ، قال شاعر :

اذا كنت جماعاً لمالك ممسكا ... فانت عليه خازنُ وامينُ
تؤديه مذموماً الى غير حامد ... فياكله عفواً وانت دفينُ

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم وابو داود .
(٣) فى الأصل « اخبخيل » وليس بصحيح .

. . . .

وعن بعض الادباء : البخيل ليس له خليل ، قال ابن المنذر : يقال اذا اراد الله بقوم شراً امّر اشرارهم وجعل ارزاقهم بايدى بخلائهم ، قال الشعبى لا ادرى ايهما ابعد غوراً فى جهنم ؛ البخيل ام الكذوب ، وقال على فى بعض خطبه : سياتى على الناس زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما فى يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ (١) قيل ورد على انو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندى : تكلم فقال : خير الناس من الفى عند السؤال سخياً وعند الغضب وقوراً ، وفى القول متانيا وفى الرفعة متواضعاً وعلى كل ذى رحم مشفقا ، وقام الرومى فقال : من كان بخيلاً ورث عدوه ماله ، ومن قلّ شكره لم ينل النجح ، واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ، ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه ، وقال شاعر يخاطب بخيلاً يحب الثناء :

اراك تؤمّل حسن الثنـاء　　ولم يرزق الله ذاك البخيـلا

وكيف يسـود اخو بطنة　　يمنّ كثيراً ويعطى قليـلاً

وعن الضحاك فى قوله تعالى : ﴿ ان جعلنا فى اعناقهم اغلالا ﴾ (٢) اى بخلاً امسك الله ايديهم عن الانفاق فى سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح الا وقد وُكل به ملكان يقولان : اللهم عجـل للممسك تلفا وللمنفق خلفاً ، وعن ابى الدرداء : ما من يوم غربت شمسه الا وملكان يناديان اللهم عجل للممسك تلفا وللمنفق خلفا ، وقال ﷺ :

---

(١) سورة البقرة : ٢٣٧ .

(٢) سورة يس : ٨ .

. . . .

« البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار » (١) ويلغ ، رسول الله ﷺ عن الزبير امساك فجذب عمامته اليه فقال : « يا زبير انا رسول الله اليك والى غيرك ، يقول : انفق انفق عليك ولاتوك فاوكى عليك » اى لا تربط على مالك امساكاً له ، قال الأصمعى : سمعت اعرابياً يصف رجلاً ويقول : لقد صغر فى عينى لعظم الدنيا فى عينه ، فكانما يرى السائل اذا رآه ملك الموت اذا اتاه ، قيل : كان عبد الله بن الزبير من البخلاء وتكفيه اكلة فى ايام ويقول انما بطنى شبر فى شبر فما عسى أن يكفيه ؟ فقال فيه ابو وجرة مولى الزبير :

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد	ابقيت خيراً كثيراً للمساكين
فان تصبك من الأيام جائحة	لم نبك منك على دنيا ولا دين
ما زلت فى سورة الاعراف تدرسها	حتى فؤادى كمثل الخز فى اللين
انى امرؤ كنت مولاه فضيعنى	يرجو الفلاح لعبد حق مغبون

قال ابو حنيفة : لا اعدل بخيلاً لانه يحمله البخل على الاستقصاء فيأخذ اكثر من حقه خيفة ان يغبن ، فمن كان هكذا لا يكون مامون الأمانة ، وقال ﷺ : « ما استقصى كريم قط » (٢) وعن الجاحظ : ما بقى من اللذات الا ثلاث ذم البلاء واكل القديد وحك الجرب ، وقال بشير بن الحرث : ان البخيل لا غيبة له ، ومدحوا امراة عند رسول الله ﷺ فقالوا : صوامة قوامة الا ان فيها بخلاً قال : « فما خيرها اذاً ؟ » وقال بشير : النظر الى البخيل يقسى القلب ولقاء البخيل كرب على قلب المؤمن ، وقال يحيى

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذى .

. . . .

ابن معاذ : يأبى القلب للأسخياء الا حبا ولو كانوا فجّاراً ، ويأبى للبخلاء الا بغضاً ولو كانوا ابراراً ، وقال ابن المعتز : ابخل الناس بماله اجْوَدُهم بعرضه ، وحكى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لقى ابليس فى صورته فقال : « يا ابليس اخبرنى باحب الناس اليك وابغضهم عندك » فقال : احب الناس الى المؤمن البخيل وابغضهم الفاسق السخى ، قال : ولم ؟ قال : لان البخيل قد كفانى بخله ، والفاسق السخى اخاف ان يطلع الله عليه فى سخائه اى يرحمه بسخائه ويتوب عليه فيقبل ، ثم ولىّ وهو يقول : لولا انك يحيى ما اخبرتك .

ويقال : ضيف البخيل امن من التخمة ، وقيل لامراة : ما الجرح الذى لا يندمل ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده ، قيل لها : فما الذل قالت : وقوف الشريف الى باب الدنىء ثم لا يؤذن له قيل لها : فما الشرف ؟ قالت اتخاذ المنن فى رقاب الرجال .

واعلم ان البخل ذريعة الى كل مذمة وقد يحدث للمرء بسببه اربعة اخلاق ناهيك بها ذماً : الحرص ، والشره ، وسوء الظن ، ومنع الحقوق ؛ فالحرص شدة الكدح والاسراف فى الطلب ، والشره استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة ، وعنه ﷺ : « من لا يجديه من العيش ما يكفيه لم يجد ما عاش ما يغنيه » (١) قال حكيم : الشره من عزائم اللوم ، واما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها اهل فان كان بالخالق كان شكاً يؤل الى الضلال ، وان كان بالمخلوق كان استخانة يصير بها خوانا مختانا لان ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه فى نفسه فان وجد فيها خيراً ظنه بغيره ، وان راى سوءاً اعتقده فى الناس .

---

(١) رواه الدارقطنى .

• •

وفى المثل : كل اناء ينضح بمـا فيه ، ومعنى قولهم من الحزم ظن السوء بالناس ترك الطمأنينة والاسترسال اليهم ، وأما منع الحقوق فان نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها ومحبوب البخيل المـال فان سبب البخل حب المـال ، ولحبه سببان ، الأول حب الشهوات التى لا توصل الا بالمـال مع طول الأمل ، فان قصر امله وكان له أولاد قاموا فى قلبه مقام طول الأمل ، وجاء فى الحديث : « الولد مبخلة مجبنة مجهلة » فان انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بضمان الرب عز وجل قوى البخل لا محالة ، الثانى : ان يحب عين المـال ويعشقه ويتلذذ بكنزه وقد لا تدعه نفسه لذلك ان يداوى مرضه فضلاً عن أن يزكى ولو كان يترك بعده الوفا ولو كان شيخاً كبيراً لا اولاد له ، ويعلم ان ماله بعـده يضيع وتأخذه اعداؤه ، فعلاج حب الشـهوات بالقناعة باليسـير والصبر ، وعـلاج الأمل ذكـر الموت ، وعلاج الالتفات الى الولد أن يعلم ان المتكفل بهم الله ، وكم ولد غنى وأبوه فقير ، وانه يعذب به فى الآخرة وينتفع به ولده أو يستعين به على معصية ، وان يتفكر فى شؤم البخل كقصة ثعلبة وقد ذكرتها فى « هميان الزاد الى دار المعاد » عند قوله تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله ﴾ (١) وان يتفكر فى المقصود بالمـال فانه التعفف به وادخاره للآخرة ، وفى نفرة الطبع عن البخلاء ويتكلف العطاء ولو يسيراً بتدريج ، ويتكلف مفارقة المـال مـع الجهد حتى يميت من نفسه صفة البخل كما ان العاشق يتكلف زوال العشق بالسفر عن المعشوق قال وهب : من تخلّق بخلق اربعين صباحاً جعل الله ذلك طبيعته ، ومن عرف آفة المـال لم يأخذ الا قدر حاجته ولا يتعب نفسـه بكسب الزائد أو امساكه فيكون كمن على نهر لا يبخل بالمـاء لقناعته بقدر

---

(١) سورة التوبة : ٧٥ .

. . . .

الحاجة ، وحمل الى ملك من الملوك قدح من فيروزج مرصّع بالجواهر لم ير له نظير ففرح به فرحاً شديداً . فقال لبعض الحكماء عنده : كيف ترى هذا ؟ قال : اراه مصيبة وفقراً ، قال : كيف ؟ قال : ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها ، وان سرق صرت فقيراً اليه ولم تجد مثله ، وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوماً فعظمت مصيبة الملك فيه ، قال : صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا .

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ : « صلاح اول هذه الأمة بالزهادة واليقين وهلاك اخرها بالبخل والأمل » وروى الطبراني عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ قال : « ان الشيطان يقول : « ان الشيطان يقول : لن يسلم منى صاحب المال من احدى ثلاث اغدو عليه بهن واروح : اخذه من غير حله ، وانفاقه في غير حقه ، واحببه اليه فيمنعه من حقه » وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « ان الشيطان يقول : لن يسلم منى صاحب المال من احدى ثلاث اغدو عليه بهن واروح : اخذه من غير حلة ، وانفاقه في غير حقه ، واحببه اليه فيمنعه من حقه » وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل » اى لا الغريب يقاسى الذل والمسكنة ويعلق قلبه بالرجوع الى وطنه اى : فلا يتعلق قلبك بالدنيا الا مثل ما يتعلق قلب الغريب بما ليس له في غربته ، ولا تركن الى الدنيا بالبقاء واتخاذها موطناً واعرض عنها ولا تاخذ منها الا مقدار الضرورة المعينة على الآخرة كما ان عابر السبيل لا يتخذ في مسيره في الفلاة داراً ولا حماماً ولا جناناً ولا ينازع احداً على موضع من الفلاة لعلمه بقله اقامته في السفر ولو حط رحله ، وما يوجد في الدنيا انما هو امتحان قال الله تعالى : ﴿ انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً ﴾ (١) فهو كعبد ارسله سيده الى جماعة في غير

(١) سورة الكهف : ٧ .

• • • • • • • • • • • • • •

بلده شانه ان يبادرها ويرجع ، ودخل رجل على ابى ذر رضى الله عنه فقال له : يا ابا ذر اين متاعكم ؟ فقال : ان لنا بيتاً نوجه اليه متاعنا ، قال : لابد من متاع ما دمت هاهنا ، قال : نعلم ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

ومما يعين على ترك الدنيا قصر الامل فيها ولذلك قيل : قصر الامل فى الدنيا اصل كل خير كما ان تطويله اصل كل شر ، من لا يقدر ان يعيش الى غد لا يسعى لمئونة غد ولا يهتم بها فيصير حراً من رق الحرص والطمع والذل وخدمة ابناء الدنيا ، ويكفيه اقل شىء ، ومن قدر انه يعيش عشرين سنة مثلا فانه يصير عبداً لهذه الاوصاف الذميمة ولا يكفيه شىء من الدنيا ولا يملأ بطنه او عينه الا التراب ، قال الشاعر :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى　　فانك لا تدرى اتصبح ام تمسى

فليس الغنى من كثرة المال انما　　يكون الغنى والفقر من قبل النفس

وذكر ابو بكر الطرطوشى والعكبرى انه كان فى بلاد الروم مما يلى الاندلس رجل نصرانى وقد بلغ من التخلى عن الدنيا واعتزال الخلق ولزوم الجبال والسياحة فى الارض الغاية القصوى ، فورد على المستعين ابن هود فاكرمه ثم اخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن امواله وما حوته من الحمراء والبيضاء واحجار اليواقيت وامثالها والجوارى والحشم والسلاح ، فاقام فى ذلك اياما ولما انقضى قال له : كيف رايت ملكى ؟ قال : رايت ملكاً عظيماً ولكن يعوزك فيه خصلة ان انت قدرت عليها فقد انتظم ملكك ، وان لم تقدر عليها فهذا شبه لا شىء ، قال : وما تلك

الخصلة ؟ قال : تعمد فتصنع غطاء عظيماً حصيناً قوياً يكون مساحته قدر البلاد ثم ركّبه عليها حتى لا يجد ملك الموت اليك مدخلاً ، فقال المستعين : سبحان الله او يقدر البشر على هـذا ؟ فقال العلج : اتفخر بما تتركه غداً ؟ ومثل من يفخر بما يفنى كمن يفخر بما يرى في المنام والله اعلم ٠

قال ابن عمر : اخذ رسول الله ﷺ بمنكبي" فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » [رواه البخاري] وزاد الترمذي : « وعـد نفسك من اهل القبور » ، ويروى بافراد منكبي وتثنيته بأن تشدد اليـاء والمنكب مجمع العضد والكتف وفيه مس العالم او الواعظ بعض اعضاء المتعلم أو الموعوظ عند التعليم أو الوعظ كما قال ابن مسعود : علمني رسول الله ﷺ التشهد كفي بين كفيه وحكمة ذلك ما فيه من التانيس والتنبيه والتذكير اذ محال عادة ان ينسى من فعل معه ذلك ما يقال له ، وهذا لا يفعل غالباً الا مع من يميل اليه الفاعل ففيه دليل على محبته ﷺ ، وكان ابن عمر يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المساء اى : لا تنتظر احدهما بأعمال الآخر لأن لكل منهما عملاً" يخصه اذا فات لم يدرك كماله ولو شرع قضاؤه او المعنى اجعل الموت نصب عينيك لا تطمع [في] الحياة الى المساء او الصباح وذلك يحض على مبادرة العمل قبل الفوت فانه من طال عمله ساء امله فقصر الأمل سبب الزهد وقولهم انه هو تشبيه بليغ أي : بينهما تلازم صيّرهما كواحد ومن طال أمله كسل عن العمل وقسا قلبه ، قال الله تعالى : ﴿ فطال عليهم الأمـد فقست قلوبهم ﴾ (١) وقال : ﴿ ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ (٢)

(١) سورة الحـديد : ١٦ ٠

(٢) سورة الحجر : ٣ ٠

. . . .

وعن ابن مسعود : خط رسول الله خطا مربّعا وخط خطّا في الوسط وخط خطا خارجا وخطّ خطوطا صغارا هكذا (١) [—] فقال : هـذا الذي في الوسط الانسان وهذا اجله' الذي يحيط به وذلك امله خارج الخط قد حال الاجل بينه وبين امله ، وهذه الخطوط الصغار الأعراض ان أخطاه هـذا نهشه هذا ، وان اخطأته كلها اصابه الهرم ، وعن انس خط النبي ﷺ خطوطا فقال : هـذا الانسان وهذا الأمل وهذا الأجل فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الأقرب وهو أجله المحيط به ، وحقيق بمن غيّب عنه أجله ان يتوقعه ، ويخشى هجومه في غفلته ، وان يجاهد امله ، قـال ﷺ : « لا يزال قلب الكبير شابا في حب الدنيا وطول الأمل ». وعن ابن عمر اتى رسول الله ﷺ وانا أصلح خصّا فقال : ما هـذا ؟ قلت : خص لنا نصلحه ، فقال : « ما ارى الأمر الا اقرب من ذلك » وعن ابن عمر موقوفا ومرفوعا متصلاّ بقوله : « فلا تنتظر المساء وخـذ من صحّتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » اى اغتنم العمل الصالح قبل أن يمتعك عنه المرض وينفعك بعد موتك فانه لا عمل بعد الموت ، وذلك مناسب لـما بعده فان الغريب اذا امسى في بلدة لا ينتظر الصباح ، واذا اصبح لا ينتظر المساء ، وعنـه ﷺ : « اغتنم خمسا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقـرك ، وفراغك قبـل شغلك ، وحياتك قبل موتك » (٢) وعنـه ﷺ : « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليـل المظلم » (٣) وصـح

---

(١) الشكل على هذه الصورة في النسخة التي بيدنا ويظهر ان فيها سقطا من الناسخ لان المصنف ذكر ان خارج الشكل خطوطا صغارا وهي مثل للامراض التي تعتور الانسان وتجذبه الى الدنيا وتبعده من العمل للاخرة ، وقد اقتصرنا على ما في النسخة التي بيدنا لظهور المعنى .

(٢) رواه مسلم والدارقطني .

(٣) رواه مسلم .

ونسيان الآخرة وهـو ترك مـا يوصـل لخيرهـا كفر . . . . .

فى الحديث « ثلاث اذا خرجن لم ينفع نفساً ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربهـا ، والدجـّال ، ودابة الأرض » (١) وظاهر الحديث انه لم يجزم باحداهن انها تخرج [اولاً] وانه مهما خرج اولاً منهن لم تقبل التوبة طلوع الشمس أو الدابة او الدجال وعنه ﷺ : « ما من ميت يموت الا ندم » قالوا : وما ندامته ؟ قال : « ان كان محسناً أن لا يكون زاد ، وان كان مسيئاً ان لا يكون استعتب » (٢) اى تاب واصلح شـأنه .

(ونسيان الآخرة) مبتدأ ومضاف اليه والخبر قوله : كفر : (وهـو ترك ما يوصل) فاعله (لخيرها) اى الى خيرها (كفر) اى نفاق او شرك بحسبه فنسيان التوحيد اى تركه شرك ونسيان ما دونه من الفروض نفاق اذا تركه عمداً حتى خرج وقته ، وقيل : حتى لا يدركه والمراد بالنسيان هنا الترك عمداً ولكن الجهل فيما يدرك بالعلم عمد الا ما ذكروا من فروض لا يكفر بتركها أو محرم لا يكفر بفعله وقد مر ذلك فى محاله فتركه او فعله غير كفر عندهم وليس من النسيان الذى يكفر به عندهم فترك الوتر على القول بفرضه وترك الاستئذان ورد السلام والجماع فى الحيض معاص لا يحكم عندهم بالكفر على فاعلها فلا يطلق على قولهم : انها نسيان الآخرة ، لأن نسيان الآخرة عندهم يطلق حيث الكفر والسبب فى نسيان الآخرة فى الغالب طول الأمل فى الدنيا ولـمـا كان الأمل من اقوى الأسباب فى عمارة الدنيا كان فى الآخرة من اعظم اسباب غفلتها وخرابها وقلة الاعتداد بها لأن طول

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الترمذى وابو داود .

. . . .

الأمل هو العائق عن كل خير والجالب لكل شر ، وانه الداء العضال الذى يوقع الخلق فى انواع الفتن والبلايا ، ويورث أربعة اشياء :

الأول : ترك الطاعة والكسل فيها لانه يقول : سوف افعل والأيام بين يدى ولا يفوتنى ذلك ، ولذا قال داود الطائى : من خاف الوعيد قرب اليه البعيد ومن طال عمره ساء عمله .

الثانى : ترك التوبة وتسويفها يقول : سوف اتوب والأيام فى سعة وانا شاب وهذا ونحوه مما يحرّك الى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها واقل ما فى الباب أن يشغل نفسه ويضيع وقته باهتمامه باشياء لعله لا يدركها .

الثالث : قسوة فى القلب قال الله تعالى : ﴿ فطال عليكم الأمد فقست قلوبهم ﴾ (١) . لأن القلب انما يصفو ويرق بذكر الموت والقبر والجنة والنار ، فاذا طال امله كان ذكره وفكره الدنيا واسبابها .

الرابع : نسيان الآخرة كما ورد فى الحديث : « ان طول الأمل ينسى الاخرة » والعلاج أن يحضر فى قلبه ذكر الموت والقبر وخسّة الدنيا فى جنب شرف الآخرة وجلالها ويتفكر فى اخوانه واقرانه الذين غافلهم الموت فى وقت لم يحتسبوه ، ويقول هل حالى مثل حالهم ؟ ويتذكر فى مثل قول عيسى عليه السلام : الدنيا ثلاثة ايام ، امس" ماض ما بيدك منه شئ" ، وغد" لا تدرى اتدركه ، ويوم انت فيه فاغتنمه . وليوبّخ نفسه وليقل لها : احذرى يا نفس الغرور ولا تهتمى بالرزق المقدور فلعلك لا تبقين حتى تحتاجى اليه فيضيع وقتك والهم فضل فاذا واظب على تذكر ذلك قصر

---

(١) سورة الحديد : ١٦ .

امله باذن الله تعالى ، فتبادر نفسه الطاعة وتعجل الى التوبة وتزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وتصفو وتخشى الله وتخافه ، ويقوى الرجاء وتستعد ، وحسبك في ذم الكسل والتسويف قوله تعالى : ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى ﴾ (١) واستعاذة النبي ﷺ من الكسالة والبطالة روتها عائشة وانس ، وكون مقتضاه هلاك النفس والبدن ؛ وكونه تشبيهاً بالجماد وابطالاً للحكمة والمعالجة مجالسة ارباب الجد والسعى ومجانبة الكسالى والبطالين ، والضعف يعالج بالتامل في ان الحياء من الله تعالى احق وعذابه اشد ومجالسة الاقوياء وذوى الصلابة في الدين ، ويعالج المساوفة بقوله تعالى : ﴿ سارعوا الى مغفرة من ربكم ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ يسارعون في الخيرات ﴾ (٣) ؛ وعن جابر بن عبد الله : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « يا ايها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا ، وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثّروا الصدقات في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » (٤) وعن ابى هريرة عن رسول الله ﷺ : « هل ينظرون الا غنى مطغياً او فقراً منسياً او مرضاً مفسداً او هرماً مفنداً او موتاً مجهزاً او الدجّال ، والدجال شر غائب ينتظر ، أو الساعة والساعة ادهى وامر » (٥) (**كعمل موجب لشرها**) اى لشرّ الآخرة باضافة عمل لموجب اى كعمل امر موجب ، أو بالتنوين اى كالعمل الموجب لشرها ، والاول انسب بقوله : ترك ما يوصل ، يعنى

---

(١) سورة النجم : ٣٩ .
(٢) سورة آل عمران : ١٣٣ .
(٣) سورة الانبياء : ٩٠ .
(٤) رواه الترمذى .
(٥) رواه الدارقطنى .

وهو امـا نسيان جهل فلا يخطر على بال ولا عـذر فيـه . . . .

ان نسيان الآخرة كفر وانه هو ترك ما يوصل لخير الآخرة كما ان عمل موجب لشرها نسيان لها وانه كفر ، فالتشبيه عائد الى الكفر ، والى كون ذلك من نسيان الآخرة ، فلو قدم قوله : كعمل موجب لشرها على قوله : كفر بالكاف ، او قدمه وجعل « او » في مكان الكاف لكان اولى على ان « او » التنويعية جائزة في التعريف ، واذا عرفت ان نسيان الآخرة هو ترك ما يوصل لخيرها او عمل ما يوجب شرها ، عرفت ان نسيانها يكون بالقلب ويكون بالجارحة ، والعمل الموجب لشرها وهو عمل الكبيرة .

(وهو) اى مطلق النسيان بمعنى الاعراض عن الشيء فالضمير عائد الى النسيان في قوله : ونسيان الآخرة لا بقيد الآخرة فهو من انواع الاستخدام ، وذلك لان القسم الثالث من اقسام النسيان لا اثم فيه فضلاً عن الكفر ، ونسيان الآخرة كفر (اما نسيان جهل فلا يخطر على بال) الضمير في يخطر عائد الى المجهول المعلوم من لفظ الجهل ، او المنسى المعلوم من لفظ نسيان ، او عائد على نسيان لا مع بقائه على معنى المصـدر بل على معنى مفعول فيكون الاستخدام ايضاً اذ ردّ الضمير الى لفظ هو بمعناه المصدرى واراد به في الضمير معنى مفعول ، (ولا عذر فيه) بل يحكم فيه بالكفر في الكبيرة وبالمعصية في الصغيرة وفيما لا يدرى اصغيرة او كبيرة ؟ اذا قلنا : ان الصغيرة قد تدرى وذلك ان الجهل عندنا معشر المغاربة عمـد ، وكذا عند بعض المشارقة ، وذلك في الكفر والمعصية وما يلزم من تحريم المرأة اذا جهل حرمة جماعها في الحيض مثلاً على القول بان جماعها فيه محرم لهـا ونحو ذلك ، وبعض المشارقة لا يحكم عليه بحكم المعتمد كله .

وهذا فى كل ما لا يسع جهله او قامت به الحجة من الديانات او ترك كما مر ، او ذهل وهو ما لم يخطر بالبال ، وقد يخطر ، وان لم يسأل عنه ولا اثم فيه ، . . . .

(وهذا) اى : هذا الذى لا عذر فيه (فى كل ما لا يسع) من اول او عند وروده (جهله) جهل تحريمه او جهل فرضه كجهل تحريم الربا او جهل تحريم بعض انواعه اذا فعله او احلّه او صوب عليه او خطأ على تخطئته ؛ وكجهل فرض الصلاة او بعضها او ولاية الجملة او ولاية الاشخاص ان حضرت (او قامت به الحجة من الديانات) ؛ بيان لما باعتبار وصلها او وصفها بقوله : لا يسع جهله ، وقوله : قامت به الحجة ، والمراد ان من الديانات ما لا يسع جهله اصلاً بلا تاخير ما كالنطق بكلمة الشهادة واعتقادها وولاية الجملة وبراءة الجملة او ما لا يسع جهله اذا جاء وقته ويسع قبل وقته كصلاة الظهر لمن بلغ فى الضحى ، وصيام رمضان لمن بلغ فى شعبان او قبله ، ولا يكفر بالجهل الا حين يكفر بالترك او بفعل المحرم فلا يكفر بجهل حرمة الربا ونحوه من المحرمات حتى يفعله او يحله او يصوّب فاعله لفعله او يخطىء مخطئه لتخطئته ، وهذا كله داخل فى قوله : ما لا يسع جهله ، وان من الديانات ما يسع حتى تقوم به الحجة كمعرفة نبى غير محمد ﷺ قيل : وغير آدم ، ومعرفة كتاب غير القرآن وصفة من صفات الله ، وولى من أولياء الله تعالى ، وعدو من اعدائه وكل ذلك داخل فى قوله : او قامت به الحجة واشار الى القسم الثانى من اقسام النسيان بقوله : (او) نسيان (ترك كما مر) بقوله : ونسيان الآخرة وهو ترك ما يوصل لخيرها الخ . واشار الى القسم الثالث بقوله : (او) نسيان (ذهَل) اى غفلة بفتح الذال واسكان الهاء (وهو ما لم يخطر بالبال وقد يخطر) اى نسيان ما لم يخطر وقد يخطر اى الغفلة عن الشىء فلا يحضر تارة ويحضر اخرى (وان لم يسأل عنه ؛ ولا اثم فيه) وذلك بان يكون فى القوة الحافظة مثل ان يكون قلبك فى عمل فرض او مسنون او مباح او معصية او مكروه

To: www.al-mostafa.com

وشر النسيان نسيان الله عز وجـل والاغفال عن الحظوظ الأخروية .

يتحرك بذلك وليس فيه التكلم بالتوحيد أو بالصلاة أو بتحريم الزنى فتارة يكون فيه ذلك بلا سؤال وتارة بالسؤال ، مثل ان يقال : أهذا توحيد ؟ أو هل وجب كذا ؟ واذا كان بلا سؤال فلا بد فيه من مسبب مذكر له مثل ان ترى مشركاً فتذكر به التوحيد أو تسمع شركاً او نحـو ذلك ، والقسم الأول من النسيان : زوال الشيء عن الحافظة بعد كونه فيها أو عدم وجوده فيهـا قط ، والثالث بمعنى الذهـول والغفلة ان ذكر تذكر والثانى ترك الشيء عمـداً .

(وشر النسيان نسيان الله عز وجل) هو ان لا يستحضر عظمته أو ثوابه أو عقابه فيلزم على ذلك أن يغفل عن الطاعة الموجبة للحظوظ ، وأن استحضر ذلك اداه الى تحصيل الحظوظ ، (والاغفال) هو موافق للثلاثى يقال : غفل عنه واغفله بمعنى غفل عنه ، وقيل : اغفله وصل غفلته اليـه (عن الحظوظ الأخروية) قال الشيخ احمد الشماخى فى شرح العقيدة : واما النسيان فشدد فيه اصحابنا لقوة الوعيد قال الله تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ (١) ، وقال : ﴿ كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليـوم تنسى ﴾ (٢) ﴿ فلما نسوا ما ذكّروا به ﴾ .(٣) ﴿ فنسوا حظاً مما ذكّروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ (٤) وغير ذلك وقوله ﷺ : « نظرت فى ذنوب امتى فلم ار ذنباً اعظم من ناسى القرآن » (٥) وشرك

---

(١) سورة التوبة : ٦٧ .

(٢) سورة طـه : ١٢٦ .

(٣) سورة الأنعـام : ٤٤ .

(٤) سورة المـائدة : ١٣ .

(٥) رواه ابو داود .

. . . .

اصحابنا من نسى نبيًا او ملكا او رسولاً أو مفروضة منصوصة او قضية من كتاب الله مخصوصة ، وكذلك جميع ما ذكرنا مما لا يسع جهله ، وشددوا فيمن نسى وليا او تباعة من الأموال والانفس ولم يعذروه وقالوا : رجع عن علمه ، وقال الشيخ مصالة : ليس علينا ان نكون بررة لا ننسى . وتبعه الشيخ ابو يعقوب لقوله تعالى : ﴿ لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ﴾ (١) وقال ابو يعقوب : الامام العاشر مصالة رضى الله عنه قال : ليس لله علينا ان نكون حفظة لا ننسى ، اعلم ان النسيان للانسان امر غالب ، وربما يكون عن اسباب فيؤاخذ بها ، ولم ترد فيه شدة الا في ناسى القرآن فانه روى عن رسول الله ﷺ انه قال : « نظرت في ذنوب امتى ولم أر ذنباً اعظم من ناسى القرآن » وقال ايضاً : « من حفظ القرآن ثم نسيه لقى الله يوم القيامة اجذم » وقال الله عزّ وجل : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ (٢) وقال : ﴿ اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (٣) وقال : ﴿ نسوا الله فانساهم انفسهم ﴾ (٤) ا هـ ، فقيل ذلك في ناسيه حتى لا يفرزه من الشعر .

قلت : او لا يفرزه من سائر الكلام ؛ وقيل ذلك في تارك العدل به فان لم يترك العمل به فلا ضير عليه ولو نسيه لفظاً فليس بناسيه معنى ، وان ترك العمل به فهو ناسيه وهالك ولو حفظه سرداً وتفسيراً ، قال : اعلم ان هذا الوعيد انما يتوجه الى من نسى الله عز وجل مما ينسى ، كما ان الم الضرب لا ينسى والله معك اينما توجهت فارم بصرك حيث شئت تجد صنعه لك ناهياً او آمراً ، ومن علم اثر السبع فلن يستطيع ان ينساه ما دام معه اثره ، وقد علم باسه ، وقد عذر الله ناسى الصلاة ، قال رسول الله

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(٢) تقدم ذكرها .
(٣) تقدم ذكرها .
(٤) تقدم ذكرها .

* * * * * * * * * * * * * *

ﷺ : « من نام عن صلاة او نسيها فليصلّها اذا ذكرها فذلك وقتها » (١) فعذره عليه الصلاة والسلام ولو نسيها الى الحشر لما كان عليه بأس ، وقد صلى عليه الصلاة والسلام صلاة العصر باصحابه فقام من اثنتين فقال له ذو اليدين : اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله ؟ فقال له عليه السلام : « كل ذلك لم يكن ، ولكن انسى لاسنّ لكم » فقال لأصحابه : « أصدق ذو اليدين ؟ » قالوا : نعم ، فرجع فاتم بهم اربعا ، ولو لم يذكره احد اصحابه لوسعه الى الحشر ولا ضير ا هـ .

ومعنى قام من اثنتين : انه خرج عن الصلاة من ركعتين ، وانما تكلم وبنى قبل ان يحرم الكلام في الصلاة ، قال : فشددت المشايخ في هذه المسالة غاية التشديد وقالت : ان من قامت عليه الحجة بفريضة من الفرائض من دين الله أو آية من كتاب الله عز وجل او نبى من الانبياء والرسل وملك من الملائكة والمنصوص من بنى آدم اى او من الجن في خيرٍ او شر او ولى من اوليائه اى اولياء الناس او عدو او تباعة من التباعات من الأموال والأنفس انما لا يعذر في شيء من هذا كله وحكموا بالشرك فيمن نسى ملكا او نبيا او رسولاً او فريضة منصوصة او قضية من كتاب الله عز وجل مخصوصة ، وحكموا في الشاك انه مشرك ، وفي الشاك في الشاك الى يوم القيامة .

واعلم ان هذه المسالة قد شددوا فيها وارجو عند الله فيها السعة والرحمة ، قال الله تعالى حكاية عن المؤمنين : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ﴾ فذكر ذلك في معرض الاجابة والامتنان فنحن على عموم هذه الآية حتى ياتى ما يخصها ، وقد ذهب اهل التفسير الذين فوض الله تعالى اليهم بيان كلامه وخطابه للخليقة بان قالوا : ان نسينا تركنا او اخطانا تعمدنا فجاوزوا النسيان الى العمد والترك والخطا الى الترك

(١) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • •

والعمد ، ومذهب هؤلاء المفسرين مذهب صالح لائق برحمة رب العالمين في عباده المذنبين اقتبسوا هذه الطريقة من رسول الله ﷺ فيما حكاه الرب عنه حيث يقول : ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (١) ، واعلم ان من سلم من خصلتين فلا يستبعد له هذا التفسير وهو حاصل في جملة المؤمنين : من سلم من البدعة وسلم من الاصرار ، فالبدعة أن يدين الله بدين كان على الله به شاهداً ، وفي شهادة عليه كاذباً حتى يلقى الله عز وجل على ذلك ، فعلى اى شيء يثيبه الله عز وجل ؟ اعلى غير ما قدمت يداه ؟ ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعْيه سوف يرى ثم يجْزاه الجزاء الأوفى ﴾ واما المصرّ المعاند لربه المتمادى على معصيته وارتكبها عمداً وعوّل انه لا يفارقها ابداً حتى يلقى ربه فاصرّ واستكبر فخاب وخسر فلقى ربه غداً في المحشر منكوساً مركوساً ، فليس في هذا ايضاً مطمع اذ لا يليق بحكمة البارى سبحانه اسعافه على اصراره وخلافه وما وراءه من الذنوب فليس بمستحيل العفو عنه باسباب خمسـة : التوبة النصوح ، والحسنة المقبولة ، والمصيبة الموجعة التى قال صاحبها : ﴿ انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحْمة واولئك هم المهتدون ﴾ او لم يقلها ، وقال الله عز وجل : ﴿ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعْفو عن كثير ﴾ وقال ﷺ : « ما من مسلم يصاب بمصيبة حتى الشوكة يشاكها الا كفّر بها من خطاياه » (٢) ، ومن وراء ذلك شفاعة المصطفى عليـه الصلاة والسلام فكيف بمن له الشفاعة وهو الحكيم الكريم الرءوف الرحيم رب العرش العظيم ؟ وهو التائب على عباده المذنبين قبل ان يتوبوا ؟ فقال عز من قائل : ﴿ يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

* * * * * * * * * * * * * *

يتّبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ (١) ، وقضى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام : « ان من كان فى قلبه مثقال حبة من الايمان دخل الجنة » رواه ضمام بن السائب عن رسول الله ﷺ ، وقوله عز وجل يوم الفصل الاكبر : « يا معشر المؤمنين انى وهبت لكم ما بينى وبينكم فتواهبوا فيما بينكم » ويقع القصاص فيما بين المسلمين والمسلمات ويتقاضون بالحسنات بدل الأموال والتباعات ومن وراء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثم قال بعد نحو اربعة كراريس من نصف القالب الكبير ما نصه : « مسألة النسيان والذهول » : اعلم ان مسألة النسيان والذهول قد وردت فى كتاب الله عز وجل عموماً فنحن على عمومها حتى يرد ما يخصها ، قال الله عز وجل فى معرض الامتنان حكاية عن اوليائه عز وجل حين اثنى عليهم : ﴿ آمن الرسول ــ الى قوله تعالى ــ أو اخطأنا ﴾ فجعل المفسرين يقولون : اخطأنا تعمّدنا فحكى الله عز وجل عن المؤمنين انهم استوهبوه النسيان فوهبه لهم ، وليس من صفة الكريم ان يستوهب الشىء فيخبرنا انه استوهبه فيبخل به ولا يجود به ، وانما هذه صفة لئيم ان يشنّع على نفسه انه استوهب ويذكر ذلك عن نفسه ثم انه لا يهب ، ولو ساغ لأحد ان يقول لا يسع النسيان لساغ لغيره ان يقول ، وكذلك المغفرة حين حكى عنهم : ﴿ غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ بشهادة انتصاب النون من غفرانك يشهد لك ، ولو قال : غفرانك يشهد لك ، ولو قال : غفرانك بضم النون لما حكمنا عليهم بمسألة الغفران ولكن نصبه يدل على مسألتهم الغفران ؟ وكذلك ما استوهبوه فى قوله : ﴿ ربنا ولا تحمّل علينا ــ الى قوله ــ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ فان جادلهم بهذا كله فما بال النسيان

---

(١) سورة النساء ٢٧ .

. . . .

من بينهم ، فاجتمعت الأمّة على ان المؤمنين استوهبوا من الله تعالى هذه الكلمات العشر فوهبهن لهم فما بال الاستثناء فى بعضهن دون بعض ، والمسئول كريم وهو أولى ما جاد لهم به فلو كان الاستثناء فى بعض والمنع لكان فى آخر الآيتين او فى وسطها ، فلو كان الاستثناء يسوغ فى اول الأمر لكان فى العقوبات كما قال الله عز وجل : ﴿ قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً ـ الى ـ لعلهم يفقهون ﴾ (١) ولما تمت الآية قال رسول الله ﷺ : « اعوذ بالله » فاعاذه الله من الاولين أ هـ . يعنى بالاستثناء استثناء نسيان نبى او ملك او نحو ذلك قال : واما ان يستثنى عليه ما امتّن به عليه وتفضّل من غير ذنب ولا سبب الا برأى ذى الرأى فأحرى ان النسيان أمر غالب ليس للعبد فيه منع ولم ترد شدة فى نسيان شىء الا فى ناسى القرآن وقد ورد فيه التخصيص قال رسول الله ﷺ : « انى نظرت فى ذنوب أمتى فلم أر ذنباً اعظم من ناسى القرآن » وذلك انه لا ينساه الا بهجّرانه اياه وهجران تلاوته ، وانما اراد القرآن ولم يرد نفس القرآن ، وقد عذر الله المؤمنين فى نسيان اعظم العبادات وهى الصلاة فكيف بما دونها ؟ ولو كان النسيان من اختيار العبد (٢) ؛ وقد اجتمعت الأمّة على انه ليس من اختياره واجتمعت على النسيان انه محطوط عن هذه الأمة الا شواذ ذهب بهم الرجوع عن العلم ، وليس النسيان بالرجوع عن العلم فى شىء ، والرجوع عن العلم ان يقصد الى ما اقرّ به فينكره على علم باقراره او تخطئة ما صوّبه او تصويب ما خطاه ، والرب تعالى يتجاوز عن كثير من هذه الأمور ، فكيف بامر قد سقط عن اذهانهم واوهامهم لا باختيارهم ، وليس هذا من صفة الحكيم الرءوف الرحيم .

---

(١) سورة الانعام : ٦٥ .

(٢) فى نسخة الأصل : ولو كان النسيان من اختيار العبد لانتبه ؛ وهو الصواب .

وقال الشيخ ابو خزر يغلى بن زلتاف (١) رضى الله عنه : ان ما سقط عن وهم الانسان لا يؤخذ به فاين ذهب بهم وبمن قال بخلافه وهو الامام

(١) ابو خزر يغلى بن زلتاف الوسياني رضى الله عنه ممن بلغ الدرجة العليا فى الاجتهاد وعده ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم رحمه الله تعالى فى الائمة العشرة الذين بلغوا قبله درجة الاجتهاد المطلق . وابو خزر جمع بين العلم والسياسة حتى صار من الذين كان يخشى بأسهم ابو تميم المعز الفاطمى مع ما بينهما من الصداقة الراسخة وتقديم المعز له على سائر الجهابذة الذين يرتادون مجلسه على كثرتهم ولم يقدم عليه الا ابا القاسم يزيد بن مخلد الوسياني وهو صنو ابى خزر فى العلم والاجتهاد واقتباس العلم من شيخهما ابى الربيع سليمان بن زرقون النفوسى .

وقد وقعت مقاطعة بين الامام ابى خزر وابى تميم افضت الى انتشاب الحرب بينهما وذلك ان المعز كان يهاب ابا القاسم يزيد بن مخلد ويرفع مكانه وفى نفسه شىء من الغدر به لمكانته عند الاصحاب واجتماع جموعهم حوله بحيث لا يتأخرون من امره لاول اشارة ، ويرفع منزلة هذين الامامين القدوتين وعلامة المعقول والمنقول صاحب القلم واللسان ابى نوح سعيد بن زنغيل خسب المعز مودة الاباضية وبمسالمتهم فكثرت الوشايات والنميمة من اصحاب الطمع والتزلف الى المعز واصحاب الوظيفة بلومهم بابى القاسم حتى قتله بواسطة عامله على (الحامة) وبقتل الامامين هاج اصحابنا وعظم عليهم الامر وكانت قبائل البربر من مزاته وغيرها طوع اشارة الامامين فاعتزم ابو خزر مناجزة ابى تميم المعز حتى كاتب بنى امية فى الاندلسية فلما بلغه الامر اشتد عليه وسقط فى يده وكاتب ابا خزر ومن معه من العلماء بواسطة بعض علماء اصحابنا يجزم لهم بالاستقلال فى المملكة الاباضية الرستمية التى ازالها اجداده من تيهرت الى جبل نفوسة الا ان السواد الاعظم الهائج يابى الا مناصبة المعز وفصل الاهالة فبايع جمهورهم ما عدا جمعا من العلماء واجمعوا ابا خزر فى الامر وابوه منه اماما للدفاع فنشبت الحرب بينه وبين المعز للعبث الرشوة بين الطبقة الضعيفة وهى الكثيرة فجمجموا عن ابى خزر فكان الفوز لابى تميم فهرب ابو خزر الى الجبل فاراد المعز ان يسكن ثائرة الامة خوف تجسد الامر فارسل بالعفو العام الى كل الارجاء وبالاخص الى صاحبه الذى اسف على وقوع الوحشة معه فقدم اليه واكرمه وخلع عليه واصطحبه معه الى مصر بعد ان احتلها قائده جوهر فكان فى عزه واكرامه حتى مات المعز وقد علت منزلة ابى خزر فى مصر وطار صيته الى الآفاق وعرفه بمعالم المغرب وله شأن عظيم مع علماء مصر . وكثيرا ما طعن وزراء المعز وندماؤه فى ابى خزر حتى امتحنه مرة بعد اخرى لعله يجد منه ما يبرر قتله ولكنه لم يظفر بمرامه وحرسه الله من كيده وكيد الخائنين .

. . . .

الغـاية القصوى والرب تعالى جعل حطوط النسيان عنهم مثابة لهم حين امنوا كلهم بالله وملائكته وكتبه ورسله قولهم : ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ فرغبوا فى المغفرة فبشرهم انه : ﴿ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ فلما خفف عنهم سالوه ترك النسيان فقالوا : ﴿ لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ﴾ فما بال الشدة فى أول موهبة الله عز وجـل للمؤمنين ؟ وجل العلماء والمفسرين يذهبون فى هذا الخطأ الى العمد يقولون : ان نسينا او اخطأنا تركنا او تعمدنا ، وقال موسى بن عمران للخضر عليه السلام : ﴿ لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا ﴾ فاوجب ان ذلك من الخضر لو فعل ارهاق عسر ولا يليق بالحكيم الرحيم ، وقول يوشع بن نون رضى الله عنه : ﴿ وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره فجعل ﴾ الله تعالى معذرة للمؤمنين فى امر نسوه احالة الذنب على الشيطان ، فمن نابه امر نسيه احاله على الشيطان ، وقال الله عز وجل فى آدم عليه السلام عاذرا له : ﴿ فنسى ولم نجد له عزما ﴾ على عمل المعصية ا هـ .

قلت : وكذلك النسيان كما قال امر غالب ضرورى فالتكليف عليـه تكليف بما لا يطاق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ وكذلك ورد فى الصائم الناسى حتى اكل وشرب : « ان الله اطعمه وسقاه » وكذلك كل ما عذر فيه الناسى كجماع الحيض نسيانا قال معارضة : فان قال قائل على مذهبك فى النسيان انه يسوغ نسيان الرب تعالى ونسيان آياته وقـد قال الله عز وجل ذما لهم ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ وقـال : ﴿ كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ ، وقوله : ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ فلو لم يكن النسيان من افعاله لما امره الله بترك النسيان ولا نهاه عنه .

اعلم ان هذه الآى الثلاث قد اجمع اهل التفسير فيها انه يريد بها العمد

* * * * * * * * * * * * * *

وانما كلامنا على ما نسيه الواحد منا طبعاً ، وأما قولك ان ينسى البارى سبحانه فلم يستقم لأحد بعد معرفته اياه ان ينساه لكن عمداً لا ذهولاً لأن العبد يتصرف بين خلق الله تعالى فلا يكاد يرى شيئاً الا تذكره ، وحصلت عنده معرفته به تعالى كما لا يستقيم من مضروب بالسياط ان ينسى ألم الضرب وهو يتوالى على ظهره ، وكذلك آيات الله تعالى لما علم الخلق البلوى بها اين ما تصرفوا والحاجة الماسة التى لا تفارقهم بعذر نسيانه على انه ذم الله عز وجل فاعل ذلك قال : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ .

ويسال من ضيّق على المسلمين فى هذه عن سؤالات ثلاث : اولها — ما البرهان على ما قاله ؟ ولن يجده من كتاب الله عز وجل ولا من سنّة رسوله ﷺ ولا من العقل . والثانى — الأحكام أن التشريك والتفكير والقتل والسبى والغنيمة لا سيما فى أمر مختلف فيه ، واكثر الأمّة على حطه فان يمكن فشاذّ غير معروف فى الصدر الاول ، فان كان تقليداً فبخلاف ما اشار اليه القرآن والسنّة والراى والعقل ، اما القرآن فقد اشرنا الى ما فيه المعذرة للناس والسنة كذلك واما من جهة العقل فان الله تعالى لا يأخذ عبده بالضروريات والنسيان أمر ضرورى ، قال الله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها اكتسبت ﴾ ، اما من جهة الشرع فانه رُوى عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه انه قال : قال الله عز وجل : « انا عند ظن عبدى فليظن بى ما شاء » فان شدد على نفسه امراً وسعه الله عليه شدد الله عليه ، فليس فى العقل ان يأخذه بالشدة فى أمر اختلف فيه العلماء ووسع الجميع فيه بالشدة فيعاملك الله على تلك الشدة ، ولك عنده مندوحة ، والله سبحانه وتعالى يسال عبده عن هذه المسالة من وسع ومن حظر ، اما من وسع فقد اشرنا الى ما فى القرآن والسنّة ، واما من شدد فالاختبار بيده فلينظر حجته ما دام حياً فهو الحزم ، وان لم تكن فليقطع عنها وليعامل الكريم بالكرم ولا يعامله باللؤم .

• • • • • • • • • • • • • •

والثالث ما حال المخالف فى هذه المسالة امقطوع العذر ام لا ؟ فليقل ما شاء ا هـ . والله اعلم .

وحين وصلت هذا المحل من الشرح رايت فى المنام ليلة الثلاثاء من رجب فى كتاب افضل الشركة العبودية وافضل ما ينفرد به الربوبية فيعامل بها الكريم ، وفهمت ان المعنى ترغيب الانسان فى استشعار العبودية ليجتهد فى خدمة الله الذى هو سيده ويذل نفسه ، وينفى الكبر عن نفسه ، ويخضع لقضاء الله ، وان المعنى تخصيص الله بالربوبية فينتفى عن صفات الله الى الله ، ورايت فى الليلة الثانية استسلم لامر الله تسلم واخضع لقضاء الله يعزك الله ، وهذا سماع منام لا رؤية فى كتاب ، وتقدم الكلام على نسيان التباعات من المعاملات والتعديات فى باب قضاء الديون ، وفى الوصايا ، ومعنى نسيان الله ترك التقرب اليه بالعمل بان لا يعمل الفرائض او بعضها او بأن يعمل الكبائر او يعمل الفرائض ويترك المعاصى ولا يتقرب بذلك الى الله لملل اصابه وادى به الى جهة الاياس ، فقد رجع بذلك فى المعصية وترك الفرض اذ التقرب فرض ، وقد يكون سبب ذلك اياسه من أمر دنيوى أيس منه وقد رغب فيه وجد" فيصير سبباً لفتوره عن الاعمال والتقرب ، وعنه ﷺ : « ان الله تعالى قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى" عبدى بشىء احب الى" مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى" بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سالنى لاعطينه ، ولئن استعاذنى لاعيذنه » (١) .

وولى الله تعالى هو من تولى الله بامتثال الاوامر واجتناب النواهى

---

(١) متفق عليه .

• • • • • • • • • • • • • •

وان زاد النفل او استغرق فى العبادة ومعرفة الله زاد ولاية ، والله يتولاه بالحفظ والنصرة ، ومعنى آذنته بحرب : اعلمته بانى محارب له اقهره وانتقم منه فلا يفلح ابداً ، وفى رواية : « فقد بارزنى بالمحاربة » وفى رواية : « فقد استحل محارمى » ، وفى اخرى : « فقد استحل محاربتى » ، وفى رواية : « فقد آذى الله ، ومن آذاه يوشك ان يأخذه » والمراد منه عادى رجلاً من اجل ولايته لله بالطاعة لا مطلقاً ، فلا يدخل فيه مغافرة تقع بين وليين او ولى وغيره فى حكومة او خصومة كما وقع بين ابى بكر وعمر بعض خصام ثم زال ٠

وجميع المعاصى محاربة لله عز وجل ، ومن ثم قال الحسن : يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة ؟ وكلما كان الذنب اقبح كان اشد محاربة فسمّى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله لعظم فسادهم ، وسواء فى قوله : مما افترضت عليه فرض العين وفرض الكفاية كالجهاد والأمر والنهى والحرف والصنائع ، وفى رواية : « يا ابن آدم انك لن تدرك ما عندى الا بأداء ما افترضت عليك ، وان من عبادى المؤمنين من يريد باباً من العبادة فاكفه عنه لا يدخله عجب فيفسده » وذكر الفرض لأنه اعظم اذ يثاب على فعله ويعاقب على تركه فكان أحب الى الله واشد تقريباً ٠

وروى ان ثواب الفرض يعدل ثواب النفل سبعين درجة ، واضاف العبد لنفسه تشريفاً وروى : يتحبب ، بدل يتقرب ، وروى : ينتقل ، واطلق النفل فعمّ العبادة الظاهرة كتلاوة القرآن وهى اعظم ما يتقرب به ، وقد روى : « ما تقرب العباد الى الله عز وجل بمثل كلامه » وقال عثمان : لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم ، وقال بعض العارفين لبعض المريدين : اتحفظ القرآن ؟ قال : لا ، فقال : واغوثاه بالله ، مريد لا يعرف القرآن فبم يتنعم ، وبم يترنم وبم يناجى ربه عز وجل ؟ وكالذكر قال

. . . .

معـــاذ : قلت اخبرنى يا رســول الله بافضــل الاعمـــال واقربهـــا الى الله عــز وجــل ، قال : « ان تموت ولسانك رطب بذكر الله » وكفى بشرفه قوله تعالى : ﴿ اذكرونى اذكركم ﴾ (١) وصح : « انا عند ظن عبدى بى وانا معه حيث يذكرنى » (٢) ، وروى : « انا مع عبــدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه » .

والعبادة الباطنة كالزهد والورع والتوكل والرضى ويظهر اثــر ذلك ايضاً واعظمها الحب فى الله والبغض فى الله ، قال رسـول الله ﷺ « ان لله ناساً ما هم بانبيــاء ولا شهداء تغبطهم الانبيــاء والشـهداء يوم القيــامة بمكانهم من الله عز وجل » قالوا : يا رسـول الله من هم ؟ قال : « هــم قوم تحابــوا بروح الله على غير ارحــام ولا امــوال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لتنور وانهم لعلى نــور ، ولا يخــافون اذا خــاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس » (٣) ثم تلا هذه الآية : ﴿ الا ان اوليــاء الله لا خــوف عليهم ولا هم يحزنون (٤) ﴾ وعنه ﷺ : « لا يجــد العبــد صريح الايمــان حتى يحب الله ويبغض لله فاذا احــب لله وابغض لله فقــد استحق الولاية من الله (٥) ، والفرض اســاس والنفل كالبناء عليه ، ومعنى كــون الله تعالى سمع عبده وبصره الخ ، حفظه جــوارح عبــده عن ان تستعمل فى المعصية ، ويجــوز ان يكون المــراد بسمعه مسموعه اى لا يسمع الا ذكــرى اى لا يستعمل سمعه الا فى ذكــرى الا ضرورة ، او لا يسمع سمع قبــول الا ذكــرى ، وما كان لى فهــو من ذكــرى ، ولا يتلذذ الا بتــلاوة كتابى ، ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى الدالة على وجــودى وصفاتى ، ولا يبطش ولا يمشى الا لمــا فيه رضائى .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٢ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) سورة يونس : ٦٢ .

(٥) رواه مسلم وابو داود والبيهقى .

. . . .

والتحقيق ان ذلك مجاز وكناية عن نصرة الله تعالى لعبده المتقرب اليه بما ذكر ، وتاييد واعانة وتوليه فى جميع اموره حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التى بها يدرك ويستعين ، ولذلك جاء فى رواية : « بى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى » اى : انا اقدرته على هذه الافعال وخلقتها فيه ، فمن اجتهد بالفرض والنفل ترقى من درجة الايمان الى درجة الاحسان فيمتلىء قلبه بمعرفة الله وحبه وعظمته ويتزايد ذلك حتى لا يبقى فى قلبه غير الله جل جلاله فلا تنبعث جوارحه الا بموافقة قلبه ، وفى الخبر : « ما وسعنى سمائى ولا ارضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » (١) ولما قدم ﷺ المدينة قال : احبوا الله من كل قلوبكم » ، وعن على : ان الشيطان يهاب عمر ان يامره بالخطيئة ، وعنه ﷺ : « من اصبح وهمه غير الله فليس من الله » اى من اهل قربه وحبه ، وفى رواية بعد قوله يمشى بها : « وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به » وفى رواية : « ومن احببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومريداً ، دعانى فاجبته ، وسالنى فاعطيته ، ونصحنى فنصحت له ، وان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك » ، وذكر مثل ذلك فى الفقر والصحة والسقم ، وقال : « انى ادبر عبادى لعلمى بما فى قلوبهم انى عليم خبير » وفى رواية بعد :لاعيذنه « واذا استنصرنى نصرته » .

والتحقيق ان الدعاء اولى لمن بلغ تلك المراتب كما دعاه الانبياء فى الرزق والولد وغيرهما وايوب فى كشف الضر وبعض : يختار الصبر .

عمى سعد بن ابى وقاص فقيل له : لو دعوت الله ، فقال : هو الذى ابتلانى وانا اكره ان ارده ، وقيل ذلك لابراهيم التيمى فى سجن

(١) رواه مسلم .

. . . .

الحجاج فقال : اكره أن ادعوه أن يفرج عنى ما لى فيه اجر ، وصبر سعيد بن جبير على اذى الحجاج حتى قتله وكان مجاب الدعاء ، وقد لا يجاب الولى الى سؤاله لعلم الله أن الخيرة له فى غيره مع تعويضه له خيراً منه ، اما فى الدنيا او فى الآخرة ، وفى رواية بعد : لأعيذنه : « وما ترددت فى شىء انا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته » اى : يفعل به كفعل المتردد فى الكاره ، وقد علم انه يكره الموت لأنه اعظم آلام الدنيا الا على الاقلين ، وان كان لابد منه فى سابق قضائه فليس يميته اهانة بل رفعة له لنقله الى دار الكرامة . وفى خبر غريب جداً انه ﷺ قال : « اوحى الله الىّ يا اخا المرسلين ويا اخا المنذرين انذر قومك أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتى ولأحد عندهم مظلمة فانى العنه مادام قائما بين يدى يصلى حتى يرد تلك الظلامة الى اهلها فاكون سمعه الذى يسمع به ، واكون بصره الذى يبصر به ويكون من اوليائى واصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء فى الجنة ، والله اعلم .

فصـــل

اهانـــة الاســـلام واهله وتعظيم الكفر وذويه كفر ، . . . . . .

فصـــل

في اهانة الاسلام واهله وتعظيم الكفر واهله

(اهانة الاسلام واهله وتعظيم الكفر وذويه كفر) كل واحـــد منهما كفر على حدة ، فاهانة الاسلام كفر ، واهانة اهله كفر ، وتعظيم الكفر كفر ، وتعظيم ذويه كفر ، لكن كل واحد يتضمن الباقى ، فمن اهـان الاسلام فقـد اهان اهله وعظّم الكفر واهله ، وقـد يهـون المسلم من جهة الاسلام ويعظم من جهـة اخرى كمال ونسب وكذا في الكافر ، ومن اهـان اهـل الاسلام فقد اهان الاسلام وعظم الكفر وذويه ، ومن عظم الكفر فقد عظم اهل الكفر واهان الاسلام واهله ، ومن عظم ذوى الكفر فقـد عظم الكفر واهان الاسلام واهله ، الا انه قد يهين المسلم لغير اسلامه مما لا يجـوز له اهانته به فلا يكون اهانة للاسلام الا من حيث انه لم يعط المسلم حقه الذى له بالاسلام اذا اهانه ، وكذا الكلام في تعظيم الكافر لا لكفره مما لا يجوز وذلك

وان بقلـب او يامـره وان لـم يفعـل . . . .

الكفر متفاوت ، فمن اهان الاسلام الذى هو توحيد فكفره شرك ، ومن اهان الاسلام الذى هو عبادة فكفره نفاق الا ان انكرها فشرك وتعظيم كفر الشرك شرك ، وتعظيم كفر النفـاق نفاق ، والا ان اباحـه فشرك ، وكـذا من عظم المنصوص عليه بالوعيد ، ومن عظم غير المنصوص عليه فمنافق ، ومن اهان المنصوص عليه بالخير فمشرك ، ومن اهان غير المنصوص عليه فمنافق ، وانما قال : وذويه ولم يقل : واهله فرارا من التكرير والاضافة فى اهله وذويه للحقيقة فشمل الواحد فصاعداً ، (وان) كان المذكـور من اهانة الاسلام واهله وتعظيم الكفر وذويه ، او وان كانا (بقلب) فقط ، ولا سيما به مع الجوارح فذلك يكون بالقلب وحده وبالقلب والجوارح معاً ، واما بالجوارح فقط فلا يتصور الا اذا كان فعـل مضرة للمسلم او الاسـلام بلا قصـد ضرّه واهانته ، او كان فعل يوهم تعظيم الكافر والكفر بلا قصد لتعظيمه فلا يجـوز فعله ، (أو) كان ذلك المذكـور من اهانة المسـلم او الاسلام او تعظيم الكافر او الكفر (بامـره) بان يامـر عاقلا بالغـاً او طفلا او مجنـوناً سـواء كان البالغ موحداً او مشركاً بان يهين المسـلم او الاسلام او يعظم الكفر او الكافر ، او يقـول له : افعـل كـذا او قله او اعتقـده مما هو اهانة او تعظيم لمـا ذكر .

(وان لم يفعـل) مامـور من امره به من ذلك ، او امـر من يامـر احـداً بذلك وهكذا امر ماموره احداً او لم يامره ، واذا امـر مامـوره احداً فسـواء فعل مامـوره او لا ، ولا سيما ان فعل الانسـان بنفسه او فعـل مامـوره ، وانما رجع ضمير يفعل الى المامور ولم يسـبق له ذكـر لانـه معلوم من قوله (بامر به) ويجـوز بنـاء يفعل للمفعول فيرجع ضمـيره الى ما ذكر من الاهانة والتعظيم .

والتهوين الذى من القلب هو ان يرى المسلمين او الاسلام لا يستحقّون ما يجعل لهم من حقوقهم ويراهم اهلا للهـوان وللتقصير فى حقهم ، او يجب ذلك او يبغض من يجعل لهم حقوقهم والتهـوين بالجوارح مع القلب ان

. . . .

يتكلم بما يضرهم أو يكرهونه سواء كان فيهم أو لم يكن أو يضربهم أو يمنع ما يجاء به اليهم أو يامر بذلك او يامر من يامره به وهكذا ، وقطع حقوقهم منه أو من غيره بنفسه او ماله أو بامره وترك دفع الضر والأمر بتركه وتعظيم الكفار او الكفر بالقلب او يراهم اهلا للاكرام والعز او يحب لهم ذلك او يبغض من لا يفعل لهم ذلك ، او من لا يعتقده لهم ، والتعظيم بالجوارح مع القلب ان يتكلم بما يكرمهم او يعزهم ولو كان فيهم أو يامر بذلك او يامر من يامر به وهكذا اذا قصد التعظيم وان لم يقصد ، ولكن يوهم التعظيم او يفيده فلا يجوز ايضا الا لضرورة ، والضرورة تبيح المحظور فى ذلك وفى غيره مما يجوز فعله ضرورة كشتم المسلم اذا قهره عليه قاهر .

ومن تهوين الاسلام تضييع حقوقه ، وكذا من تهوين المسلمين تضييع حقوقهم ، من حقوقهم : ان يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ولا يضرهم بقول ولا فعل ، وان يرد عنهم الغيبة ولا يقبل النميمة فيهم ولا ما ينقصهم ، ولا يبلغهم ما سمع فيهم من مثلهم أو غيرهم ، ولا يزيد فى هجرانهم على ثلاثة أيام ، ولا يدخل عليهم الا باستئذان وسلام ، ويسلم عليهم اذا لقيهم ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ، قال ﷺ : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا (١) » وقال ﷺ : « ثلاثة لا يستخف بحقهم الا منافق ، حامل العلم ، وذو الشيبة فى الاسلام ، والامام العدل » وان يصلح ذات البين ويستر عورتهم ولا يغتابهم ولا يتتبع عوراتهم ، وينصرهم ويصون عرضهم وأموالهم وانفسهم ، وينصح لهم ويجتهد فى ادخال السرور عليهم بتفريج غم او قضاء دين واطعام من جوع ، قال ﷺ : « من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على

---

(١) رواه ابو داود وابن حبان .

. . . .

المؤمن (١) » ، وقال ﷺ : « من قضى حاجة لأخيه المؤمن فكأنما خدم الله عمره (٢) » ، وقال ﷺ : « من مشى في حاجة أخيه المؤمن ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها خير له من اعتكاف شهرين (٣) » ، وأن يزور مرضاهم ويشيّع جنائزهم ويزور قبورهم ويعزيهم على موتاهم .

ومن تهوينه لهم : هجرانه لهم كما لايجوز ، وأما ان فعلوا موجب هجرانهم فانه يهاجرهم كما يستحقون ويؤدبهم بذلك وغيره ويامر بذلك وينهى من يانس لهم ويصلحهم بمعروف او ينفعهم ولا يعقد لهم خير الآخرة .

وفي بعض سير اصحابنا رحمهم الله : ومن سننهم التوقير والتبجيل وابرار بعضهم بعضاً والانقياد ، وترك العناد والمراء والتنازع ، ومن فضائلهم الانزواء عن اهل المنكر والتجهّم في وجوههم ، والانقطاع عن ملاقاتهم والانقباض عن صحبتهم والأكل معهم والجلوس اليهم ومعاتبتهم حتى يرجعوا الى مرضاة المسلمين ويقلعوا عن كل جريرة ، ويخضعوا لكل مسلم وينيبوا الى كل فضيلة حتى لا يكون ثانيا عطفه ولا وانياً في خدمتهم ويضرع تحت ايديهم ، فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون .

وكان الشيخ يوسف بن خلفون كثير المطالعة في كتاب « الاشراف » وغيره من تصانيف اهل الخلاف فنقم الاشياخ منه ذلك ونهوه عنه فلم

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الدارقطني .

(٣) رواه ابو داود واحمد والبيهقي .

. . . .

ينتـه ، فاظهروا له الكيل بهـذا الصـاع واوجبـوا له كلمة الهجـران ، ومما نقموا منه اعلانه بان قال : والله ما علمت لهم كتـابا الا كتاب اختلاف الفتيـا ، وهو تاليف بشر بن غانم (١) ونسبوه الى تعجيز العزابة وذم تاليفهم والبحث عن معايبهم ، قال صاحب الطبقات : وحاشـاه من ذلك ، قال : وحدثنى ابو الربيع عن ابيه الحـاج ابى عبد الله محمـد بن سعيد رحمه الله : خرجنا حجّاجا مع شيخنا يخلف بن يخلف حتى اذا كنـا بعقاب قدم علينا فى وقت المسـاء رجل لا نعرفه فرايناه يسال عنا فقال له يخلف : من هذا السـائل ؟ قال : ابن صباح المزاتى ، فاستحال ذلك شيخنا فبادره بان قال : كذبت ، قال : ابو عبد الله : وما رايتـه عجل بسـوء الا تلك الليلة ثم تدارك فساله ما شانك وما وراءك ؟ قال : قدمت مع الشيخ يوسف بن خلفون ويبيت عندكم الليلة المقبلة واعلمه بامـور دلت على صدقه فاستغفر الله وتاب اليه ، فلمـا حلّ بنا ابو يعقـوب يوسف بن خلفـون ، والعلم عندنا حين خرجنـا من بلادنا انه فى الهجران ، وقلنا : ما لنـا الا التاسى بشيخنا يخلف فلما تراءى الشيخان اخـذ يخلف بيـد يوسف وتناجيا عنا وعد عليه ما نسبوه اليه ، فكلما عد عليه شـيئا تاب واعتذر واعتنقا فسمعنا شيخنا يقول : الحمد لله رب العالمين ، وقاما وقمنا وسلمنا عليه وتانسنا به وتانس بنا وسرنا معا الى بيت الله الحرام فادركنـا هنالك ركب اخواننا اهـل عمـان ومعهم فقيههم الذى حجّ بـه يسـمى ناجية بن ناجية ، حججْنا حجة لم يحجها مغربى قبلنا ولا بعدنا ، وذلك انه لا تنزل نازلـة على احـد من اصحابنا الا وجـد حكمها عنـد احـد الشيوخ الثلاثة ، وروى ان الشيوخ سمعوا عن الشيخ اسماعيل بن ابى زكرياء

---

(١) فى السير بزيادة : والغانمى له أيضا ، واغفله الناسخ فيما يظهر ويدل لصحة وجوده قول البدر فيما بعد : وتفضيله الغانمى واختلاف الفتيا لانه نسب فيه الاقوال وبين مـا هو المعتمد المأخوذ به ، وابو غانم : بشر بن غانم من علماء القرن الثالث وابو يعقوب يوسف بن خلفون من علماء القرن السادس رحمهم الله ، وقوله : ما علمت لهم يريد العزابة .

. . . .

انه أكل طعام النكار بعد ان نهى الشيوخ عن ذلك ، فارسلوا اليه بالهجران ، ولما أخبر بذلك ، قال لابنه الشيخ ايوب : ارحل الراحلة فركب ونحن فى الربيع فاخذت الرسن له ، فلم يتكلم لى الا ان يقول : الطريق امامك يمينك شمالك ، حتى وقفنا على باب مسجد تامتلست فنزل ووقف على باب المسجد يتوب ويتضرع ويسالهم القبول عنه ولا يزيد على التوبة ، وهم يعاتبونه ويلومونه ، فيقول : تبت ولا اعود ، أجئركم على الله فقبلوا منه وردوه ورضوا عنه ، فقال لهم : يا مشايخى لم افعل مما بلغكم شيئا واسأل الله أن لا يميت قائل ذلك الا بالحاجة فأجاب الله له فهى فى نسله الى الآن .

قال أبو الربيع سليمان بن يخلف : وقيل : يخرج الاسلام من الرجل وهو يصلى ويصوم ويفعل ما كان يفعل قبل ذلك من خصال البر وهو لا يشعر اذا كانت فيه ثلاثة : فرقة المسلمين بعد صحبتهم ، وترك زيارتهم بعد ما كان يزورهم ، واذا استوت عنده حاجة أخيه المسلم مع غيره ، وقال ايضاً : من يطمع فى الاسلام أن يدركه ومعه أخلاق السوء كمن يطمع أن يحمل الماء فى الشبكة وكمن يطمع أن يأخذ شاة شاردة وليس معه السلاليق تدور به ، وكمن ينظر باحدى عينيه الى السماء وبأخرى الى الأرض فى حالة واحدة ، وكمن يمد يده الى السماء ليبلغها وهو فى الأرض .

وقيل له : أخبرنا عن هذه الأخلاق الدنية ، أمن الذنوب هى ؟ قال : أشر من الذنوب ، وقال ايضاً : احذروا على أنفسكم وخذوا عليها واطلبوا بها النجاة الى ربكم واحذروا دباغ السوء أن يسبق اليكم ، وقال لهم : احذروا الحرث بلا زريعة ، فقالوا : فسر لنا هاتين الكلمتين ، قال : نعم مبتدىء راجع الى الاسلام ان سبق اليه فى بدء رجوعه حسن حال وأخلاق حسنة فهو على ما سبق اليه ، وان سبقت اليه أخلاق سيئة

وقد يبلغ متولى الى حال لا يستحق معهـا من حقوق الاسـلام الا ولايـة سبقت كمظهر اخـلاقا لا تنزل عليهـا • • • • • • • •

ولحوال غير مرضية فقل" ما ينجـو فهو على ما سبق اليه ان خـيراً فخير وان شراً فشر ، وأما الحـرث بلا زريعـة فالأعمـال بلا نيّة فليس لمـن يحرث بلا زريعة الا العناء والتعب ولا يحصـد قمحاً ولا شعيراً ولا ما يشبع ، فمن حـرث خيراً حصـده ومن حرث شراً حصـده ، ومن لم يحـرث فلا يحصـد شيئاً •

(**وقد يبلغ متولى الى حـال لا يستحق معها من حقـوق الاسـلام الا ولايـة سبقت**) له قبل تلك الحـال فيدعى له بالجنة ، ولا يبرأ منـه ولا يوقف فيه غير أنه لا يسـتحق أن يزحزح لـه فى المجلس ، ولا ان يشمّت عند العطاس ولا ان يسلّم عليه عند اللقـاء الا ان شاء ملاقيـه ، ولا ان يؤمن" على دعائه ولا أن يصـدر فى المجلس بالدعـاء ولا بغير ذلك مما يجب للمتولى او يستحب أن يفعـل لـه ويرغب فيـه الا الـولاية ، (**كمظهر اخلاقا لا تنزل عليها**)ولاية ، فان سبقت بقيت والا لم تحـدث الا ان اقلع عن تلك الاخـلاق ، والكاف للافراد الذهنية لأن بادى العقـل يقبل أن يكون بعض غير مظهر تلك الاخـلاق كـذلك أو الكاف بظاهرها اما على أنه إشـار بها الى من فيه تلك الأخـلاق ولم تظهر لك بل اقـر" بهـا او شهد عليه بهـا الشهود ، والاظهار على الوجه الأول وهو كونهـا للافراد الذهنية شامل لذلك كله ، وأما على أن يريد بالأخـلاق اخـلاق السـوء المشهورة المتداولة عندهم وقد تقدم ذكرها فيشير الى غير المشهورة بالكاف مثل ان يترك سنة غير واجبـة فيستمر • وان يكثر معاصى صغاراً او لا يدرى اصغار ام كبار ؟ ومثل أن يقتحـم الشـبه ، ومثل أن يكثر فعـل المكروهات وما لا تنزل معه الولاية كثير ومنه التعبس فى وجوه الناس وعـدم اجابتهم اذا تكلموا له والاستقلال بالراى والتبسم فى وجـوه الفسقة

كفـراق الجمـاعة بلا وجه ابيح له ، مع مصاحبة ضـدها والدخـول فيما لا ينسـب لأهل الخـير كتعظيم الأشرار واهانة الأخيـار . . .

بلا موجب ولا داع ، ومنهـا الغناء بما لا كذب فيه ولا بهتـان أو نحـو ذلك من المعاصى ، وان كان فيه ذلك فمعصية وما ذكرت من اكثار المعاصى انمـا هو بحيث لا يطلق عليه الاصرار مثل أن يفعـل اليوم صغيرة وغـداً أخـرى من نوع آخـر ، واضافة لخلاق للحقيقة فيصدق بالخلق الواحـد فصاعداً ، (**كفـراق الجماعة بلا وجـه ابيح له**) والوجـه الذى أبيح لـه : أن يلتزم ويفارق الجمـاعة به كمرض وعـدو وبَرد مضر وكبر سن ، والمـراد : الجماعة الذين على دين الاسـلام بأن يكون مرجعهم الى القرآن والسـنة ، وآثار المشـايخ بلا كبر ولا غلظة ولا تقليد ولا ادخـال العـامة والفسـاق فى امورهم ومشاورتهم ومراعاة ما يليق بهم ولو خالف الحـق ، (**مـع مصاحبة ضدها**) فلو فارق الجماعة ولم يصحب ضدها فلا بأس ، ويعذر الا ان كان يضعف الاسـلام واهله بمفارقتها فلا تجـوز له وظاهر كلام الشيخ أحمد أن مفارقتهـا من أخـلاق السوء ولو لم يصحب ضدها ومصاحبة ضدها من أخلاق السوء ، وفى نسخة : مع اصطحاب ضدها وهى مشكلة فانه يقال : اصطحبته بمعنى حفظته ، والجـواب : انـه افتعـال بمعنى المفاعلة كالمصاحبة ، ولأنه يقال : اصطحبته بمعنى التزمته .

(**والدخـول فيما لا ينسب لأهل الخير**) كذكر القبائل والتنافس بهـا فى أمـر الفتنة أو الفجـار ، (**كتعظيم الأشرار**) تعظيماً لا يوصـله الى البراءة ، (**واهانة الأخيـار**) اهانة لا توصله اليها وذلك كتعظيم الكافر فى أمـر دنيوى واهانة مسلم فيه ، قال رسول الله ﷺ : « ان الله تعـالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبـدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاّه

وجـــاز اشهار هــذا والنقض عليه ولو عند العامة ، وفرض ذلك ٠ ٠

الله أمركم ، ويكره لكم قيل قال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المـــال (١) » وعنه ﷺ : « الشيطان ذئب الانســـان كذئب الغنم يأخـذ الشـــاة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد » رواه معاذ ، وعنه ﷺ « يد الله على الجماعة » رواه ابن عباس وعنه ﷺ : « الشيطان يهم بالواحــد والاثنين ولا يهم بالثلاثة » وعنه ﷺ : « ثلاثة لا تســال عنهم ، رجــل فارق الجماعة وعصى امامه ومات عاصياً ، وأمــة أو عبــد ابق من سيده فمات ، وامرأة غاب عنهــا زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيــا فتبرجت بعده فلا تسال عنهم » ٠ وعنه ﷺ : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » رواه النعمان بن بشــير ، وعنه ﷺ : « ستكون بعــدى هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد ان يفــارق أمر أمــة محمد كائنــاً من كان فاقتلوه فان يد الله على الجماعة ، وان الشــيطان مع فارق الجمـــاعة » ، والجماعة هى المعهودة التى على هــدى رسول الله ﷺ ولو لم تكن فى المسجد أو كانت هى القليلة (**وجـــاز اشهار هــذا**) أى : الذى فـــارق الجماعة وصاحب ضدها ودخل فيما لا ينسب لأهل الخير وذلك بعد وعظه وارشاده فيابى ، وكذا صاحب البدعة ومعنى اشهاره اظهار انه فعل كذا مما خالف الصواب (**والنقض عليه**) أى الــرد عليه أى : يقــول ان ما عليــه فلان أو هذا ليس صــواباً أو هو خطــاً أو نحــو ذلك شــبه الرد عليــه بهــدم بناء عليــه أو على بمعنى اللام أى النقض لــه أى لمسيرته (**ولو عنــد العامة**) بقصــد الاحتراز عنه وقصد تاديبه بذلك وليس ذلك غيبــة محــرمة (**وفــرض ذلك**) المذكــور من اشــهاره والنقض عليـــه

---

(١) رواه مسلم وابو داود ٠

ان خيف اقتـداء به ان كان من أهـله ، والا فلا يضـيق اشهاره عند العامة

وتـــرك شـــهادته فى غـــير الديــانات • • • • • •

(ان خيف اقتداء به ان كان من أهله) أى من أهل الاقتـداء به بأن كان منظوراً بالنسبة الى ورع أو علم وذلك من النصيحة فى الدين ليكون من اقتدى به يتوب ومن أراد الاقتداء به يترك ومن لم يكن كـذلك ينتبه ، (والا فلا يضيق اشهاره عند العـامة) أى لا يجب ، وكـذا لا يجب اشهاره عند الخاصـة الا ان رُئى يضـل غيره فانه يجب نصح الذى يريـد اضلاله ولا سيما من هو فى البراءة وخيف منه الاضلال •

رُوى أن سعد بن أبى يونس عامل الامام أفلح على قنطرار خـرج متوجهـا فى أمر نفاث وهو فى جبل نفوسـة مخافة ما يضـل من الناس ، فعمد سعد الى دار بحيال نفاث فأخـذ فى بنائها وكان نفـاث بنـاءاً عظيماً فأراد نفاث معاونة سعد فى البنيـان وصار يبنى لـه ويجتمع الناس الى سعد فى حوائجهم ، فاذا نظرَ سعد الى الناس قد اجتمعوا اليه وتخـوف أن يتوهموا أنه رضى عن نفاث قال : متى تترك كفرك يا نفاث ؟ فيقـول لـه نفاث : معاذ الله من الكفر يا شيخ ، واذا خـلا سعد بأصحابه قال لهم : ليس جزاء من يبنى لى ويخدمنى أن أشتمه فى وجهـه ، وانما تخفوت الفتنـة على الناس ولذلك فعلت ما فعلت ، وانما جزاؤه الخبز واللحـم ، (وتترك شهادته فى غير الديانات) كالأموال والدماء والحـدود وتقبـل فى الديانات كالتوحيد والصلاة والطهارة والصـوم والافطار والحج والطلاق والعتق والولاية والبراءة مما كان يستثنى فيه فيفتى أن يشـهد مثل أن يشـهد عن ثقـة أن من قـال كـذا لعبـده عتـق أو لـم يعتـق ، أو لامـرأته صـارت طالقاً أو غـير طالق ونحو ذلك ممـا ليس خصـاماً

وقيل : فى الولاية والبراءة ، ويكون قيل : فى الوقوف ولا يعظم ولا يولى فى كامامة او قضاء ولا يشاور . . . .

(**وقيل :**) تترك (**فى**) غير (**الولاية والبراءة**) من الاحكام والديانات وتقبل فى الولاية والبراءة خاصة ، فاذا قال ان فلاناً فى الولاية او فى البراءة أو فعل كذا مما يوجب البراءة او وفى بدين الله أو نحو ذلك اعتبر قوله مع شاهد آخر ، ووجه القول الأول أن الديانات مما تجرى فيه التصديق ولا خصم فيها وأما أمر الأحكام فللخصمين أن يصدق أحدهما الآخر أو يصدق من يشهد له كائناً من كان وليس ذلك للحاكم فلا يأخذ بقول ذلك المفارق ، ووجه الثانى أنه لم يبق له الا الولاية فاخذ قوله فيها ثبوتاً وعدما (**ويكون قيل**) قولا ضعيفا (**فى الوقوف**) ووجه ضعفه ان ولايته بالذات لا بالتبع للامام أو للأب فلا ينتقل منها للوقوف كما ينتقل من ولاية طفل المتولى الا الوقوف فيه لاحداث أبيه موجب براءة وما أشبه ذلك ، وأن ولايته متيقنة فتركها بلا مزيل متيقن رجوع عن العلم فان ما أحدثه المفارق : اما معصية لا يبرأ منه بها واما غير موصية فلا تترك ولايته بلا موجب للبراءة ومالا يعلم أنه معصية اما معلوم انه غيرها واما مريب ، والريبة يجب الامساك عنها كما جاء ﴿ أمرٌ بان لكم رشده فاتبعوه ﴾ وهو فى مسالة الحال ولايته المتيقنة ﴿ أمرٌ بان لكم غيّه فاجتنبوه ﴾ وهو فى مسالة الحال براءته بلا احداث لموجبها ، ﴿ وأمرٌ لم يتبين فكلوهُ الى الله ﴾ وهو فى مسالة الحال ما يتهم به هذا المفارق من الضلال الموجب للبراءة .

(**ولا يعظم ولا يولى فى كامامة**) ولو امامة الصلاة (**او قضاء**) واذان وغير ذلك من الولايات (**ولا يشاور**) فى أمر الدين أو فى أمر الدنيا

ولو له منزلة عندهم ، وهلك قاصد خلاف المسلمين ولو فى مباح ، ولا باس عليهم فى تعظيم من لم يستقل برايه عنهم * * * * * * *

ولا يفعل له مثل ذلك من كل ما يوهمه أو يوهم غيره تعظيمه (**ولو**) كانت له (**له منزلة عندهم**) فى نفعه فى الدين والدنيا لأنهم ان اظهروها له بذلك ونحوه تمادى على حاله ولم يذق الم الهجران ولا اعادة على صلى به أو باذانه أو فعل نحو ذلك ، وفى السير : الخطة والهجران والطرد والابعاد الفاظ ترادفت على معنى واحد وذلك انه حتى اجرم واحد من اهل الطريق او ظهرت عليه خزية أو اتى بنقيصة فى قول او عمل او تضييع فانه يهاجره الصالحون فلا يكلم ولا يحضر جماعتهم ولا يؤاكل ولا يجالس وكان فى الخطة حائلة بينه وبين اهل الخير فان تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعة وزال شين ذلك الوسم وكان بقاؤه فى وحشة الهجران بقدر عظم الفعل وصغره وتوبته واصراره ، فمنهم من يتوب ويرجع فى الحال ، ومنهم من يبقى ساعة او ساعتين أو يوما أو يومين او اياما أو اشهراً او اعواماً أو عمره ان عظم الجرم واصر (**وهلك قاصد خلاف المسلمين ولو فى مباح**) كشراك نعل اذا قصد انه لا يفعل كذا لأن المسلمين يفعلونه او انه يفعله لكونهم لا يفعلونه مثل ان يقول : لا اجعل لنعلى شراكاً لأنهم يجعلون له ولا سيما فى فرض او مسنون مثل ان يقول : لا اقدم رجلى اليمنى فى دخول المسجد لأنهم يقدمونها ، او لا اتوضا ثلاثاً ثلاثاً لأنهم يفعلون ذلك ، ولا يدفعون عنه رمى من رماه بسوء أو اتهمه الا ما تبين انه بهتان فيجب النهى ، واما ان خالفهم ولم يقصد انه فعل او لم يفعل ليكون مخالفاً لهم فلا باس الا ان كان فعله لما يخالفهم يوهن الاسلام او المسلمين او يوهم انه قصد خلافهم فلا باس (**ولا باس عليهم فى تعظيم من لم يستقل برايه عنهم**) ولو كان فى البراءة او الوقوف لأنه ليس يسعى فى خلافهم اذا ظهر لهم الصلاح فى تعظيمه ليزيد نفعاً فى الدين او

. . . .

الدنيا للمسلمين ، وذلك تعظيم راجع للدنيا لا يوهم ولاية مثل تقديمه في مهم والتفريش له وتجويد الطعام له ودعائه باسم يحبه ، بخلاف ذلك المفارق ، فلا يجوز لهم ذلك التعظيم ولا ما فوقه فيه لأن تعظيمه تعظيم لما هو فيه فيكون تهوينا للاسلام واهله والله اعلم .

بـــاب

بغض المعروف وأهــله كفر . . . .

بـــاب

فى بغض المعروف واهله والاشعر والبطر والغيبة والنميمة

المعروف لغة : ما ليس مجهولاً مباحاً او محرماً او فرضاً او مسنوناً ، والمنكر : ما جهل او عرف وخالف ما اعتيد ، ويطلق المعروف ايضاً على ما فيه الاحسان الى انسان او حيوان ، والمعروف شرعاً : ما هو من العبادة فعلاً او تركاً ككف الضر وازالته واجباً او مسنوناً او كان من الاثر ، والمنكر ما خالف ذلك ، وقيل للمعروف : معروف لتعارفه بين الناس ، ولان العقول تعرفه ، وقيل للمنكر منكر لانه ينكر على فاعــله وتنكره العقول و (**بغض المعروف واهله**) هو فاعله ومن يامر به او يامر بالامر به وهكذا او يتسبب فيه بوجه ما (**كفر**) يعنى ان بغض كل واحد كفر على حدة ، بغض المعروف كفر وبغض اهله كفر بل بغض احدهما يستلزم بغض الآخر ، والكفر نفاق ان لم يكن صاحب المعروف منصوصاً عليــه وابغضه وشرك ان كان منصوصاً عليه وابغضه ، وكذا المعروف ، وان ابغضه من حيث انه عابد لله

وان بتجويره او فاعله أو آمــر به ، وبغض ما يصيبه من نفع أو بحب مـــا يضره كـذلك . . . .

او أبغض المعروف من حيث انه عبـادة فشرك مطلقا ، وحب المعروف فرض وتصويبه فرض ، والاقرار به طاعة وانكاره كبيرة ، فما كان منصوصا عليه حبه وتصويبه والاقرار به توحيد وانكاره شرك ، وما لم ينص عليه فانكاره نفاق ، والاقرار به وتصويبه وحبه طاعة ، والاجماع والمتواتر كالنص .

والكفر واقع على تفاصيله بالقدح فى المعروف واهله (**وان**) كان القدح فيهما (**بتجويره**) اى بنسبة المعروف الى الجور بان قال : انه جور اى ميل عن الصواب (**أو**) بتجوير (**فاعله**) من حيث انه فاعله وهو من اهله ففاعل بالجر معطوف على الهاء بلا اعادة المضاف الجار على القول بجواز العطف على ضمير الجر المتصل بلا اعادة ما جره أو بالجر عطفا على تجوير على حذف مضاف اى : أو تجوير فاعله ولولا جرُّ آمر بعد لجـاز النصب عطفا على محل الهاء لانها ولو كانت فى محل خفض على الاضافة لكن الاضافة هذه اضافة المفعول (**أو آمر به**) اى او تجوير آمر بالمعروف من حيث انه آمر به وهو بجر آمر ، والكفر فى ذلك كله على حد ما مر من شرك أو نفاق ، وكذا فيما بعد ، والتخطئة أيضا كفر وهى فى معنى التجوير وبغض الفاعل او تخطئته وتصويب مبغضه أو مخطئه والآمر ببغضــه أو تخطئته أو بتصويب مبغضه أو مخطئه أو بتصويب حب مبغضه أو مخطئه كفر ، وانما صح للمصنف أن يغنى بغض المعروف واهله بالتجوير تضمينا للبغض معنى القدح وهكذا البحث فى تغثيته بالحب والتنقيص والتعظيم المذكورات فى قوله : (**وبغض ما يصيبه من نفع ولو دنيويا أو بحب ما يضره كذلك**)

أو بتنقيص وان لأحدهما ، أو بتعظيم منكر أو حبه أو فاعله أو معينه وان بقول

اى ولو دنيويا (**أو بتنقيص وان لأحدهما**) اى احد الفريقين المعروف واهله (**أو بتعظيم منكر أو حبه أو**) حب (**فاعله**) او الآمر به أو الآمر بالآمر به وهكذا .

(**أو معينه وان بقول**) وقوله : بغض عطف على تجوير ، والهاء فى يصيبه عائد الى فاعل المعروف ، فبغض ما يصيب فاعل الخير من نفع دنيوى كفر ، ولا سيما ان ابغض ما يصيب من نفع اخروى ، أو من نفع دنيوى ونفع اخروى كليهما ، وقوله : او بحب عطف على قوله : وبتجوير ، وهاء يضره عائدة الى فاعل المعروف ، وقولـه : كذلك بمعنى ولو ضراً دنيوياً ولا سيما الأخروى ، أو الأخروى والدنيوى معاً فاذا احببت العاقل أو غير العاقل الضار لدنيا فاعل المعروف أو اخراه فقد كفرت ، وضار اخراه هو من يفعل ما يكون مضرة فى دينه ، مثل ان يتسبب له فى اكل الشبهة وهو يعلمها ، او فى حرمة زوجته ويقيم معها وهو يعلم أو نحو ذلك أو لا يعلم ظناً من ذلك الضار انه يضره ما لا يعلمه مما لا يدرك بالعلم ، أو حباً لأن يضعف اعمـاله ودعاءه باكل الربا والحرام من حيث لا يعلم لضعف قلبه بذلك ، وكذا حب نفس الضر ، ولو عبر بالمصدر لكان اولى لموافقة كلام الاصل مثل ان يقول : او بحب ضره فيشمل حب الضر باللفظ وحب الضر تبعاً لأنه يحب الضار لضره فقد احب الضر ولكون حب الضار مفيداً لحب الضر ساغ للمصنف ان يعبر بما يضره من حيث ان الحكم على المشتق يؤذن بعلّيّة معنى مصدره والضمير فى احدهما للمعروف وفاعله ، فان تنقيص المعروف كفر وتنقيص فاعله كفر ولا سيما تنقيصهما جميعاً ، وكذلك حب التنقيص أو المنقص والآمر بالتنقيص ، وقوله : او بتعظيم منكر ، يعنى ان بغض المعروف يحصل ويتصور ايضا بتعظيم المنكر ، فتعظيم منكر بغض

للمعروف ، وكذا حب المنكر بغض للمعروف ، وكذا تعظيم فاعل المنكر بغض للمعروف ، وكذا حب فاعله بغض للمعروف فيقدر حذف هكذا او بتعظيم منكر او فاعله او حبه أو فاعله فحذف لفظ أو فاعله وذكره بعد ، ولك تقدير العبارة هكذا : او بتعظيم منكر او حبه أو تعظيم او حب فاعله بترك تنوين تعظيم الثانى ، والاول أولى ، وسواء فى جميع المسائل التى ذكرها او ذكرتها او تاتى فى كلامه او كلامى من ذلك علم بان الشيء معروف او لم يعلمه هو كافر على كل حال ، وقوله : او معينه على كذلك فتعظيم معينه كفر وحبه كفر وكذا حب الاعانة وتعظيمها .

(**وان**) كانت الاعانة بذلك (**بقول**) ولا سيما ان كانت بفعل او مال او بمتعدد من ذلك او بذلك كله ، وكذا ترك اعانة المعروف أو أهله هو بغض للمعروف فهو كفر ، والكفر فى ذلك كله اما شرك واما نفاق بحسب المعروف ما هو وأهله من هم على ما مر ، وقيل فى بغض نفع الدنيا لفاعل المعروف وحب ضرها له لا يكونان كفراً ، وكذا الأمر بذلك البغض او ذلك الحب وجميع ما ذكره المصنف بغض للمعروف بالمعنى كما قال الشيخ أحمد : بغض المعروف على أوجه :

الأول : تجويره وتخطئته .

والثانى : بغض فاعله ومن يأمر به وبغض ما يصيب من منافع الدنيا والآخرة ، وكذلك ان فعل ما لا يصل به الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى نفسه وماله وجميع ما يمنعه من ذلك .

والوجه الثالث : تنقيصه وتنقيص فاعله الخ ، وسواء فى فاعل الخير أو

. . . .

الامر ، به والآمر به ان يكون متولى او موقوفا فيه او متبرعا منه بغضه والآمر ببغضه وارادته بسوء على ما مر كفر لان ذلك البغض له مثلا من اجل انه يفعل الخير مثلا فذلك بغض لنفس الخير الذى هو المعروف ، والضمير فى قوله : وكذلك ان فعل عائد الى مبغض الآمر بالمعروف ، والضمير فى قوله : لا يصل عائد الى الذى يامر بالمعروف ، وكذا الضمير فى نفسه وماله ، وذلك مثل أن يضرب مبغض المعروف من يامر بالمعروف او يقيده او يسجنه او يأخذ ماله او يتلفه لئلا يتوصل الى الآمر بالمعروف ، سواء فعل المبغض ذلك بنفسه أو ماله أو تسبب بوجه ما مثل أن يعطى الأجرة لمن يمنعه من الآمر به ودخل فى المعروف ما يعطيه من طعام أو شراب أو مال لمسلم او غيره ممن تجوز الصدقة له ودفع الضر قال رسول الله ﷺ : « اصنع المعروف الى أهله والى غير اهله ، فان لم تصب اهله فانت اهله » (١) أى لا تحرم معروفك من علمته ومن لم تعلمه ، فان اصطنعته عند من يستحقه فهو ذاك ، وان اصطنعته عند من لا يستحقه فانت المستحق بالجزاء ، ولك عليه الفضل .

قال بعضهم : كنت يوما عند معاوية بن ابى سفيان فالتفت الى شيخ فقال : حدث القوم بحديث حمير ، فقال الشيخ : خرج حمير متصيدا فتمثلت له بين يديه حية فى غاية الوجل فقالت : اجرنى أجارك الله يوم لا ظل الا ظله ، فقال لها حمير : وممن اجيرك ؟ فقالت : من عدو قد ارهقنى يريد أن يقطعنى اربا اربا ، وقال لها : من انت ؟ قالت : من اهل لا اله الا الله محمدا رسول الله ﷺ فقال لها : فانى اجيرك ، قالت له ــ وقد اراد ان يسترها بردائه ــ : استرنى فى جوفك ان كنت تريد المعروف ففتح فاهه بعد أن أخذ عنها العهد أن لا تؤذيه ، فدخلت فى جوفه فاذا رجل قال له :

---

(١) رواه الترمذى .

. . . .

اين الحية ؟ فقال : لم ار شيئاً فاستغفر مائة مرة لكذبه ومع الرجل صمصامة يريد قتلها بها ، فذهب الرجل فقالت الحية : يا حمّير هل تحس الرجل ، قال لها : قد ذهب ، فقالت له : اختر منى احدى خصلتين اما ان اقتلك مرة بثقب فؤادك او افتت كبدك فتلقيه من اسفلك قطعاً ، فقال حمّير : والله ما كان هذا جزائى منك ، فقالت : صدقت ، ولكن ما رايت احمق منك ! وضعت المعروف عند من عرفت عداوة ابيك له قديماً ولم تعلم لى مالاً فاعطيكه ، فقال لها حمير : حتى احفر قبرى عند هذا الجبل ، فقالت : شانك وما تريد ، فرفع طرفه الى السماء وقال : يا لطيف الطف بى بلطفك الخفى ، يا لطيف يا قدير اسالك بالقدرة التى استويت بهـا على العرش ، يا حكيم يا عليم يا على يا حىّ يا قيوم يا الله الا ما كفيتّنى هذه الحية ، ثم مشى الى جهة الجبل اذا بفتى حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب ، وساله عن شانه فاخبره فدفع اليه شيئاً اخرجه من كمه فقال له : كل هذا ، فاكله فاصابه مغص شديد ثم ناوله آخر فاكله فرمى الحية من اسفله قطعاً ، فقال له حمّير : من انت يرحمك الله فما اجدُ اعظم منك منّةً علىّ ؟ فقال : انا المعروف ، وان اهل السماء لمـا راوا هذه الحية وصنْعها بك اضطربوا كلهم يسالون ربك ان يغيثك ، فقال الله عز وجل : يا معروف ادرك عبدى . وفى رواية بورقة من شجرة : طوبى فاياى اراد بما صنع ، وفى رواية : اعطاه ورقة خضراء وقال : كلْها ، فاكلها فخرجت الحية من تحته قطعاً .

ورُوى انه كان فى بنى اسرائيل شاب فقير يعمل فى يوم باجرة ينتفع بها ثلاثة ايام وتعب يوماً تعباً شديداً فقال : يا رب ان علىّ نذراً ان رزقتنى من فضلك شيئاً تصدقت بعشْر ما يكون معى ، فاستاجره رجل عشرة ايام كل يوم بدرهم ومؤونته ، فتصـدق بدرهم واتجر بها فصارت عشرين ،

. . . .

فتصدق بدرهمين واتجر وصارت مائة ، فتصدق بعشرة ، وكان على الزيادة كذلك واشترى ضياعاً ومزارع ، وكان يوماً على فرسه يريد المزرعة فاذا ثعبان اسود واراد قتله فقال : اجرني اليوم فان ورائي فارساً يريد قتلي قال : فادخل تحت ركابي ، فقال : بل في جسمك فقال : كيف تفعل ؟ فقال : افتح لي فاك ، فدخل في بطنه بعد ان اخذ عليه امان الله أن يخرج ، وصبر ساعة فقال : اخرج فقد ضاقت نفسي ، قال : انت بين ثلاث : اما ان تحلف الا تخرج العشر من مالك ابداً بالله وآياته ، واما ان آكل كبدك فتقع ميتاً ، واما ان أصب سمّي في قلبك حتى يخرج منه الايمان ، قال : ومن انت ؟ قال : انه شيطان ، قال : اصبر لي حتى اشرف على الجبل فاذا بفارس اقبل نحوه قال له : ما بالك ؟ فاخبره بقصته فناوله تمرة وقال : كلها فاذهب الى الغائط ، فذهب فاخرج الثعبان قطعاً فجاء الى الفارس فقال : من انت ؟ قال : انا ملك من الملائكة ارسلني الله اليك لا تقطع العشر من مالك .

وقال الربيع بن الفضل : كنت يوما عند المنصور وعنده جماعة من اعمامه محمد بن علي وقثم بن علي وقالوا : ان في حبسك محمد بن مروان فان رأيت ان تبعث اليه وتساله عن كلام جرى بينه وبين ملك النوبة ، فبعث اليه وفك عنه الحديد وادنى مجلسه فقال : حدثني بالكلام الذي جرى بينك وبين ملك النوبة فقال : يا امير المؤمنين انا كنا قوماً ملوكاً فلما انقضت بنا المدة أمرت بالمتاع فصير في المركب فذهب بنا الموج شهراً ثم صرنا الى جزيرة النوبة ، فأمرت بالخيام فضربت ، فاقبلت النوبة ينظرون الى متاعنا ويتعجبون من حسنه ؛ فاقبل ملك النوبة فاذا هو رجل طويل اصلع عليه كساءة قد اشتمل بها وسلم وجلس على الأرض ولم يجلس على البساط ، فقلت له : لم تركت الجلوس على بساطي ؟ قال : اني ملك وحق لمن رفعه الله ان يتواضع اذا رفعه ، ثم صوّب نظره في وجهي فقال : ما بالكم تطئون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟ قلت : عبيدنا واشياعنا

• • • • • • • • • • • • • •

فعلوا ذلك بالجهل منهم ، فقـال : ما بالكم تلبسون الديباج وتحلون بالذهب وهما محرمان على لسان نبيكم ؟ قلت : كنا قوماً ملوكاً فلما انقضت منا المدة استعنا باعاجم دخلوا فى ديننا فكرهنا الخلاف عليهم ، فجعل ينظر فى وجهى ويردد الكلام : عبيدنا واشياعنا واعاجم دخلوا فى ديننا كرهنا الخلاف عليهم ليس هـذا والله يا ابن مروان كما تقولون ، ولكنكم ملكتم فظلمتم وتركتم ما به أمرتم فأذاقكم الله وبال أمركم ولله فيكم نقمة لم تبلغ ، وانى لأخشى ان تنزل بك وانت ضيفى وعلى بساطى فتصيبنى معك فارتحل عنى ، فتزودت وارتحلت ؛ والله أعلم .

وقد ذم الله تاركى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومدح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فى آيات كثيرة من كتابه ، من ذلك قوله جل وعلا : ﴿ لعن الذين كفروا ــ الى قوله ــ فعلوه ﴾ (١) وقال : ﴿ ولتكن منكم أمة ــ الى ــ من الصالحين ﴾ (٢) وقال عن لقمان : ﴿ يا بنى أقم الصلاة ــ الى ــ من عزم الأمور ﴾ (٣) وقال ﷺ : « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ المنكر او ليسلطن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٤) وعن أبى بكر رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصى ومعهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمّهم الله بالعذاب من عنده » ، قال الله تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكّروا به ــ الى ــ يفسقون ﴾ فالعاصى والراضى وتارك النهى على قدرة شريكون

---

(١) سورة المائدة : ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٣) سورة لقمان : ١٧ .

(٤) رواه مسلم .

ولا عذر في تصويب منكر واهله وتخطئة ضدهما ومعونته وان بجهل

في العقاب والناهي ناج وقال ﷺ : « الا ادلكم على ميت الاحياء ؟ قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : من لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر » .

واجاز الله سبحانه وتعالى ترك النهي عند عدم القدرة رحمة ورخصة ، ومن قام بذلك مع عدم القدرة فله ثواب ، ويقال : مر بالمعروف وانه عن المنكر فان ذلك لا يقرب لك اجلاً ولا يقطع لك رزقاً ، واذا كانت الارزاق موافية فعلام التهافت في النار ، أوحى الله الى الملائكة أن ينزلوا الى اهل قرية بالهلاك فوجدوا قوماً في المساجد فرجعت الملائكة فقالوا : الهنا ارسلتنا ان نهلك قوماً في المساجد والله اعلم بذلك فاوحى الله اليهم باولئك فابداوا اذ لم يغضبوا من اجلي بل شاربوهم وآكلوهم ومن لم يستطع فليخوف بالرفق والموعظة الحسنة ، ومن دعا الى طاعة الله وعبادته فاستجاب له على ذلك من استجاب ، فاذا كان يوم القيامة اجتمع هو والذين استجابوا له فيسيرون معاً الى الجنة ، واذا دعا الى باطل وضلال فاستجاب له من استجاب فاذا كان يوم القيامة اجتمع اولئك الذين استجابوا له وساروا معه الى النار ، قال الله تعالى في فرعون يقدمُ قومه يوم القيامة : ﴿ فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ (١) .

(ولا عذر في تصويب منكر وأهله وتخطئة ضدهما) وهو المعروف واهله (و) لا في (معونته) اى معونة المنكر ، ودخل في ذلك معونة أهله لأن معونتهم من حيث أنهم اهل منكر معونة للمنكر ، وسواء اعان بلسانه أو بدنه أو ماله او بالأمر أو بوجه ما ، (وان) فعل شيئاً من ذلك (بجهل)

---

(١) سورة هود : ٩٨ .

وصح فى ترك تصويب وتخطئة وامـر ونهى فيمـا يسـع جهله مـا لم تقم الحجـة به او يصـوب الخطـا كعكسـه او يفعل . . . .

بان ذلك الفعل او الترك منكر او معروف . والجهر فيما يدرك بالعلم عمدّ وتصويب المنكر ان كان على وجه تحليله شرك ان كان منصوصاً عليه او مجّمعاً عليه او متواتراً والا فنفاق ، وان كان دون وجه التحليل فان كان المنكر كبيرة فنفاق والا فذنب .

(**وصح**) العذر للمكلف (**فى ترك**) اى عدم (**تصويب**) للمعروف (**وتخطئة**) للمنكر (**وامْر**) بالمعروف (**ونهى**) عن المنكر (**فيما يسع جهله**) اى : جهل انه معروف او عبادة او فرض ، او انه منكر او معصية او محرم (**ما لم تقم الحجة**) من المكلف (**به**) انه معروف او عبادة او فرض او منكر او معصية او محرم بان يخبره بذلك امينـان ، وقيل : او امين ، وقيل : او من صدقه هكذا ، او يخبره به من ذكرنا عن القرآن او السنّة او الاثر ، او يحفظه بادراك معناه من القرآن او السنّة او الاثر من كتاب من كتب من تقوم به الحجة .

(**او**) ما لم (**يصوّب الخطا كعكسه**) وهو تخطئة الصواب مثل ان يذكر له او يخطر بباله خطا فيقول او يعتقد انه صواب او عكس ذلك جهلاً ، او يصوّب احداً فى شيء هو خطا او بالعكس او تبرا منه لأمْر هو صواب او تولاّه لأمر هو خطا وما اشبه ذلك جهلاً .

(**او يفعل**) ما هو خطا فانه لا يعذر فى الجهل ، وكذا ان ترك فرضا ، وتحريم المباح والتخطئة له او به كذلك ، ومن الفعل الشهادة بربا وكتابته اذا علم كيف فعل البائعان وجهل ان ذلك ربا فانه لا يعذر ، وان حرم او خطا او فعل بجهل ووافق او فرض او صوّب او فعل كذلك ووافق فقيل :

ولا يسع نسيان ما قامت به من قرآن او سنة أو بامناء ، ولا يعذر جاهل ذلك انه حجة ان لم يعلم وكذا آخذه ممن ليس بحجة عليه ككتاب أو متبرىء منه او بغير أمين او واحد ان صدق . . . . .

كفر لتقدمه بجهل ، وقيل : عصى ، وقيل : لم يعص وبئس ما صنع ، وقيل : كفر بالقول .

(**ولا يسع نسيان ما قامت**) اى الحجة (**به من قرآن**) نكره بمعنى ان كل آية منه أو كلام قرآن او للتعظيم (**أو سنة**) او اجماع (**أو**) ما قامت فيه (**بأمناء**) امينيْن فصاعداً ، وقيل : او بواحد على انها تقوم به بلسانه أو كتابه ، ويكفى واحد من كتب المذهب على كل حال لأنه قد تداوله كثير من اهل المذهب واقرّوه .

(**ولا يعذر جاهل ذلك**) المذكور وهو ما قامت به الحجة من القران أو السنة او الأمناء (**أنه حجة ان لم يعلم**) انه حجة بفتح همزة [ان] على تعليل ليعذر لا للنفى ، اى عذر جاهل انه حجة لعدم علمه انه حجة منتفْ غير ثابت (**وكذا**) لا يسع نسيان (**آخذه**) اى نسيان ما اخذ هذا الآخذ مما هو فرض أو محرم ومعصية او عبادة ، رد الضمير الى ما دل عليه المقام ، ويجوز عوده الى ما قامت به الحجة بقطع النظر عن كونها القرآن او غيره مما ذكر (**ممن ليس بحجة عليه ككتاب**) كتبه احد او مما وضعه عالم ولم تداوله جماعة تصححه ، أو لا يدرى مصنفه أو كاتب الكتابة (**أو متبرىء منه أو بغير امين**) اراد به الموقوف فيه ولو اطّلع منه على شىء لا يحسن فى الكلام أو النقل مما لا يبرأ به منه ، وانما قلت ذلك لأن المتبرأ منه قد ذكر (**أو**) بأمين (**واحد ان صدق**) من ذكر من متبرّىء منه او موقوف فيه أو امين واحد فى قوله : ان كذا حرام ، أو فرض او سنة أو طاعة أو معصية أو آية من القرآن أو حديث او نبى أو ملك كل واحد

من ذلك حجة على المكلف اذا صدقه ، فان تركه عمداً او القاه او نسيه لم يعذر ان وافق الحق ذلك ، والا فقيل : كفر ، وقيل : عصى وذلك لأنه مخاطب بما صدقه ، وقيل : لا يعصى لانكشاف أن ما صدقه فيه غير صحيح (**ورخص فيهما**) أى فى نسيان ما قامت به الحجة وما أخذه بتصديق ممن لا تقوم به الحجة (**اذ لم يجعلنا**) ربنا (**كما قيل**) أى كما قال الشيخ مصالة : (**حفظة لا ننمّى**) أى كحفظة لا ننسى كما لا تنسى الملائكة الحفظة ، أو لم يجعلنا نفس الحفظة لا ننمى ، وروى انه ترك ذلك فقيل : لم ترك ذلك ؟ وهو محقّ فى قوله رحمه الله ، وجملة لا ننمى مفعول بعد مفعول ثان ، وهو مصالة بن يحيى وكان كثير الثقة بالله عز وجل ، وكان يقول : انمـا استدللّنا على ان الله عز وجل قد استجاب دعاءنا الذى ندعوه به فى أمر الآخرة بما شاهدناه من اجابة دعائنا فيما نساله فى الدنيا ، وذكروا أن مصالة أوصى داود بن ابى يوسف فقال : اذا عمل أهل وارجلان عملاً مما لا تعلم فاحمل نفسك على الكتمان ودع عنك الاختلاف ، وقد حكاه آخر عن أبى عبد الله أى اذا عملوا ما لا تعلم جوازه بل علمته حراماً فاعمل ما لزم أهل الكتمان من مجرّد الأمر والنهى بتلطف دون المبالغة والتغليظ المؤدى الى ظهور الاختلاف بلا ثمرة تتولد من ذلك ، بل يزدادون جفاء وفتنة ، وقال ابو نوح : كان مصالة اذ سئل بماذا تصلى هذه الفضيلة أو هذه النافلة من القرآن ؟ يقول : القرآن كله كقدح عسل فما والاك منه وجدته عسـلاً ، والحجة فى أمر الدين أمينان ، وقيل : أو أمين ولو عبداً ، أو أمينة ولو أمة ، وقيل : أو التصديق وفهم الانســان من القرآن أو السنّة أو الأثر ، ويكفى ما فى تصنيف من تصانيف أصحابنا ولو بنسخة غير مصنفة ولو واحدة وذلك على القول بأن الأمين الواحد حجة ، أو بأن التصديق حجة ، وقيل :

. . . .

لا تكفى نسخة واحدة بل نسختان معروضتان على أمين ، أو كل واحدة من خط امين ، وقيل : لا يكفى ما فى تاليف عالم واحد ولو تكرر فى تاليفه بل لابد من تاليف آخر لغيره يوافق فى المسالة ، واقول : اذا تداول تاليفا واحداً امينان وقبلاه وكانا من اهل العلم فذلك ثلاثة ، ويكفى واحد مع مؤلفه فكيف بكتاب تواترت عليه الجماعات ؟ وقيل : لا تقوم الحجة الا بثلاثة أمناء ، وقيل : بخمسة ، وقيل : بعشرة ، وقيل : باثنى عشر ، وقيل : بعشرين ، وقيل : باربعين ، وقيل : بثلاثين ، وقيل : خمسين الى غير ذلك من اقوال فى الاصول ، وذلك فى التواتر ، والحق ان الحجة تقوم بالواحد الثقة لأن الله تعالى يقطع العذر برسول واحد ، ولأن الشرع ورد بالعمل بالمؤذن الواحد والقاضى الواحد ، ومازال التابعون يسالون صحابيا واحداً ويعملون به والصحابة فيما بينهم ، وقيل : الواحد حجة ان كان غاية فى العلم بحيث لا يعترى الضعيف شك فى فتواه والله اعلم ، وحجة الله عباده عندنا ، وعند بعض قومنا الكتب والرسل فلا يعذر مشرك على الشرك ولو لم يبلغه كتاب ولا رسول ، ويعذر فى الفروع ما لم يبلغه حكمها ، وتحقيق ذلك ان المكلف يدرك بعقله إن الصّنعة لا بد لها من صانع فيتدرج بذلك الى معرفة هذا الصانع فلا يعذّر فى ترك معرفة ان الصنعة بلا صانع فيعلم ان الصانع للمخلوقات الله فيجب عليه أن يعلم انه لم يخلقه عبثاً ، وأن له عليه حقاً فيبحث عن هذا الحق ما هو ؟ حتى يتصل بالكتاب او الرسول او من يعلمه الشريعة فيتعلم حقوق الله فيؤديها ، فالحجة عندى العقل والكتب والرسل ، ثم رأيتها كذلك عند أبى القاسم البرادى أعنى انه قال : الحجة : العقل والكتب والرسل ا هـ . فمن سمع فبفضل الله تعالى ، ومن لم يسمع فبعدل الله ، وتفريطه فى الطلب بعد أن أوجب عليه العقل ان للصنعة صانعاً ، فمن كان على دين نبى فهو معذور ما لم يبلغه ما ينسخه ، ومن غاب ونزل وحى بعده فهو معذور ما لم يبلغه ما نزل بعده ،والاصم مكلف

• • • • • • • • • • • • • •

ان كان عنده عقل ، ويفهم باشارة او كتابة ، والعقل حجة بواسطة الرسل مطلقاً وحجة وحده فى التوحيد لدلالة الحوادث ، ولو كان العقل وحده حجة مطلقاً لما قال الله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (١) ولم يقل بعد العقل ، ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٢) ولم يقل حتى نركب عقولا ، وجعل الله لنا دليلا فى انفسنا وسائر خلقه وقال : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك ربك ﴾ (٣) ومن المعلوم أنه أرسل الى جميع العقلاء ثم قال : ﴿ فتول عنهم فما أنت بملوم ﴾ فكلهم سمعوا بأوجه مختلفة آخرها حجة العقل فى التوحيد يدرك أن الشىء لا يخلق نفسه والشىء لا يخلقه مثله لإستوائه معه فى التركيب والحدوث والعجز ، فيعلم أن الخالق ليس مثل المخلوق ، واذا تبين ما تبين فلا يقطع عذره بما لم يتبين بعد لقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم ﴾ (٤) ، وقال أيضاً : ﴿ وان من أمة الا خلا فيها نذير ﴾ (٥) ، وقال عبد الله بن يزيد ومن معه : حجة الله فى التوحيد السمع ، وان المكلفين كلهم قد سمعوا وانه لا يكلفهم الله لو لم يسمعوا ، وفى الفرائض الكتاب والسنة ، الا انه زعم أنه يجب العمل دون العلم ولو لم يسمعوا فيلزمه وصف الله بالجور اذ كلفهم ما لم يسمعوا ولم يدركوه ولا يستطيعونه لأن الكافر عنده غير مستطيع للايمان فكيف يقطع عذر من لم يستطع ، ويوسع لمن لم يسمع لو لم

---

(١) سورة النساء : ١٦٥ .
(٢) سورة الاسراء : ٢٥ .
(٣) سورة المائدة ٦٧ .
(٤) سورة التوبة : ١١٥ .
(٥) سورة فاطر : ٢٤ .

. . . .

يسمع ؟ اذ قد يسمع ، ولا يفعل عناداً ، فكيف يكون أولى بالعذر من المضطر بعدم الاستطاعة ؟ فانه اذا استطاع فعل ولابد لأن المستطيع عنده هو الذى فعل ومن لم يفعل فهو غير المستطيع ، وان قال : قطعتم هذا لأن التوحيد عنده لا يوجد من لم يسمعه بخلاف الفرائض ، فان كان ذلك جوراً فقد نسبته الى الله مع انه لم يوجد عندك غير مستطيع للتوحيد أى مجبر ، وما كان كثيره جوراً فالقليل منه جور أيكلف عندك بالفرائض من لم يستطع والكثير الفرائض والقليل التوحيد ولم يعكس هذا لأن التوحيد عنده لا يوجد من لم يسمعه بخلاف الفرائض ، ولا يلزمنا النسبة للجور فان الحجة عندنا الالزام فيما لم يسمع والكافر مستطيع اذ كانت عنده آلات الادراك فلزمه التخلى عن الكفر الشاغل عن الايمان ، قال عبد الله بن يزيد : المكلفون كلهم سمعوا اما فى الطفولية او فى البلوغ من لسان آدمى أو جنىّ أو ملك أو جماد ينطقه الله ، وما سمعوا فى الطفولية من ذلك يبقى الى البلوغ ولابد عنده فى المسالة (١) .

وعن سعيد الحذاء : حجة الله قامت فى التوحيد والرسول على المكلفين ولو لم يسمعوا ولو كانوا على دين نبى ، واعترض عليه عبد الله بن يزيد بأنه يلزمك أن تقول كما قال اهل القدر : الحجة العقل وحده ، وقد عبت أنت وأنا عليهم ، واهل القدر هم أهل الفكر ، وأجاب سعيد بأن أهل الفكر يقولون : حجة الله موجودة فى عقول المكلفين يكتفون بافكارهم عما جاءت به الرسل ، ما لم يسمعوا ، ولا يوجبون معرفة الرسول حتى يسمعوا بها ، وأنت يا عبد الله بن يزيد قد وافقتهم اذ قلت : ان حجة رسول الله ﷺ غير قائمة الا بالسماع كأنك عذرت من جهله ، ولولا قولك يا عبد الله بن يزيد : بأن الناس قد سمعوا لدخلت

---

(١) كذا بالنسخة ويظهر ان هنا سقطا كان المؤلف اراد ان يلزمه بلازم .

. . . .

فيمن عذر بجهل محمد ﷺ وشرعه حتى يسمعوا قول سعيد اقرب الى الحق .

واعترض سعيد على عبد الله بانه يجوز لمن على دين نبى أن يقيم عليه ما لم يبلغه نسخه برسول بعده عندنا ، وعندك فكيف يسع ذلك عندك وانت قلت : قد سمع الناس كلهم ؟ واعترض عيله أيضاً بانه يلزم ان يكون من فى المشارق والمغارب سمعوا بفرائض الشرع وانت يا عبد الله اوجبت العمل بها وهم بلا شك لم يسمعوا فعقابهم مع عدم السمع جور ، تعالى الله عنه ، وكما أن الحجة قائمة على الناس ولو لم يسمعوا فى الفرائض فكذلك فى الرسول ، وان قيل من جانب عبد الله ان الناس سمعوا بالفرائض حين سمعوا بالجملة لدخول الفرائض فيها كما أجاب له به ضعفاء القوم قلنا : لا نسلّم ان الناس سمعوا بالجملة فضلا عن ان يكون سماعها أصلا يبنى عليه ، ولو سلمنا ذلك لم نسلّم أن سماع الجملة مؤد الى السماع بالفرائض ثم انه ان قال سمع الناس كلهم حين قال : ﴿ يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً ﴾ (١) فليس الناس كلهم موجودين فى ذلك الحين ، ومن وجد فمنهم من فى أقصى المغرب وأقصى المشرق ، ومنهم يأجوج ومأجوج وراء السدّ ، وأجاب قوم بانه ﷺ دعا يأجوج ومأجوج ليلة الاسراء ، ويوجد محمد رسول الله ﷺ مكتوباً فى الأحجار وأوراق الشجر والحوت فينتشر بذلك ، وقد بينت جملة من ذلك فى : « **رد الشرود الى الحوض المورود** » ويبحث بأن وجوده مكتوب بكتابة ربانية ، كذلك قد لا يدرى به أهو آخر الأنبياء والرسل أو رسول من رسل الله ؟

ومذهب سعيد الحذاء مذهبنا ، والحجة قامت على الناس كلهم والسماع بالاذن ، ومثله الفهم بالكتاب والاشارة ، ومعنى قيام الحجة

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٨ .

. . . .

ان يخاطب رسول الله ﷺ من حضره ويكتب لمن لم يحضره أو يرسل اليه ويضيّق على من لم يحضر ولا يبلغه رسول ولا كتاب ان لم يكن على شيء من دين الله تبارك وتعالى ، وقالت المعتزلة : حجة الله تعالى التى لا يقطع بها العذر هو العقل السالم بواسطة الادلة من الارض والسماء وغيرهما فلا باس عليهم بترك الفرض أو فعل الحرام أو جهلهم رسول الله ﷺ ان لم يجدوا ذلك فى عقولهم ، وكذا قال عيسى بن عمير وأحمد بن الحسين ، كذا قيل عنهم ، وذلك فيمن لم يسمع ، وقيل عنهم : ان العقل السالم يدرك الحق كله باصوله وفروعه على طبق ما فى القرآن والسنّة ، وقالت القدرية : العقل حجة فى التوحيد وعذروا فى غيره من الحرام والفرض من لم يسمع حتى يسمع ، وكذا قال أهل التفكير ، وان قالوا : ليس العقل علة التكليف قلنا : بلى لكنه علته فيما يلقى الى العقل من الخطاب لا فيما ينبعث اليه ويهجم عليه ، وان قالوا .قوله تعالى : ﴿ فلما جنّ عليه الليل ﴾ (١) الاية ، استدلال من ابراهيم عليه السلام بالعقل على ان للصّنْعة صانعا قلنا : ابراهيم عليه السلام مؤمن بالله قبل ذلك ، ولم يتقدم كفر قطّ حاشاه كسائر الانبياء ، وانما ذلك زيادة توبيخ لقومه فى عبادتهم ما هو مربوب عابد عاجز بعد تقدم الحجة عليهم بغير ذلك ، وان قلت : فقد قال الله تعالى : ﴿ أولم يتفكروا فى ملكوت السموات والارض ﴾ (٢) ، ﴿ ان فى خلق السموات ﴾ ، ﴿ ان فى ذلك لايات ﴾ (٣) الايات ونحوها ، قلت : ذلك دليل للعقل أن لهذه الحوادث محدثا اجمالا ولابد له من مرشد يرشده الى التفاصيل والدقائق فادنى صنعه كالصياغة والنقش انما تمتثل محققة بمعلم فكيف غوامض التوحيد والفرائض

---

(١) سورة الانعام : ٧٦ .
(٢) سورة الاعراف : ١٥٨ .
(٣) سورة البقرة : ١٦٤ .

. . . .

والحرام وغير ذلك ؟ ولو كفى العقل لم يرسل الله تعالى الرسل ولم ينزل الكتب ، ولما قال : ﴿ رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (١) ولما قال : ﴿ أن تقولوا ما جاءنا من بشير ﴾ (٢) الآية ، ولما قال : ﴿ أن تقولوا انما انزل الكتاب ﴾ الآيـة ، ﴿ وان من امّة الاّ خلا فيها نذير ﴾ ﴿ الم ياتكم نذير ﴾ ﴿ الم ياتكم رسلكم بالبينات ﴾ ﴿ ما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبيّن لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ فالضلالة والاهتداء بعد الرسالة : ﴿ ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ﴾ الآية ، ﴿ وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا ﴾ ﴿ كذبوا الرسل فحق وعيد ﴾ .

ثم ان التفكير الذى يعرفون به اما أن يكون كسباً أو اضطراراً ، فان كان كسباً فاما أن يكون طاعة ، فكيف يطيع الله من لم يعرفه ويفرده ؟ لأنه حال التفكير لم يكن مدركاً بل يتعاطى الادراك ؟ واما أن يكون معصية فكيف يعصى بما هو سبب المعرفة ؟ وان كان اضطراراً دخلوا فى الجبر وقد أبَوْه ، ثم ان جعلوا الفكر حال الطفولية فالأطفال مريدون مستطيعون للايمان والكفر اذاً فما وجه تأخر تكليفهم واباحة الكفر لهم حتى يتفكروا ، وان جعلوه حال البلوغ لزمهم اباحة الكفر لهم حتى يتفكروا ورجعوا الى قولنا : ان الارادة مع المراد والاستطاعة مع الفعل ، ومن وسعه الجهل بالله فى حال ما لزم أن يسعه فى كل حال اذ لا فرق بين أحوال المكلف التى هو فيها عاقل ، ثم ان كان فى أول البلوغ عارفاً فلا حاجة للتفكر والا لم يغنِ عنه تفكره شيئا اذ لم يعرف الله سبحانه

---

(١) تقدم ذكرها .

(٢) سورة المائدة : ١٩ .

. . . .

وتعالى ، وان قالوا : المفكّر موسّع عليه حـال تفكره ، قلنـا : اخبرونا اشـاكٌ او معتقد او مؤمن او من أهل الجنـة أم بعكس ذلك ؟ ثم انـه لو كان العقل حجة لم تختلف العلماء فى التحليـل والتحريم ولم تتناسخ الشرائع لأن حجة العقل لا تختلف ، وايضاً فقد فكروا فانكروا الربوبيـة وفكروا فقـالوا : الهـين اثنـين ، وفكـروا فقـالوا : ثالث ثلاثة ، وفكـروا فقـالوا : انـه جسـم ، تعـالى الله ، فكيف لـو وكلهم الله الى عقولهـم من اول انسـان الى من تقـوم عليـه السـاعة ، ثم انهم حـال التفكر ما يفعـلون وما يذرون فى اكلهم وشربهم لمـا هـو حـرام او حـلال ونكاح محـارمهم والمحـرمات عليهم وقصاصهم وارشـهم ، وقـد كثر النزاع بـين الموحدين مع رجوعهم الى اصـل واحد ، فكيف بمن تحـيّـر ؟ وسـياتى بعض هذا الفن فى قوله : باب ما سمعه المكلف او رآه الخ ، والله اعلم .

فصـــــل

الاشر والبطـــر زيادة فيما لا يعنيـــه . . . .

فصـــــل

فى الاشر والبَطَر

(الاشر والبَطر) بفتح اوليهما وثانيهما (زيادة فيما لا يعنيه) اى : المبالغة فيه حتى يتعدى حد الله تعالى فهما كبيرة وهما مترادفان ، وان شئت فقل هما كفر النعمة ، وفى القاموس : البطر : محركة النشاط والاشر : قلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهية الشىء من غير أن يستحق الكراهة ، وبطر الحق : تكبر عنه فلم يقبله ، قال الله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ (١) وهما ناشئان عن الكبر والعياذ بالله منه ، والخلاق الكبر كلها تسمى كبراً كما فى « القناطر » من الحسد والحقد والرياء والعجب لانه اوله فى القلب ، استعظام القدر فاذا استعظم العبد قدره تعظم ، واذا تعظم انف وتعزز وافتخر واستطال ومرح واختال ، ويأتى فى كلام المصنف أن البطر

---

(١) سورة القصص : ٥٨ .

وكفر واصف بهما مسلماً لا بهيمة ولا مجنوناً ان استعملهما ويؤدب راميهما بهما . . . .

يكون بمعصية اللسان والجوارح (وكفر واصف بهما مسلماً) كفر نفاق ان لم يكن المسلم منصوصاً عليه ، وكفر شرك ان كان منصوصاً عليه (لا) واصفٌ بهما (بهيمة ولا) واصف بهما (مجنوناً) ولا غير بالغ (ان استعملهما) أى الاشر والبَطر ، وضمير الرفع فى استعمل عائد الى احد المذكورين أى ان استعمل البهيمة أو المجنون الاشر والبطر ومعنى استعمال البهيمة والمجنون الاشر والبطر عمل صورتهما بأن لا تستقيم حالهما وكذا غير بالغ (ويؤدب راميهما) أى : رامى البهيمة والمجنون وكذا رامى الطفل (بهما) أى : بالاشر والبطر كما يؤدب المجنون والطفل بتلك الافعال التى تسمى من المكلف اشراً وبطراً ، وتضرب الدابة ان كانت تستقيم بالضرب ، ولا يبرأ ممن وصف الطفل والمجنون ومن لا يكلف بالاشر والبطر لشىء رآه غير مستقيم ، واما وصفهم بذلك لا لشىء غير مستقيم فذلك كذب فيبرأ منه ، وقيل : لا يبرأ من كذب لا يوصل لشرك ولا فسدت به الاموال أو الانفس ، والفرق انه ان كان منهم ما يشبه الاشر والبطر من المكلف حمل وصفه على التشبيه ، فاما ان يريد المصنف بالرامى الكاذب بانهما اشرا ببدنهما وهما لم ياشرا ، واما ان يريد انه وصفهما بالاشر والبطر الذى هو ذنب فى حق المكلف انه يصفهما بالاشر والبطر ولو على التشبيه لانه تشبيه ادى الى ابهام الكفر ولا يوصف به ، واما ان يريد بالرامى ان يصفهما بالاشر والبطر بلا صفة منهما تشبه الاشر والبطر والشيخ احمد رحمه الله لم يذكر انه يؤدب راميهما بل ذكر مسالة اخرى وهو ان المجنون اذا صدرت منه تلك الافعال ادّب ، وما ذكره المصنف ايضاً حق مذكور فى كتاب الاحكام وغيره انه يؤدب الانسان على لفظ السوء ، وفى « الاثر » : انه تضرب الدابة لتقلع عن الفساد وان

وهلك متبرىء منهما ومن طفل ومن لا يستوجبها ورخص في غير ذي روح أن يعصى فقط ، وقيل : لا يهلك متبرىء من بهيمة . . . .

الطفل والمجنون يؤدبان على فعل ما لا يجوز من المكلف وما لا يحسن ، (**وهلك متبرىء منهما**) بان قال تبرأت منهما او قال هما كافران او أهل النار أو لعنهما الله ؛ أو يهوديان او نصرانيان ؛ أو نحو ذلك مما يوصف به المكلف الفاعل للكبيرة (**ومن طفل**) ولو كان ابوه مشركاً أو منافقاً أو موقوفاً فيه ، أو كان عنده وكذا المجنون (**ومن لا يستوجبها**) اى البراءة المفهومة من لفظ متبرء ، واراد بمن لا يستوجبها العقلاء المكلفين من الانس والجن والملائكة وغير العقلاء كالأرض والشجر وآلات العمل وغير ذلك مما لا يجرى عليه التكليف وسواء فى المكلفين ان يكونوا فى الولاية فان من تبرأ منهم كفر نفاقاً ان لم ينص عليهم وكفر شركاً ان نص عليهم ، وان يكونوا فى البراءة أو الوقوف اذا تبرأ منهم على غير وجه يوجب البراءة وذلك ان يتبرأ منهم على فعل ما يجوز لهم فعله أو يجب فعله او لا يوجب براءة ولو معصية .

(**ورخص فى**) براءته من (**غير ذى روح**) بـ (**أن يعصى**) ان يحكم عليه بمجرد العصيان (**فقط**) ويوكل أمره الى الله ؛ اذلك منه كبيرة ام لا ؟ فان أصر بريء منه لأنه ان كان ذلك كبيرة عند الله تعالى فقد اصر ايضاً ، وان كان صغيرة عند الله تعالى فقد أصر والاصرار كبير ، (**وقيل : لا يهلك متبرىء من بهيمة**) بل يحكم عليه بمجرد العصيان كما فى غير ذى روح عند هذا القائل ايضاً ، ويستثنى من غير ذى روح ما يعظم شانه كجسد الميت المتولى والمصحف والكعبة ، وحكم جسد المتولى بعد موته حكمه قبل موته ، وكذا ما انفصل من جسده فمن تبرأ من جسم نبى أو بعضه اشرك ، وكذلك المنصوص عليه ، ومن تبرا من جسم متولى غير منصوص عليه او بعضه فقد نافق ، ووجه القول الاول انه خالف الحق ووضع البراءة

فى غير موضعها ، وتقدم بين يدى الله ورسوله فى جنب البهائم والجمادات وظلمهن اذ تبرأ بلا موجب ، وفعل ذلك كله فى جنب الطفل والمجنون مع الرجوع عن العلم ان كان فى ولايته والمضى حيث يجب الوقوف ان كانا فى الوقوف ، وكذا فى البالغ العاقل ، وان تبرأ منه بما لا يوجب براءة فذلك أيضاً كتحريم حلال ، ووجه القول الثانى ان ما لا روح فيه لا يمكن ان يعاقب بالنار اصلاً ، فوصفه بموجبها ككذب لا يهرق دماً ولا يفسد مالاً ولا يوقع فى كفر ؛ لكن لا نسلّم لمن يقول : ان الكذب غير كبير الا ان كان كذلك ، ووجه الثالث فى البهيمة انها ولو كانت ذات روح لكنها كالجماد لا يمكن منها الكفر فى الحال ولا فى المآل فكانت البراءة منها كالكذب المذكور آنفا ، (عندنا وعصى) عصياناً لا ندرى اهو عند الله تعالى صغير أو كبير ؟ وهكذا حيث أطلقوا العصيان ولم نجد دليلاً على انه كفر لئلا نخرج الى القول بظهور الصغيرة واحترز بقوله : عندنا عن المخالفين ، فانه لم يرخص منهم أحد أن لا يهلك متبرىء من بهيمة وليس كذلك بل عندهم خلاف هل ذلك كبيرة ؟ فقيل : كبيرة وكفر كفر النعمة ، وقيل : صغيرة فالظاهر انه قال : عندنا تحرزاً عن أن يقال : ان هذا القول ليس فى المذهب .

(والبطر يكون بلسان) تركاً وفعلاً فالترك كترك الأمر والنهى والتعليم حيث يجب ، والقراءة حيث تجب ، والارشاد للمصلحة حيث يجب والتنبيه على المضرة والسكوت فى كل ما يجب فيه التكلم والفعل ؛ (كشتم) للمتولى والموقوف فيه وذلك فى امر الآخرة والدنيا كقولك له : يا ناقص أو يا كلب ، وخطابه بخطاب المؤنث ان لم يكن عرف كأهل تونس فانهم والعياذ بالله يقولون للذكر : انت بكسر التاء ، وكشتم المتبرّء منه بامر لا يتأهل به للشتم .

وافتراء وغيبة ونميمة ونهى عن خير وامر بشتم وايـذاء من حـرم ايذاؤه
وبغيره من الجـوارح كاضرار بهـا ومنع واجب . . . . . .

(**وافتراء**) اشد الكذب ، وقيل : الكذب عن عمد بناء على ان الكذب ايضا يطلق حيث لا عمد ولكن لا ذنب فيه ؛ (**وغيبة**) ولو لغير المتولى بان يذكر غير المتولى بما يجوز له فعله ويريد تنقيصه بذلك فان هذا فى منزلة غيبة المتولى (**ونميمة**) فانهـا حرام ولو لم يقع بها فتنة ولا حقد (**ونهى عن خير وامر بشتم وايذاء من حرم ايذاؤه**) كنسبته الى امه وندائه بابغض اسمائه ، وقوله له : يا كافر ، والسعى به لجائر يضره ، والدلالة عليه او على ماله لمن يضره ، والبهتان وذكر الايذاء بعد ذكر الشتم والافتراء والغيبة ذكر عام بعد خاص ، (**وبغيره من الجوارح كاضرار بها**) كضرب وسد طريق او مجرى وقعود او قيام فى طريق بلا اعطاء لحقها وافساد مال ، وغمز ورمز واشارة (**ومنع واجب**) من زكاة ودين وارش وصداق وغير ذلك ، واما ما يحل فعله أو قوله او تركه فليس بطرا ولو كان مكروها الا انه ان كان مكروها وذكره بلفظ البطر وقرنه بما يعلم به انه ليس معصية جاز .

والاشر كالبطر فى ذلك كله ما ذكره المصنف وما ذكرته ، ومن ذلك : الانتصار اذا ظلم فانه ليس بطرا ولا اشرا قال الله تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ (١) الاية وهذا فى القصاص والغرم والكلام حيث يجوز قـال ﷺ : « اذا قال الرجل لصاحبه : يا كافر فقد باء بالكفر احدهما ، والبادىء اظلم » (٢) فاما ان يريد بالكفر الشرك فكل منهما ظالم والبادىء اشـد

---

(١) سورة الشورى : ٤١ .
(٢) رواه ابو داود .

• • • • • • • • • • • • • •

ظلماً لأن المشتوم غير مشرك ، والشاتم له بالشرك لا يكون بشتمه به مشركاً بل منافقاً ، وأما ان يريد بالكفر النفاق فاظلم بمعنى ظالم لأن المشتوم لا يعصى اصلاً بقوله : انت الكافر ، لأن شاتمه قد كفر بشتمه بما ليس فيه ، وقد ورد الشرع باشياء لا تجوز المقابلة بها كالغيبة ، لا تقابل الغيبة بالغيبة ، ولا الشرك بالشرك ، ولا القذف بالقذف ، ولا التجسس بالتجسس ، وانما تجوز مقابلة الانسان بما فيه من سوء وبما يوصله اليه قوله او فعله ، ولا السب بالسب ، مثل السب بالآباء او الأمهات او بالقبائل او بالصنائع ، قال ﷺ : « المتسابّان شيطانان يتهاتاران » (١) ، وقال ﷺ : « وان امرء عيّرك بما فيك فلا تعيّره بما فيه » (٢) وروى ان رجلاً شتم ابا بكر رضى الله عنه وهو ساكت ، فلما بدأ ينتصر قام النبى ﷺ فقال ابو بكر : انك كنت ساكتاً لما شتمنى فلما تكلمت قمت !! قال : « كان يجيب عنك ملك ، فلما تكلمت ذهب الملك ، وجاء الشيطان فلم اكن لأجلس فى مجلس فيه الشيطان » ، وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ، ونهيه ﷺ عن التعيير بمثله نهى تنزيه لقرينة قوله تعالى : ﴿ وجزاءُ سيئة سيئة مثلها ﴾ (٣) ونحوه ، والأفضل تركه لكنه لا يعصى به ، والذى رخص فيه ان يقول : من انت وهل انت الا من بنى فلان ، قال سعد لابن مسعود : هل انت الا من بنى هذيل ؟ فقال ابن مسعود : هل انت الا من بنى امية ؟ ومثل قوله : يا احمق ، قال بعضهم : كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض ، وكذا يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل ، وكذا يا سيء الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاّباً للأعراض ، وما احقرك فى عينى بما فعلت ، ولو كان فيك حياء ما تكلمت بهذا .

---

(١) رواه البيهقى .

(٢) رواه الترمذى وابن حبان .

(٣) سورة الشورى : ٤٠ .

. . . .

وأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين والنسبة الى الزنى والفحش فحرام بالاتفاق ، وانما الرخصة فى مقابلة الايذاء بالصدق جزاء على ايذائه السابق ، وقد قال ﷺ : « المستبّان ما قالا فعلى البادىء ما لم يتعدَّ المظلوم » وهذا رخصة ، والفضل تركه لئلا يجر الى الزيادة ، فان الوقوف على مقدار الحق صعب .

ومن الناس من يغضب ولا يضبط نفسه عن الغضب ، ولكن يعود سريعاً ، ومنهم من يكف فى الابتداء ويحقد فى الدوام ، والناس أربعة : بعض كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود ، وبعض كالغضا بطىء الخمود ، وبعض بطىء الوقود سريع الخمود وهو الأجمل ما لم يخرج عن الغيرة ، وبعض سريع الوقود بطىء الخمود وهو شرهم ؛ وعنه ﷺ : « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه بتلك » (١) وقال ﷺ : « ان بنى آدم خلقوا من طبائع شتى ، منهم بطىء الغضب سريع الفىء ، ومنهم سريع الغضب سريع الفىء ، فتلك بتلك ، ومنهم سريع الغضب بطىء الفىء ألا وأن خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء ، وشرهم السريع الغضب البطىء الفىء »(٢) .

ولما كان الغضب يهيج فى الحال ويؤثر فى كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احداً فى حال غضبه عليه لأنه ربما يتعدى الواجب او يكون شافياً غيظه ومريحاً نفسه ، وانما الواجب الانتصار لله .

اراد عمر ان يأخذ سكراناً ليعزره اذا صحا فشتمه ، فرجع عمر ، فقيل

---

(١) رواه الدارقطنى .

(٢) رواه البيهقى وأبو داود .

. . . .

له في ذلك ، فقال : لأنه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضب نفسي ولم احب ان اضرب مسلماً لحمية نفسي ، وقال عمر بن عبد العزيز : لولا انك اغضبتني لعاقبتك والله اعلم ، وعنـه ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » ويروى ان علياً اتى برجل جنى جناية فراى ناساً يسيرون خلفه فقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى الا عند سوءة ، وقال الله تعالى عن هارون عليه السلام : ﴿ ولا تشمت بي الأعداء ﴾ (١) وقيل لأيوب عليه السلام : اى شيء كان اشد عليك في بلائك ؟ قال شماتة الأعداء ، قال الشاعر :

اذا ما الدهر جرّ على اناس كلاكله اناخ بآخرينـــا
فقل للشامتين بنا : افيقوا سيلقى الشّامتون كما لقينـا

وليس الفرح بمساءة الناس والشتم بهم من اخلاق العقلاء والأولياء ؛ لأن العاقل يتيقن أن الدنيا دار البلاء ، وأن من كان فيهـا لا يعطى له الأمان من الرزايا ، والأولياء من صفاتهم الرحمة لأهل البلاء .

أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : « ارحم عبادى المبتلى منهم والمعافى » قال : يا رب هذا المبتلى فما بال المعافى ؟ قال : « لقلـّةُ شكرِه ايـّاى على عافيتى » والله اعلم .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٠ .

فصــــل

وحرمت غيبــة احــــد . . . .

فصــــل

فى الغيبة

(وحرمت غيبة احد) متولى او موقوف فيه لأن اغتياب الموقوف فيه بما فيه اضرار له بما ينقصه فهو هتك لستره ، وفى معناها ذكر الفاسق بما فيه انتقاماً منه أو احتقاراً له لا لقصد نصر دين الله والتحذير عنه بل الغيبة تكون فيه ، وفى الموقوف فيه على قول الشيخ احمد والمصنف : أن ذكر احد بما ليس فيه غيبة اذا ذكره بما ليس فيــه ، قال الله تعــالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ (١) فهى محرمة بالاجماع لتشبيهها باكل ميتة الانسان ، وهى محرمة بالاجماع لحرمة اكل ميتة بالاجماع زيادة على أن النهى للتحريم بلا قرينة كما هنا ، ومن استحل الغيبة اشرك كمن استحل ميتة الانسان ، وهى كافساد المــال واهراق الدم كما جمعت معهما فى قوله

---

(١) سورة الحجرات : ١٢ .

. . . .

ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (١) وجمعت مع المـال فى قوله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله اخوانا » (٢) وعن جابر بن عبد الله وابى سعيد عن رسول الله ﷺ : « اياك والغيبة فان الغيبة اشد من الزنى ، فان الرجل قد يزنى فيتوب فيتوب الله تعالى عليه ، وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه » (٣) وعن انس عن رسول الله ﷺ : « مررت ليلة اسرى بى على قوم يخمشون وجوههم باظافرهم من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدرهم فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم » (٤) وعن سليمان بن جابر : اتيت النبى ﷺ فقلت : علمنى خيراً انتفع به ، فقال : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تصب من دلوك فى اناء المستقى وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه » (٥) وظاهر هـذا أن الحاضر لا غيبة له وهو كذلك ، ولكن ذكره بسوء بحضرته كفر ، وقال البراء : خطبنا رسول الله ﷺ حتى اسمع العواتق فى خدورهن فقال : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبّع عورة اخيه تتبّع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته » وأوحى الله الى موسى عليه السلام : « من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار » وعن أنس أمر رسول الله ﷺ

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه ابو داود .

. . . .

بصوم يوم فقال : « لا يفطرن احدكم حتى آذن له » ، فصام الناس حتى اذا امسوا جعل لرجل يجيء فيقول : يا رسول الله ظللت صائماً فاذن لى ان أفطر فيأذن لـه والرجل يجيء فيقول : يا رسول الله ظللت صائماً فاذن لى أن افطر فيأذن له حتى اذا جاء رجل فقال : يا رسول الله فتاتان من اهلى ظلتا صائمتين وانهما يستحييان أن تأتياك ، فاذن لهما أن تفطرا ، فاعرض عنه ﷺ ثم عاوده فقال : « انهما لم يصوما ، وكيف يصوم من ظل نهاره ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيئا ، فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا ، فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم » فرجع الى النبى ﷺ فاخبره ، فقال : « والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لاكلتهما النار » وفى رواية انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك ، وقال : يا رسول الله انهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان ، فقال النبى ﷺ :« اتونى بهما » فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لاحداهما : قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح ، وقال للاخرى : قيئى فقاءت كذلك ، فقال « ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس » .

وعن انس خطبنا رسول الله ﷺ فذكر لنا الربا وعظم شأنه ، فذكر أن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيهما الرجل ، واربى الربا عرض الرجل المسلم ، وقال جابر كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فاتى على قبرين يعذب صاحباهما ، فقال : « انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير اما احدهما فكان يغتاب الناس ، واما الآخر فكان لا يستبرىء من البول » (١) فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما

---

(١) رواه مسلم .

. . . .

ثم أمر بكل واحــدة منهما فغرست على قبرهما فقال : « أما انه قد يهون من عذابهما ما كانا رطبتين أو ما لم ييبسا » ولمــا رجم رســول الله ﷺ ما عزاً فى الزنى فقال رجل لصاحبه : هذا قعص كما يقعص الكلب ، فمرّ رسول الله ﷺ وهما معه بجيفة فقال : انهشا منها فقالا : يا رسول الله انَنْهش جيفة ؟ فقال : « ما أصبتما من اخيكما انتن من هــذا » وكان الصحابة يتلاقون بالبشْر ولا يغتابون عنــد الغيبة ويرون ذلك افضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين والبشْر بالباء » (٢) المعجمة والراء أو بالباء والراء ، واما بالشين والراء فلعل المراد بالشر المعاتبة نصحا فانه قيل : خير الأعمال وقال ابو هريرة : من اكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه فى الآخرة ، وقيل : له كله ميتا كما اكلته حياً فياكله ويكلح يعنى لحم نفسه ، وروى مرفوعــاً كذلك ، وروى ان رجلين قعدا عند باب المسجد فمر بهما مخنث قد ترك ذلك فقالا : قد بقى فيه شىء منه واقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك فى أنفسهما ما قالا ، فسالا عطاء فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلاة وامرهما ان يقضيا الصيام ان كانا صائمين ، وعن مجاهد انه قال : « ويل لكلّ همزة لمزة » (١) الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى ياكل لحوم الناس ، وعن قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة ، وثلث من البول ، وثلث من النميمة ، وقال الحسن : والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الأكلة فى الجسد ، وقال بعض : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة

---

(١) قوله : بالباء والشين والراء الخ الظاهر أن قوله : وكان الصحابة يتلاقون بالبشر الخ فيه ثلاث روايات كما يدل له قوله ، وبالباء والراء ، واما بالشين والراء فلعل الخ ولم اقف على الروايتين الاخرتين رغم شدة بحثى عليهما فى كثير من مظانهما .

(٢) سورة الهمزة : ١ .

. . . .

فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن اعراض الناس اى : لا يرغبون بالتقرب الى الله بصلاة النّفل أو صومه رغبتهم فى التقرب اليه بترك اعراض الناس ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ؛ وقال ابو هريرة : يبصر احدكم القذارة فى عين اخيه ويدع الجذع فى عينه ، وكان الحسن يقول : ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك ، فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك ، ولحب العبادة الى الله تعالى ما كان هكذا ، وعن مالك بن دينار : مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما انتن ريح هذا الكلب ، فقال عليه السلام : « ما اشد بياض اسنانه » نبههم ان يذكروا محاسن الشيء ويعرضوا عن مساويه ، وسمع على ابن الحسن رجلاً يغتاب آخر فقال له : اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار ، وقال عمر رضى الله عنه : اياكم وذكْر الناس فانه داء وعليكم بذكر الله فانه شفاء ، والغيبة وان كانت صدقاً فهى تزيد فى القبح على الكذب ، ونقض العهد ، لأنها جناية وهتك ستر يحدثان عن حسد ، وعنه ﷺ : « يا ابا هريرة ان شئت ان يفشى الله لك الثناء الحسن فى الدنيا والآخرة فكفّ لسانك عن غيبة المسلمين » (١) وعنه ﷺ : « ما صام من ظل ياكل لحوم الناس » (٢) وعن عمر رضى الله عنه : لا يعجبنكم من الرجل طنطنته ولكن من ادى الأمانة وكف عن اعراض الناس فهو الرجل ، وطنطنته كلامه ، أو عظمُ جسمه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما : اذكر اخاك اذا توارى عنك بما تحب ان يذكرك به اذا تواريت عنه ، وقال مالك : كفى بالمرء ان لا يكون صالحاً ويقع فى الصالحين ، وقال عدى بن

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن ماجة .

. . . .

حاتم : الغيبة رعى اللئام ، وقال الشاعر :

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا
فيكشف الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا
ولا تعبُ احداً منهم بما فيكا

اى لا تعب احداً بشىء مطلقاً لان فيك العيب اما من نوع ذلك العيب او من غيره ، وعن الحسن : الغيبة : فاكهة النساء ، وقال ابن السماك : لا تعن الناس على عيبك بسوء غيبك ، وقال ﷺ لمعاذ رضى الله عنه : « اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاّب العلم ، ولا تمزّق الناس بلسانك فيمزقك كلاب النار » وقال ابو قلابة : ان فى الغيبة خراب القلب من الهدى فنسال الله العصمة ، وحسبك من الغيبة شؤماً محقها للحسنات وابطالها للطاعات ، وعنه ﷺ : « ان الغيبة تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتهدم الاعمال هدماً وتسقى اصول الشرّ » ، وقيل للحسن ان فلاناً اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رُطب فجاءه الرجل فقال : انى اغتبتك وانت اهديت الى فقال : بلغنا انك اهديت الينا حسناتك فاردت ان اكافئك بهذا فاعذرنى على التمام ، فقال ابراهيم للذى اغتاب الحسن : يا مكذب بخلت بدنياك عن اصدقائك وجدت بحسناتك على اعدائك فما انت فيما تبخل عنهم بمعذور ولا انت فيما سخوت به بمشكور ، وقال ﷺ : « احذروا على حسناتكم أن تنمّلَ منكم بالاغتياب كما ينمل الماء من يد احدكم » (١) وقال ﷺ : « ما النار باليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد » (٢) وقال ابن المبارك لو

(١) رواه ابو داود .
(٢) رواه البيهقى .

. . . .

كنت مغتابا لاغتبت امى لأنها احق بحسناتى ، وعن حاتم الأصم انه فاته القيام ذات ليلة فلما اصبح عزّته زوجته فقـال : ان اقواماً صلوا بالليل البارحة فلما اصبحوا نالوا منى فتكون صلاتهم فى ميزانى يوم القيامة .

ومستمع الغيبة شريك للمغتاب ، والواجب عليه ان ينكر عليه وان لم يقدر عليه فليعتزل ان امكنت العزلة ، وان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهى سماع ذلك فان ذلك نفاق ان استمع ، وعنه ﷺ : « المستمع احد المغتابين »(١) قال بعض : لأن ادع الغيبة احب الىّ من ان تكون لى الدنيا منذ خلقت الى ان تفن فاجعلها فى سبيل الله . قال ﷺ : « من ذبّ عن لحم اخيـه بظهر الغيب كان حقاً على الله ان يحرم لحمه على النار » (٢) واخسس باخ يرى الكلاب تمزق لحم اخيه ولا تحركه الشفقة على الذب عنه ، ويقال : مثلُ من يغتاب الناس كمثل الجعل يعجز عن نيل الطرائف وينكب على العذرة ، فالغيبة مرتع الشياطين وادام السنة الغافلين .

وعن جابر بن عبد الله : هاج ريح منتنة على عهد رسول الله ﷺ فقال : « ان ناساً من المنافقين قـد اغتابوا اناسـاً من المؤمنين ، فلذلك هاجت الريح » (٣) وقيل لبعض الحكماء : ان ريح الغيبة ونتنها كان يتبين على عهد رسول الله ولا يتبين فى وقتنا هذا ، قال : لأن الغيبة قد كثرت فى وقتنا هــذا فلم يتبين ريحها ، ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدّباغين فلا يقدر

---

(١) رواه ابن حبان .

(٢) رواه الدارقطنى وابو داود .

(٣) رواه البيهقى وابن حبان .

. . . .

على القرار فيها من شدة تلك الرائحة ، واهل تلك الديار ياكلون ويشربون فيها ، ولا تتبين لهم تلك الرائحة لانهم قد امتلأت انوفهم منها ، فكذلك امر الغيبة فى زماننا ، هـذا وروى ان ابراهيم بن ادهم اضاف ناساً فلمـا قعدوا على الطعام جعلوا يتناولون رجالاً فقال لهم ابراهيم : ان الذين كانوا قبلنا كانوا ياكلون الخبز قبل اللحم وانتم بداتم باللحم قبل الخبز ، وروى عن ابى امامة الباهلى : « ان العبد ليقرأ كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها فيقول : يارب من اين لى هـذا ؟ فيقول : هذا بما اغتابك الناس وانت لا تشعر ، وروى عن بعض الحكماء : الغيبة فاكهة القراء وضيافة الفساق ومراتع النســاء وادام لكلاب الناس ومزابل للاتقياء ، وقيل : ادام لكلاب النـــار .

وذكر عن عيسى عليه السلام انه قال لاصحابه : لو انكم اتيتم على رجل نائم قد كشف الريح عن بعض عورته لكنتم تسترونها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : بل كنتم تكشفون البقية قالوا : سبحان الله ! فقال : اليس يذكر الرجل عندكم فتذكرونه باسوأ ما فيه فانتم تكشفون بقية الثوب عن عورته ، وروى عن خالد الربعى انه قال : كنت فى المسجد الحرام حول اناس فتناولوا رجلاً فنهيتهم عن ذلك فكفّوا عنه فاخذوا فى غيره ثم عادوا اليه فدخلت معهم فى شىء من امره فرايت تلك الليلة كانه اتانى رجل اسود جداً ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فقال لى : كل ؛ فقلت : آكل لم الخنزير ؟ والله لا آكله فانتهرنى انتهاراً شديداً فقال : قد اكلت ما هو اشر منه فجعل يدسه فى فمى حتى استيقظت من منامى ؛ فوالله لقد مكثت ثلاثين يوماً او اربعين يوماً ما اكلت طعاماً الا وجدت فيه طعم ذلك اللحم فى فمى .

وعن سفيان بن الحسين : كنت جالساً عند سفيان بن معاوية فمرّ رجل

. . . .

فتناولت منه فقال : اسكت ، ثم قال : يا سفيان هل غزوت الروم ؟ قلت : لا ، قال : هل غزوت الترك ؟ قلت : لا ، قال : سلم منك الروم والترك وماسلم منك اخوك المسلم ، قال : فما عدت الى ذلك بعده .

وعن حاتم الزاهد : ثلاث اذا كنّ في مجلس فالرحمة عنهم مصروفة : ذكر الدنيا ، والضحك ، والوقيعة في الناس ، وعن يحيى بن معاذ انه قال : ليكن حظ المسلم منك ثلاث خصال تكن من المحسنين : ان لم تقدر على نفعه فلا تضره وان لم تسرّه فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه ، وعن مجاهد : ان لابن آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر احدهم اخاه بخير قالت الملائكة : ولك مثله ، واذا ذكر اخاه بسوء قالوا : يا ابن آدم كشفت المستور عليه عورته ارجع الى نفسك واحمد الله الذى ستر عليك عورتك ، وعن بعض الحكماء : ان ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث ، ان ضعفت عن الخير فامسك عن الشر ، وان كنت لا تستطيع ان تنفع الناس فلا تضرهم ، وان كنت لا تستطيع ان تصوم فلا تاكل لحوم الناس .

قال السمرقندى : سمعت ابى يحكى عن الانبياء الذين لم يكونوا مرسلين ان بعضهم كانوا يرون في المنام وبعضهم كانوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً فكان منهم نبى من الانبياء من الذين يرون في المنام ، فراى ليلة من الليالى في منامه انه قيل له : اذا اصبحت فاول شيء يستقبلك فكلْه والثانى اكتمه ؛ والثالث اقبَلْه والرابع لا تؤيسه والخامس اهرب منه ، فلما اصبح لقيه جبل اسود عظيم فوقف وتحيّر وقال : امرنى ربى باكل هذا ثم رجع نفسه وقال : ان ربى لا يامرنى بما لا اطيق ، فلما عزم على اكله مشى اليه فلما قرب منه ودنا صغر ذلك الجبل ، فلما انتهى وجده لقمة فاكلها احلى

. . . .

من العسل وحمد الله تعالى ومضى ، فاستقبله طست من ذهب وقال : قد امرت أن اكتمه فحفر له ودفنه ومضى فاذا هو على وجه الأرض فنظر اليه وقال : انى قد صنعت ما امرت به وذهب فاستقبله طائر وخلفه باز يريد أخذه فقال : يا نبى الله أغثنى فقبله وجعله فى كمه فقال البازى : يا نبى الله انى جائع وقد كنت فى طلب هذا الطائر منذ غداة ، فجهدت فى امره حتى اردت أخذه فلا تؤيسنى من رزقى فقال فى نفسه : انى أمرت أن اقبل الثالث وامرت ان لا أؤيس الرابع وهو هـذا البازى فكيف أصنع ؟ فتحير فى امره ؛ ثم أخذ السكين فقطع من فخذه ورمى الى البازى فأخذ ومضى وأرسل الطائر ثم مضى فرأى جيفة منتنة فهرب منها فلما امسى قال : يا رب قد فعلت ما أمرتنى فبيّن لى هذا الأمر ما هو ! فلما نام قيل له : اما الأول الذى اكلته : فهو الغضب يكون اوله كالجبل فاذا صبر وكظم غيظه صار لحلى من العسل ، واما الثانى : فهو أن يعمل العبد حسنة فان كتمها فلا بد لها أن تظهر ، واما الثالث : فمن ائتمنك بالأمانة فلا تخنه ، وأما الرابع اذا سألك انسان حاجة فاجتهد فى قضائها وان كنت محتاجا اليها ، والخامس : الجيفة المنتنة فاهرب من الذين يغتابون الناس .

والغيبة من اقبح القبائح واكثرها انتشاراً فى الناس حتى لا يسلم منها الا القليل ، وعن أنس : « من اغتاب المسلمين واكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جىء به يوم القيامة مزرقّة عيناه ينادى بالويل والثبور يُعْرَفُ أهله ولا يعرفونه » وقال معاوية بن قرة : أفضل الناس عند الله اسلمهم صدراً واقلهم غيبة ، وقال الأحنف بن قيس : فىّ خصلتان لا اغتاب جليسى اذا غاب عنى ولا ادخل فى امـر قوم حتى يدخلوننى فيه ، وقيل للربيع بن خيثم : ما نراك تعيب أحـداً ، فقال : لست على نفسى راضـياً فاتفرغ لذم الناس ، وأنشـد :

لنفسى ابكى لست ابكى لغـيرها لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

. . . .

قال محمد بن حزم : أول من عمل الصابون سليمان ، وأول من عمل السويق ذو القرنين ، واول من عمل الحيس يوسف ، واول من عمل خبز الجرادق نمرود ، وأول من كتب فى القراطيس الحجاج ، وأول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام ، ويقال : لا تامن من كذب لك ان يكذب عليك ، ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابكَ عندَ غيرك ، وعن ابى أمامة عن رسول الله ﷺ : « ان الرجل ليؤتى كتابه منشوراً فيقول : يارب وأين حسنات كذا وكذا عملتها ليست فى صحيفتى ؟ فيقول : محيَتْ باغتيابك الناس (١) » وعن عثمان بن عفان سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الغيبة والنميمة تحتّان الايمان كما يعضد الراعى الشجرة (٢) » وعن ابن عباس رضى الله عنهما : نظر رسول الله ﷺ فى النار ليلة أسرى به فاذا قوم ياكلون الجيف قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين كانوا ياكلون لحوم الناس (٣) » وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ : « من نصر أخاه المسلم بالغيب نصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة (٤) » ، وعن انس عنه ﷺ : « من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه اثمه فى الدنيا والآخرة (٥) » .

واعلم أنه لا يكفى ان يشير باليد او نحوها أن اسكت ، بل يصرّح بالرد والا كان مستحقراً للمذكور ، وعنه ﷺ « من اذلّ عنده مؤمن فلم

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى وابن حبان والبيهقى .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه ابو داود .

(٥) رواه ابو داود .

ينصره وهو يقدر على نصره اذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق (١) ، وعن أنس عنه ﷺ : « من حمى عرض أخيه فى الدنيـا بعث الله تعالى ملكاً يـوم القيـامة يحميه عن النـار (٢) » وعـن أبى الـدرداء عن رسـول الله ﷺ : « من ذب عن عرض أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة (٣) » وتلا رسـول الله ﷺ : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (٤) ﴾ .

(ولـو) كان المغتاب (طفـلا) او طفلة (أو مجنـوناً) أو مجنونة (أو عبـداً) أو أمـة فكيف لو اغتـاب غيرهم أو اغتـاب اثنين أو ثلاثـة أو أكثر بمـرة كمن يغتاب قوماً أو أهـل بلدة أو نحـو ذلك من العمـوم كالبربر ، قال ﷺ : « أكذب الناس من يهجـو قبيلة باسرها » ، وعن قاضى خان من علماء الترك : اغتـاب رجل أهل قرية فقال : اهـل القرية كـذا لم يكن ذلك غيبة لأنه لا يريـد جميع أهل القرية بل المـراد البعض وهو مجهول فلا شيء على السامع لأن المذكـور مجهول ولا يحسن هـذا التعميم ، ولو أراد الخصوص .

قال السمرقندى : لا تكون الغيبة الا عن قوم معلومين فلو قلت : اهـل مصر كذا بخلاء أو قوم سوء فلا يكون ذلك غيبة لأن فيهم البارّ والفاجر ، وعلم أنه لم يرد الجميع والكف عن ذلك افضل ، والتخيى بالطفل والمجنون اعتباراً لاحتقارهما عادة والا فقـد يكونان ابعد عن الغيبـة فيهمـا مثل أن

---

(١) رواه ابن ماجة .

(٢) رواه ابو داود .

(٣) رواه ابو داود والدارقطنى .

(٤) سورة الروم : ٤٧ .

يكون الطفل لمتولى والمجنون له ايضاً ، وجن من الطفولية مع انه لا يكتب القلم على الطفل والمجنون مطلقاً .

(و) الغيبـة (**هى الاخبـار عنه**) اى : عن مطلق الانسان المتبرا منه والموقوف فيه بدليل استثناء الكافر بعد ، وتكون الغيبة فى عرض الجـن والملائكة وفى حكم الاخبـار الكتابة والمحاكاة لمـا قال أو فعـل والاشـارة باليـد او غيرها من الجـوارح .

قال صاحب كتاب « الطريقة المحمدية » : الغيبة ذكر مساوىء اخيك المعيّن المعلوم عند المخاطب أو محاكاتها وتفهيمها باليـد أو غيرهـا من الجـوارح على وجه السبّ والبغض وفى « المستطرف » : الغيبة ذكـرك الانســان بما فيه وبما يكره سواء كان فى دينـه أو بدنه أو نفسـه او خلقـه أو ماله أو ولده أو والده او زوجته أو خادمه أو عمامته أو ثوبـه أو مشيته أو حركته او بشــاشته او خلاعته أو غـير ذلك مما يتعلق بـه ، سـواء ذكرته بلفظك او بكتابك ، أو رمزت اليـه بعينك أو يدك أو رأسـك أو نحـو ذلك ، فاما الدين فكقولك : سـارق خائن ظالم متهاون بالصـلاة متساهل فى النجاسات بـاراً بوالديه ، قليـل الأدب ، لا يضـع الزكاة مواضعها ، لا يجتنب الغيبة ، واما البـدن فكقولك : أعمى أو اعـرج أو اعمش أو قصير أو طويل أو اسود او أصفر ، وأما غيرهما فكقولك : فلا قليـل الأدب متهاون بالناس لا يرى لأحـد عليـه حقـاً كثير النـوم ، كثير الأكل ، وما اشـبه ذلك ، أو كقولك : فلان أبوه نجـار أو اسكاف أو حـداد أو حائك تريـد تنقيصه بذلك ، او فلان سىء الخلق متكبر مراء معجب عجـول جبار ونحو ذلك ، او فلان واسـع الكم ، طويل الذيل ، وسـخ الثوب ، ونحـو ذلك .

. . . .

ولا يخفى أن حرمة نحو الرثاء والاعجاب من الدين كالسرقة ، وفى كتاب « الطريقة المحمدية » : الغيبة تعم ذكر عيوب الدين والدنيا لكن بشرط معرفة المخاطب وان يكون على وجه السب عند علمائنا ، فذكر ما مر عن قاضى خان وذكر عنه : الرجل يصلى ويصوم ويضر الناس باليد واللسان ، فذكر بما فيه لا يكون غيبة وان اخبر السلطان بذلك ليزجره فلا اثم عليه وذكر رجلا يذكر مساوىء اخيه على وجه الاهتمام لم يكن ذلك غيبة ، انما الغيبة : ان يذكر على وجه الغضب يريد به السب ، قال : فذكر العيب لتغيير المنكر أو للاستفتاء أو للتحذير من شره أو التعريف كالأعرج ونحوها ليس بغيبة ، ولا غيبة للمجاهر بالفسق والظلم ، وتكون الغيبة أيضاً بالقلب وهى ظن السوء اذا ظن سوءاً أو أبقى نفسه على الظن وأقرها عليه كما يعبر عنه بتحقيق الظن فى قوله ﷺ : « اذا ظننت فلا تحقق » أى : لا تحقق بعقد ولا فعل لا فى القلب ولا فى الجوارح ، أما فى القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة فان امارة عقد الظن ان يتغير القلب منه عما كان فينفر نفوراً ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه ، واما فى الجوارح فالعمل بموجبه ، فالواجب ان تكف عن ذلك وتقول : هو رجل مستور الحال ولا يعلم الغيب الا الله ، فما دمت لم تشاهد مشاهدة لا تحتمل التأويل فالأمر مستور ودعه فى الستر واعرض عما يلقيه الشيطان فانه افسق الفساق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا (١) » بل لو حكى عدل واحد لكان الستر باقياً ايضاً ، فلو كذبت هذا العدل ايضاً لكنت أحسنت الظن بواحد واسأته بآخر ، بل ان احتمل العدل التأويل فاحمله عليه ولكن ان كان خبر العدل مما يوجب البراءة تبرأت منه لا من المحكى عنه الا عند

---

(١) سورة الحجرات : ٦ .

. . . .

من زعم أنه يتبرا بخبر الواحد ، ويناسب أن الغيبة تكون بالقلب ، أن عابداً سأل عالماً عن شيء من الحلال على التورع فقال العالم في قلبه : أبقى من يسأل عن مثل هذا ؟ فقال العابد : الغيبة حرام ، وظهر له في أرض من الذهب وغاب عنه ولم يره .

وإذا نصحت انساناً بعيبه فاحذر أن تفرح باطلاعك عليه وأن تقصد الترفع عليه وتذلله لك وإلا فذلك غيبة ، واحذر أن يغرك الشيطان في الظن فيقول : انك شديد التيقظ للاحوال سريع الفهم وإن المؤمن بنور الله يبصر فإن ذلك منه غرور بل الاذعان للظن ظلمة من الشيطان وغرور ، فقد بان لك أن الغيبة تكون بالجارحة واللسان والقلب وبالكتب والرمز وبالسكوت مع القدرة على الانكار فلم ينكر أو على القيام فلم يقم أو على القطع بكلام آخر فلم يقطع فهذه مراتب بحسب الطاقة ، ولو قلت : اقطع فلاناً أو ارتجم تشير الى أنه سارق أو زان لكان غيبة ولو كان أمراً لا اخباراً ففي « المستطرف » اذا حاكى انسان انساناً بأن يمشي متعارجاً أو متطاطاً أو غير ذلك من الهيئات يريد تنقيصه بذلك فهو حرام ، وبعض المتفقهة والمتعبدة يعرضون بالغيبة تعريضاً تفهم به كما تفهم بالتصريح ، فيقال لأحدهم : كيف حال فلان ؟ فيقول : الله يصلحنا الله يغفر لنا ، الله يصلحه ، نسأل الله العافية ، نحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة ، نعوذ بالله من الكبر ، يعافينا الله من قلة الحياء ، الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما ينقصه ، فكل ذلك غيبة محرمة .

قال الغزالي : اعلم أن الذكر باللسان انما حرم لأن فيه تنقيص الغير فالتعريض به كالتصريح ، والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ، فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها : دخلت علينا

امـرأة فلما ولت أومات بيدى انهـا قصيرة ، فقال عليه الصـلاة والسلام : « اغتبتها » ، والمحاكاة مثل ان يمشى متعارجاً اشـد من غيبة اللسـان فى نـوع ما يحاكى لو اغتـابه فيه باللسـان لان المحاكاة أعظم فى التصوير والتفهيم ولـما [رآها] ﷺ حاكت قال : « ما يسرنى انى حاكيت ولى كذا أو كـذا » ويدل لـما ذكرناه من الغيبـة بالكتاب ما ثبت ان الكتـابة كلام لحديث : « القلم احـد اللسانين » فالمؤلف مغتـاب اذا عين احـداً وقـدح فى كلامه لقصـد تنقيصه لا لرد البدعة ان ابتدع .

ومن كتب او تكلم بلا تصريح لكن ذكر ما يفهم منـه المغتـاب فقـد اغتاب مثل ان يقول : بعض من مر بنـا اليـوم ، اذا كان المخاطب يفهم المراد ، وكان ﷺ يقول : « ما بال اقوام » ولا يعين ، واخبث الغيبة غيبة قارىء او عابد يغتاب غـيره مزكيا لنفسه مرائياً ، مثل ان يفهم المـراد بـلا تصريح مدعياً التعفف عن الغيبة يقول : ما احـفـظ فلاناً للقـران لكن قد لا يجـّوده كما ابتلينا بذلك او كما نحـن اهـل التقصير فيذم نفسـه تشبـّهاً بالصالحين ، وقصـده ذم المذكـور وربمـا غفـل السـامع فيقـول المغتاب : سبحان الله ما اعجب هذا ، فيتوصل بذكر الله الى تيقظ العاقل ويستخرج منه بمعجبه ان يدخله معه فى الغيبة ، وقد كان يدخـل فيهـا بالسكوت كما مـر ان المستمع شريك المغتاب كما مر فى حديث قول احـد الرجلين فى ماعز انه اقعص كما يقعص الكلب فجمعهما ﷺ فى قوله « انهشـا من هذه الجيفة » الخ ، وقال أبو بكر أو عمـر للآخـر : ان فلاناً لنـوم ثم انهماطلبا ادماً من رسـول الله ﷺ لياكلا به الخبز ، فقـال ﷺ : « قـد ائتدمتما » فقـالا : ما نعلمـه ، قـال : « بلى انكما اكلتمـا من لحـم أخيكما » فجمعهما لان من لم يقل منهما قد استمع (بمنقص) اى بامـر منقص دنيـوى أو دينى .

قال معاذ بن جبل : ذكر رجل عند رسـول الله ﷺ فقالوا ما أعجـزه !

. . . .

فقال ﷺ : « اغتبتم اخاكم » قالوا : يا رسول الله قلنا ما فيه قال : « ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه (١) » وعن أبى هريرة : كنا عند النبى ﷺ فقام رجل فقالوا : يا رسول الله ما اعجز فلانا أو قالوا : ما أضعف فلانا ! فقال النبى ﷺ : « اغتبتم صاحبكم وأكلتم لحمه » ، وعن عائشة قلت للنبى ﷺ : يا رسول الله حسبك من صفية قصرها ، قال : « لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته (٢) » .

وعن حذيفة أنه ذكرت امرأة عند عائشة رضى الله عنها فقالت : انها قصيرة فقال ﷺ : « اغتبتها » ، وذكر ابن سيرين رجلاً فقال : وذاك الرجل الأسود ثم قال : استغفر الله انى أرانى قد اغتبته ، وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعى فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور ومع ذلك لم يرد تنقيصه ، ولو أراده لعدّة غيبة ، وقالت عائشة رضى الله عنها : لا تغتابنّ أحداً فانى قلت لامرأة مرة وانا عند النبى ﷺ : ان هذه لطويلة الذيل فقال : « الفظى » فلفظت مضغة من لحم ، وذكر عن ابراهيم بن أدهم انه دُعى الى طعام فلما قالوا : ان فلانا لم يجىء فقال رجل منهم : ان فلانا رجل ثقيل فقال ابراهيم : انما فعل هذا من أجلى والله لا شهدتُ طعاماً اغتيب فيه المؤمن ، فخرج ولم ياكل ثلاثة أيام .

وعن بعض المتقدمين : لو قلت ثوب فلان طويل أو قصير لكان غيبة فاذا كان ذكرك ثيابه غيبة فكيف اذا ذكرت نفسه ، وفى رواية أن امرأة قصيرة دخلت على النبى ﷺ فلما خرجت قالت عائشة : ما أقصرها يا رسول الله ، فقال : « لقد اغتبتها » فقالت عائشة : ما قلت الا ما فيها ، قال :

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .

. . . .

« ذكرت أقبح ما فيهـا » وكان زيد بن ثابت يحدّث اهل الصفّة بما سمع من رسول الله ﷺ من الاحاديث ، فاتى النبى ﷺ بلحم فقالوا لزيد : ادخل على النبى ﷺ وقل له انا لم ناكل منـذ كذا وكذا ليبعث لنـا من ذلك اللحـم ، ولمـا قام من عندهم قالوا فيما بينهم : ان زيـداً لقى النبى ﷺ كما لقيناه فكيف نجلس يحدثنا ، فلما دخل زيد على النبى ﷺ وادى الرسالة قال النبى ﷺ : « قل لهم قد اكلتم اللحـم الآن » وقالوا : ما اردنا بذلك الاّ خيْراً .

وعن السّدى : كان سلمان الفارسى فى سفر مع ناس فيهم عمـر فنزلوا منزلاً فضربوا خيامهم وصنعوا طعامهم ونام سلمان فقال بعض القـوم : ما يريد هذا العبـد الا أن يجىء الى خيام مضروبة وطعام مصنوع ، ثـم قالوا بعد ذلك : انطلق الى النبى ﷺ فالتمس لنا اداماً نتادّم به ، فاتى النبى ﷺ فاخبره فقال النبى ﷺ : « قد ائتدموا » فرجع اليهم فاخبرهم بذلك فقالوا : ما طعمتنا وما كذب النبى ﷺ فقال لهم : « انكم قد ائتدمتم من لحـم صاحبكم حيث قلتم ما قلتم وهو نائم » ثم قرأ عليهم : ﴿ يا أيهـا الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ (١) ﴾ الآيـة ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى شان رجل من أصحاب النبى ﷺ ، وذلك أن النبى ﷺ ضم مع كل رجلين غنيين فى السفر رجلاً قليل الشىء ليصيب معهما من طعامهما ويتقدمهما فى المنزل وما يصلحهما ، وقد ضـم سلمان الى رجلين فنزلا منزلاً من المنازل ذات يوم ولم يهىء لهما شيئا فقالا له : اذهب الى النبى ﷺ فسَل لنا منه فضـل ادام ، فانطلق فقال احدهما لصاحبـه حين غاب عنهما : انه لو اتى الى بئر كـذا لنفذ المـاء ، فلما انتهى الى النبى ﷺ وبلّغه الرسالة قال له : « قل لهما قد أكلتما اللحم فى أفواهكما » ، فقالا : لم يكن عندنا شىء وما أكلنـا اللحـم اليـوم ، فقال : « اكلتما لحـم

---

(١) سورة الحجرات : ١٢ .

اخيكما حين قلتما حين غاب عنكما » ثم قال : « اتحبـان ان تاكـلا لحمـه ميتاً ؟ فقالا : لا ، فقال : فكما كرهتمـا ان تاكلا لحمـه ميتاً فلا تغتـاباه فانـه من اغتاب اخـاه فقد أكل لحمـه » فنزل قوله تعالى ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ الآية .

ولا غيبة لصاحب الكبيرة اذا ذكر تنقيصاً له لمعصيته لتهـان المعاصى او ليحـذر منه ، واما ذكـره عبثاً فلا خير فيـه وقد عـدّه بعضهم غيبة ، واما ذكره انتقاماً منه للنفس او ترفّعاً عليه فغيبة ، وقد ذكـرت امـراة عنده ﷺ بانهـا بخيلة فقال : « وما خيرها ؟ » اذ قال ذلك ليفيـد الأمـة مذمة البخـل ويزيد تنفيرهم عن البخـل ولـو كان صاحبه فى مكان من العبـادة (وان فى غيبته) أى عدم حضوره وهى الغيبة اللغـوية فلا دَوْرٌ لأن المحـدود الغيبـة العرفيـة وانمـا غيّا بعـدم حضـوره باعتبـار ان حضوره اشـد لأنه يسمع ما يكره ، وكـذا لو لـم يحضر ووصـل اليـه ما يكره فالغيبة فى هذا العرف تكون بحضرة المغتاب كما تكون فى عـدم حضوره ، والمشهور انه لا يسمى غيبـة الا ان لـم يحضر اتبـاعاً للمعنى اللغوى ، فان حضر سمى ذلك باسماء اخـر كالسب والظلم والاضرار واذا كتب اليه أو ارسـل اليه فذلك كالحضـور فذكره بمـا ينقصـه فى حضرته او بكتاب اليـه أو ارسـال غيبة حقيقة فى هذا العـرف مجـاز لغوى لأن التنقيص لم يغب عنـه ، (أو اذن) المغتاب لمن يغتـاب (بـه) أى فى الاخبـار بمنقص (او احبـه) اى أحب الاخبـار بمنقص (أو جهـل) الذى يذكر بالمنقص انه منقص ، وكذا لو جهـل الذاكر له به أنه منقص لا يعـذر لأنـه اقترف اذ كان مما يدرك بالعـلم ويجـوز بناؤه للمفعـول فيكون المعنى ان الغيبة تكـون للمعروف والمجهـول فاذا كان شىء ينقص الانسـان فلا يذكر به ولو احب ذلك الانسـان ان يذكر بـه او اذن لـمن يذكـره به ، كما انـه لو امـرك ان تقتـله أو تضره فى بدنـه أو تفسـد

ماله لم يجـز لك ، وقيل : ان لم يكن ذنباً وأحب الذكر به أو أذن لك جاز ذكره به ، وشمل كلام المصنف كصاحب الأصل الاخبـار بمنقص بلا قصـد تنقيص فانه أيضا غيبة ولم يشمل مالا ينقص ، والمذكـور به يكره الذكـر به فانه غيبة ولو كان مدحاً له لأنـه قد كره الذكـر به ، سـواء كان مباحاً أو مكروهاً أو عبادة ، فان ذكره به غيبة من حيث انه يكـرهه ، مثل ان يكره ذكره بعبادة مخصوصة ميلا من المذكـور الى توفـير الأجـر بكتمان النقل ، وحذراً من مضـار الشهرة والرئاء ، واما ذكره بلفظ عام يوجـب الولاية أو لا يوجبهـا مثل ان تقـول : انه موحـد أو مقـرّ أو مؤمن أو موف فجـائز ، وشمل ذكره ما لم يكن فيـه فانه غيبة من حيث انـه يضره وبهتان من حيث انه ليس فيه ، والمشهور ان ذكـره بما ليس فيـه لا يسمى غيبة بل بهتاناً وهو الصحيح وما ذكره المصنف عرف لبعض .

وعن ابى هريرة عن رسول الله ﷺ : « اتدرون ما الغيبـة ؟ قالوا : الله ورسـوله اعلم ، قال : ذكرك اخـاك بما يكره ، قيـل : ارأيت ان كان فى اخى ما اقـول ؟ قال : ان كان فيـه ما تقـول فقد اغتبته ، وان لـم يكن فقـد بـَهـَتـّه (١) » وعن الحسن : الغيبة والبهتـان والافك كلهـا مذكـورة فى القـرآن ، فالغيبة ان تقـول ما فيـه ، والبهتان ان تقـول ما ليس فيه ، والافك أن تقول ما بلغـَك .

(وهل محلّهـا) من قال : ان الغيبة حـلال او اعتقـد أنهـا حلال أو قال أو اعتقـد ان اغتيابى حـلال لما يغتابنى أو لفـلان أو اغتيـاب غـيره ، (وآمـر بهـا) عمـوماً أو بغيبـة نفسـه أو غـيره

(١) رواه مسلم .

وآذن بهــا جــاز عن كافر بسوء فعله وتنقيصه به والبراءة منه ٠ ٠ ٠

(وآذن بهــا) لكن تحليلها شرك ان اطلق وان علق بفلان فنفاق بان قال : قد اجزت لك ان تغتابنى او نحو ذلك ، واما ان كان لا غيبة له او لغيره فامر بذكره أو ذكر غيره او آذن أو احل فلا باس لانــه لا غيبــة هنــاك اذا كان الذكر بما فيه من كفر أو سوء كما قال ٠

و (جــاز) الاخبــار (عن كافــر) كفر شرك او نفاق (بسوء فعله) من مكــروه أو عــدم أدب أو معصية غــير كبــيرة أو بكبــيرة ، (وتنقيصــه بــه) أى : بســوء فعــله (والبــراءة منــه) لا بمــا فعــل له فيه كعمى وبرص وذلك الاخبــار بســوء فعــله الــذى هــو كبيرة ، كل ذلك لوجــه الله اعزازاً لدين الله تعالى وزجراً لــه عن المعصــية وزجراً لغيره به واهانة للكفر ، فلو ذكــره بذلك عبثاً او انتقــاماً لنفســه اذ ظلمه ذلك الكافر او اذ فعــل ذلك الكافر ما يحــل له او يجب او يستحب او ارضــاء لغيره أو نحــو ذلك من كل ما ليس لوجــه الله فقــد اغتــابه ، وكــذا ان ذكره بما ليس فيه مما يضره فهو غيبة وبهتان ، وان ذكره بمباح هو فيــه ارادة لتنقيصه فهو غيبة ، وقيل : لا ، ثــم انه قد يشــتغل بذكر مساوئه فان قصــد التنبيه عليه حيث خاف أن يغرّ احــداً أو يقتــدى بــه احــد فذلك عبــادة اذا اخلصها لا غيبة والا فغيبة ، والمشهور انــه ليس غيبة ، وورد الامر فى الحديث بذكر الفاجر على رسم أن يعرفه النــاس ويحذروه كما ذكر المصنف بعد ذلك انه يجب اشهار مبتدع ٠

وذكر بعض قومنا ان العلماء اجازوا الغيبة فى أحد عشر :

الأول : النصيحة فيقتصر على المصــلحة وينصحه حتمــاً وان لــم يستشره ٠

الثانى : التجريح عند الحاكم فى الشهادة وحرم عند غيره والتجريح فى رواية الحديث لأن ذلك دين ٠

. . . .

والثالث : المعلن في الفسوق .

والرابع : اصحاب البدع بالسنتهم او بتآلفهم فيجب اشهارهم والنقض عليهم .

الخامس : ان تذكر انسانا عند آخر بما لا ينقصه عنده ، وقيل : ينهى عنه لانه نفس الغيبة ، وان لم ينتبه السامع للنقص به ولأنه قد ينتبه بعد .

السادس : الدعوة عند الحاكم او الشهادة مثل ان تقول اخذ فلان مالي .

السابع : التظلّم عند من يظن ان له قوة على ازالة ظلمة كالشكوى بالقاضي المسيء الى الامام او السلطان ، قال ﷺ : « ان لصاحب الحق مقالاً (١) » وقال : « مطل الغني ظلم (٢) » وقال ﷺ : « ليّ الواجد يحل عقوبته وعرضه (٣) » .

الثامن : الاستعانة على ازالة المنكر نحو فلان يفعل كذا كما روى ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان او على طلحة فسلّم ولم يرد السلام ، فذكر ذلك لابي بكر فليس ذكره له غيبة لانه ذكره ليصلح ذلك ، وكما أبلغ عمرَ رجل ان أبا جندل ادمن الخمر بالشام فلم يره مغتابا لانه ابلغه ذلك شفقة على دين الله فكتب اليه عمر : ﴿ بسم الله الرحمن حم

---

(١) رواه ابو داود .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الدارقطني .

وان رماه بما لا فعل له فيه أو نقصه كبرص أو جذام أو عمى فهل يحل أو لا ؟ . . . .

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير (١) ﴾ فتاب .

التاسع : الاستفتاء بان يقول : ان فلاناً ظلمنى بكذا ما طريقى فى ذلك ؟ أو هل يجوز له كذا مما هو فعل ؟ كما قالت هند بنت عتبة لرسول الله ﷺ : ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفآخذ من غير علمه ؟ فقال : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » فذكرته بالشح والظلم فلم يقل لها ان ذلك غيبة لأنه استفتاء منها له ﷺ ، والأولى التعريض بأن يقول : ما قولك فيمن فعل كذا أو لم يفعله أو فى رجل ظلمه ابوه أو زوجته .

العاشر : تحذير المسلمين من مكره مثل أن يشترى مملوكاً بالسرقة وكذا المستشير فى التزويج والايداع .

الحادى عشر : أن يذكر صفة بدنه ليعرف كالأصم .

(**وان رماه**) أى : رمى الكافر أى سماه (**بما لا فعل له فيه**) مع أنه فيه بدون ارادة تنقيص به (**أو نقصه به**) وهو فيه (**كبرص أو جذام أو عمى**) ومعنى رميه بذلك اطلاق اسمه عليه ، ومعنى اطلاق اسمه عليه أن يقول : ذو جذام أو ذو عمى أو نحو ذلك ، أو الأبرص أو المجذوم أو الأعمى أو نحو ذلك (**فهل يحل**) ولا يكون غيبة لأنه لا حرمة له : فقائل ذلك كقائل ما أنتن الجيفة أو العذرة أو نحو ذلك ! (**أو لا ؟**) فيكون غيبة لأنه اضرار له بما ليس من فعله ولا هو معصية ؟

---

(١) سورة غافر : ١ .

قولان ويجب اشهار مبتدع وبدعته وتنقيصه بما لا كذب فيه . . .

(قولان) أصحهما الثانى ، فترى المصنف كالشيخ احمد اثبت ان الغيبة تكون فى الانسان مطلقا ولو موقوفا فيه كما يدل عليه اطلاقه فانها تكون فى الكافر بغير سوء فعله كما يفهم من قوله : بسوء فعله ، وانها تكون فيه بذكر فيه مما ليس فعلا له على القول الثانى ، قال الغزالى : وقال قوم : لا غيبة فى الدين لانه ذمّ ما ذمّه الله تعالى ، وقد قال ﷺ فى المراة التى كثر صيامها وصلاتها لكنها تؤذى جيرانها بلسانها :« انها فى النار » ، وقال فى المراة المذكورة بخير الا انها بخير : « ما خيرها اذا ؟ » قال : فهذا فاسد لأنهم سيذكرون ذلك لحاجتهم الى معرفة الأحكام الشرعية بسؤال رسول الله ﷺ ولم يكن غرضهم التنقيص .

قلت : يذكر الأخ فى احاديث الغيبة ، فالفاسق غير اخ لنا ، والمشرك غير اخ لنا ، فقال من قال : لا غيبة لهما وان ذمّا بما ليس فيهما فبهتان ، (ويجب اشهار مبتدع) فى دين الله بأن زاد فيه ما ليس منه او نقص مما فيه ، وما فى الأثر من دين الله أعنى مما تعبد به الله المقلد ، ألا ترى اذا خرج عن الأثر فسق ؟ وألا ترى انه يقال : كلفنا الطهارة عند الله ؟ أى : كلفنا الله ان نتطهر بحسب ما تعبدنا به من آثار العلماء ، فاذا تبع الانسان ما فى الأثر نجا عند الله ولو كان خطأ فى نفس الأمر عند الله ، وألا ترى قوله تعالى : ﴿ أولئك عند الله هم الكاذبون ـ وأولئك هم الفاسقون ﴾ ؟ فسماهم فاسقين وسماهم كاذبين عند الله ، باعتبار ما نعلم بحسب الظاهر ، ولو أمكن أن يكونوا بحسب الأمر فى الغيب عند الله صادقين .

(و) يجب اشهار (بدعته وتنقيصه بما لا كذب فيه) مما هو من اسماء الذمّ العامة كالمبتدع والكافر والفاسق ، أو الخاصة

كمحـل كـذا ، ومحـرم كـذا ، وفاعـل كـذا ، وقائـل كـذا (وان عند العـامة) ليعرفوه فيحذروه وينزجروا به ، ولئـلا يولـّى ولاية لا يستحقها ، فعنه ﷺ : « اترعون من ذكر الفاسـق متي يعـرفه الناس اذكروه بما فيـه يحذره الناس » ، وفى رواية عنه ﷺ : « اترغبـون عن ذكر الفاجر بما فيه ، اهتكوه حتى يعرفه الناس ، اذكروه بما فيـه حتى يعرفه الناس » (١) وكانوا يقولون : ثلاثة لا غيبة لهم : الامام الجائر ، والمبتدع ، والمجاهر بفسـقه . وروى عن الحسن : ثلاثة لا غيبـة لهم : صاحب الهـوى اى البدعة ، والفاسـق المعلن بفسقه ، والامام الجائر . قال الغزالى : وهؤلاء يجمعهم انهم يتظاهرون بتلك المعاصى ويتفاخرون بهـا فكيف يكرهون ذلك وهم يقصـدون اظهاره ، نعم ، لو اغتـابه بغير ما يتظاهر به أثم ، اى لغرض صحيح لوجه الله .

وقال عوف : دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجّاج فقـال ابن سيرين : ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج من اغتابه كما ينتقم من الحجاج لـمن ظلمه ، فاذاً اذا لقيت الله غداً كان أصغر ذنب اصبته اشـد عليك من اعظم ذنب أصابه الحجـاج .

قال الغزالى : واذا رأيت فقيهاً يتردد الى مبتدع أو فاسـق وخفت أن تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته أو فسقه متى كان الباعث الخـوف عليه من سراية بدعته وفسقه لا غير ، وذلك موضـع الغـرور ، اذ قـد يكون الحسـد هو الباعث ويلبس الشـيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق ، فاذا استشرت فى تزوج أو ايداع وديعـة أو نحـو ذلك ولـم تر ما يصلح قلت : لا يصلح لك ذلك ، وان علمت انه لا ينزجر الا بالتصريح

(١) رواه ابو داود .

فلك ان تصرّح بعيبه . وعن انس عن رسول الله ﷺ : « من القى جلباب الحياء فلا غيبة له » (١) ، وروى : « من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له » ، وقال عمر رضى الله عنه : ليس لفاجر حرمة ، اراد المجاهر بفسقه دون المستتر ، اذ المستتر لابد من مراعاة حرمته ، قال الصلت بن طريف : قلتُ للحسن : الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكرى له بما فيه غيبة ؟ قال : لا ولا كرامة .

قال ابو الليث : الغيبة كفر ونفاق ومعصية ومباح ماجور عليه . فالأول ان يغتاب مسلماً فيقال له : لا تغتب ، فيقول : ليس هذا بغيبة وانى صادق فيما قلت ، فقد احل ما حرم الله فصار كافراً ، يعنى هو بمنزلة من احل حراماً ، وهذا كما نقول : تابع هواه مشرك ، أى انه اتبع غير الله ، وذلك كما نقول لمن يرى الكبيرة حراماً ويعتقد ان فاعلها مسلم انه محل .

والثالث : ان يغتاب ويعلم انها معصية ، وهذا عاص أى عصياناً كبيراً .

الثانى : أن يغتاب انسانا ولا يسميه باسمه للناس حتى يعرفوه ، فهذا هو النفاق يرى أنه متورع بالرمز وهو مغتاب .

والرابع : ان يغتاب فاسقاً معلناً أو صاحب بدعة ، فهو ماجور لأن الناس يتحرزون منه ، أى ماجور ان نوى الاحتراز واخلص لله ، ومعنى كونه مباحاً أنه غير محجور عليه .

(ورخص فيما يجيب به داعيه) اى يجيب داعيه بسبب دعائه به ،

(١) رواه الدارقطنى .

ويعرف به كفلان الأعمى والأعرج ولو كره ذلك وتكون فيما يكرهه وينقصه ، وان من المحاسن كالطول والجمال وحسن الصورة والجود والشجاعة أو بنسبته . . . .

أى يدعوه به فيجيب كما اذا دعاه بشىء آخر ولو كان متسولى (ويعرف به كفلان الأعمى والأعرج) ان لم يكره ذلك ، ورخص (ولو كره ذلك) ان لم يكن فيه تنقيص له ، ورخص ولو كان فيه تنقيص له ان لم يقصد تنقيصه كما ذكره .

وقال الغزالى : اذا عرف بلقب مشعر بالعيب كالأعرج والأعمش جاز ذكره به بلا اثم على من يقول ، روى أبو الزناد عن الأعرج وسليمان عن الأعمش وما يجرى مجراه ، فقد فعل العلماء ذلك للتعريف ، ولأن ذلك صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً به ، نعم لو وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى : البصير عدولا عن اسم النقص .

(وتكون) الغيبة (فيما يكرهه وينقصه) أى : فيما يكره وان من المحاسن وفيما ينقصه (وان من المحاسن كالطول والجمال وحسن الصورة والجود والشجاعة) فقد يكون الانسان طويلا وهو يستحسن بطبعه القصر ، أو التوسط فيكره أن يذكر بطول ، وقد يكون جميلا فتخيل له نفسه أن الجمال للنساء فيكره أن يذكر بالجمال ، وقد يكون جواداً فيكره الذكر بالجود لئلا يقصد فيملك عليه ماله بلا روية ولا تمييز لموضعه ، وقد يكون شجاعاً فيكره الذكر بالشجاعة لئلا تظن به النساء أنه مشتغل بالحروب ولا همة له فى جمع المال ، ولئلا يقصده جائر ليقاتل به فيما لا يحل ، وهكذا ما اشبه ذلك من الاغراض فى هذه المسائل مما لا يحصره العدد ، وكذلك اذا كانت تلك الصفات الحسان نقصاً عند قوم أو أحد فيكره الذكر بهن عندهم (أو بنسبته) ، أو بمعنى

لأبائه أو قبيلته أو بلده ان كره ذلك أو يتضرر به عند السلاطين ، ورخص فيمـا كان بأحـد أن يذكـر به ان لم يقصـد تنقيصه . . . . .

الواو ، أى وتكون الغيبة بنسبته ، ويجـوز أن تكون فى بمعنى البـاء فى قوله : فيما يكره أى بما يكره أو بنسبته ، فيكون عطف خاص على عـام ، ويجـوز أن يكون توهـّماً راعى كأنه قال : كالغيبة بالطـول والجمال الى آخـره فقال : أو بنسبته (**لأبائه أو قبيلته أو بلده**) أو صنعته أو نحو ذلك (**ان كره ذلك**) بدون أن يتوقع ضرراً به (**أو يتضرر به عند السلاطين**) او غيرهم بأن يكون اذ عرفه السلطان انه من أولاد فـلان أو من قبيـلة كـذا أو بلده قتله أو ضره أو حبسـه أو أخـذ ماله أو من ماله أو استعمله فى شغل أو جعله من العسكر ، أو اذا عرف أن صنعته كذا استعمله فيهـا ولا يجب ذلك مطلقاً ، أو لأنه يستعمله بلا أجـر أو فى حرام أو بحرام أو نحـو ذلك مما لا يحصره الحـد .

(**ورخص فيما كان بأحـد**) ولو متولى (**ان يذكر به**) ولـو كان اسم تنقيص (**ان لم يقصـد**) ذاكـره بـه (**تنقيصه**) مثل كلب وحمـار وبغل وجمـل ، وقال الشيخ أحمـد : انه يذكر بالأسماء الناقصـة اذا كانت فائدتـه فيهـا مثل أن يقـول : انـه أجـذم أو أبرص فلا يأخـذه جـائر ، أو يقول : انه حـداد فلا يعقله أو لا يغـرمه أو لا يأكل طعامه ، ومثل أن يذكره باسم العلة للطبيب ليداويه ، أو يذكره لمـن يعرف الدواء بذلك الاسم أو يذكره بعلـّته نصحاً لغيره لئـلا يخالطه كالجذام والبرص ، ولا يجـوز له قصد الشكوى بذلك ، ويذكره بما فيه لمن يخرج منه الحق أو يأخـذ منه الديّن الذى له عليه أو الأمانة ، أو لئـلا يعطيه الـدين أو الأمانة اذ يستهلكهما مثل أن يقـول انه فعل كذا مما يلـزم به الأدب ، أو انه يماطل ، أو مفلس ، أو ينكر ، وكـذا ان قال : انه يلزم الفقـير أو نحو ذلك على النصح بلا قصـد تنقيص ، وقيل : يجـوز ذكره بهذا ونحوه

ولو قصـد التنقيص له ان قصده انتقاماً لمـن لـه الحق لا لنفسه ، ومن اعتقد ما يكون التكلم به غيبة وقصـد مجـرد العلم بما كان فيه من ذلك او ليحذره فلا بأس ، وان قصـد الاعتبار بما فعل الله فذلك عبـادة ، وان قصـد بغضـه وتنقيصـه وحـب ما ينقصه ويذكـره بـذلك فـلا يجوز ، ولا يلـزم اعطـاء المـال على الغيبـة كمـا يلـزم على المضـرة فى المـال والبدن ولكن تلزم عليه تباعة فيما بينـه وبين الله وهى الظلم الـذى ظلم مذكـوره باغتيابه فليحسن اليه ليمحو السيئة بالحسنة ، اما بالمـال أو بالذكر الجميل او بالبدن ، ليصـل النفع حيث وصـل الضر ، ويتـوب الى الله ، ويظهر التـوبة عند من اغتابه عندهم ان لم يكن عندهم ممن لا غيبة له ولم يعلموا أن ذاكره له غيبة عنده ، لأنهم ان علموا ان ذاكره كان مذكوره عنده ممن له غيبة تبراوا منه لأنه فعل كبيرة على حسب ما عنده ، وقيل : لا يبرأون منه لأنه فى الواقع عندهم لا غيبة له ، ومع ذلك يظهر التوبة عندهم لأنه خالف بغيبته ما عنده ، ولزمت المغتاب كفارة مغلّظة قياساً على ما وردت فيه المغلظة من الكبائر ، وقيل : لزمته مرسلة ، وقيل : يتصـدق بشىء ، وقيل : لا تلزمه الصدقة ولا الكفارة ، وما فسرت به التباعة اولى من تفسير بعضهم لها بهذه الكفارة المغلّظة .

(وهل جازت محاللة فى غيبة) وهى ان يقول لمن اغتابه : أنت فى حل من الغيبة التى صدرت منك علىّ ، ومعنى ذلك انه عفا عن مظلمته لا انه قلب الحرام حلالاً ، اذ الحرام لا ينقلب ، قال ﷺ : « من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض او مال فليتحللها منه قبل أن يأتى يوم ليس فيـه دينار ولا درهم » (١) ، والمراد طلب العفو والتنصل عن ذلك .

وروى : انه قالت عائشة رضى الله عنها لامرأة انها طويلة الذّيْل فقال

(١) رواه مسلم .

. . . .

ﷺ : « اغتبتها فاستحلّيها » فاذا الاستحلال لا بد منه ان قدر عليه ، وان غاب او مات استغفر له ان كان متولى ونفعه بالدعاء ونواه بصدقة او قراءة او غير ذلك من الحسنات ، وان لم يكن متولى نفعه بذلك ولا يستغفر له ، ولا يجب على من ذكر تحليل ذاكره بل تبرع وليس بواجب بل مستحب ، وما ذكرته من الاستحلال انما هو ان حضر للغيبة او بلغته ، واما ان اغتابه وليس بحضرته ولا بلغته او اغتابه حاضراً بلغة لم يفهمها أو بتلويح لا يفهمه أو غافلاً ولم ينتبه ولم تبلغه أو لم يسمع فليتب ولينزل ما حدث من نقص عند السامعين أو مضرة فقط ، ولا يذكرها له لئلا يشوش قلبه عليه ، وقيل : يذكرها له ولو لم تبلغه ويطلب منه الحل للاحاديث المذكورة ، ولقوله ﷺ : « الغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها » .

قال الغزالى : الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغى ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على ما فعله ، فان استحله فى الظاهر ولم يندم فى الباطن فقد قارف معصية أخرى .

وسئل عطاء عن توبة المغتاب قال : أن يمشى الى صاحبه فيقول له : كذبت فيما قلت ان كان كاذباً ، وهذا على أن الغيبة تكون بما ليس فيه كذب ايضاً ، او اراد بالكذب عدم الاستقامة ، وظلمتك وأسأت فان شئت اخذت بحقك ، وان شئت وهبت .

قال الغزالى : وقول القائل : العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال ، كلام ضعيف لانه قد وجب فى العرض حد القذف وللاحاديث السابقة . وسبيل المغتاب أن يبالغ فى الثناء عليه والتودد له ويلازم ذلك حتى

او لا ؟ قولان . . . .

يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودّده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة ، (أو لا ؟) تجوز المحاللة فى الغيبة لا يقول : اجعلنى فى حلّ ولا يقول المذكور : جعلتك فيه ، بل يحسن اليه ويستغفر له كما مر . قال الحسن : يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ، قال رسول الله ﷺ : « كفارة من اغتبته ان تستغفر له » ، قال مجاهد : كفارة اكلك لحم اخيك ان تثنى عليه وتدعو له بخير . وكان بعض السلف يقول : لا احلل من اغتابنى ، وقال سعيد : لا أحلل من ظلمنى اى لأن الظلم لا يحل منه ، ومنه الغيبة فـلا الفظ بلفظ يوهم تحليل الحرام ، قال ابن سيرين : انى لم احرمها عليه فاحللها ، ان الله حرم الغيبة عليه ، وما كنت لأحل ما حرم الله ابداً ، ووجه ذلك التنزه عن اللفظ الموهم (قولان) .

قال الغزالى : وما ذكره ابن سيرين حسن فى التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة . وان قلت : فما معنى قول النبى ﷺ : « أيعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال : اللهم انى قد تصدقت بعرضى على الناس » فكيف يتصدق بالعرض ؟ ومن تصدق به فهل يباح تناوله ؟ وان كان تنتقل صدقته فما معنى الحث عليها ؟ قلت : معناه انه رغب الى الله أن يثيبه عليها ثواب الصدقة ، أو معناه أنى لا أطلب مظلمة منه يوم القيامة ولا اخاصمه والا فتصير الغيبة له حلالاً ، ولا تسقط المظلمة لأنه عفو قبل الوجوب الا انه وعد له العزم على الوفاء بأن لا يخاصم ، فان رجع وخاصم كان القياس لسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بأن من اباح له القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ، ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والباعث على الغيبة اما التشفى ممن غضب عليه وهو باعث عظيم ، واما

. . . .

موافقة المغتابين ان لم يغتب معهم استثقلوه ، ويظن ان ذلك مجاملة فى الصحبة ، واما ان يستشعر ان سينقصه ويذمّه فيسبق بذلك ليسقط ما يشهد به عليه وليقال انه قال فيه ما قال لانه قد سبقه بالذم لا لصدقه ، وقد يبدأ السابق بما صدق فيه ليروح به ما يرميه به ، واما أن ينسب الى شىء يريد البراءة منه فيذكر الذى فعله . وكذا من حقه ان يبرىء نفسه بلا ذكر لفاعله أو يذكر غيره بمشاركة العمل ليمهد عذر نفسه ، واما الترفع بتنقيص غيره مثل ان يقول : فلان ركيك الفهم يثبت فى ذلك فضل نفسه ، واما أن يحسد ما يثنى عليه النــاس ويرى ثناءهم عليه تنقيصاً له فيقدح فيه بما يتركون الثناء عليه ، واما اللعب مثل ان يذكر عيوب الناس ليضحك الناس ، واما السخرية والهزء بالمغتاب احتقاراً له وتكبراً ، فهذه الثمانية فى العامة ، واما التعجب مثل ان يقول : ما اعجب ما رأيت من فلان كان يفعل كذا ، وكيف يحب جاريته وهى قبيحة ، وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل ، فان صدق فكيف يذكره او يذكر غيره ، واما الرحمة مثل ان يهتم بما أصاب احداً فيقول : فلان قد غمّنى امره وما ابتلى به ، وقد صدق ، ولكن ان كان له ضر بذكر اسمه فقد اغتابه ، وأما الغضب لله يغضب لمنكر ويذكر مع ذلك اسم فاعله ، والثلاثة غميضة لا ينتبه لها العلماء فضلا عن العوام .

قال عمر بن واثلة : مر رجل فى حياة رسول الله ﷺ على قوم فسلم فردوا فلما جاوزهم قال احدهم : انى لابغض هذا فى الله تعالى ، فقالوا : لبئس ما قلت ، والله لتبيّننه ، يا فلان قم فاخبره ، فاتى الرجل رسول الله ﷺ وحكى له وساله ان يدعوه فدعاه وساله ﷺ فقال : قد قلت ذلك ، فقال ﷺ : ولم تبغضه ؟ فقال : انا جاره وانا به خبير ، والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة ، قال : فاساله يا رسول الله هل رآنى اخّرتها

. . . .

عن وقتها او اسات الوضوء او الركوع او السجود ؟ فساله فقال : لا ، فقال : والله ما رايته يصوم شهراً قط الا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر ، قال : فسلّه يا رسول الله هل رآنى قط افطرت فيه او نقصْت من حقه شيئاً ، فساله فقال : لا ، قال : والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكيناً قط ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً فى سبيل الله الا هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر ، قال : فسله يا رسول الله هل رآنى نقصت منها او ماكسْت طالبها ، فساله فقال : لا ، فقال له ﷺ : « فلعله خير منك » .

والعلاج المانع من الغيبة اما ان يتذكر الوعيد الوارد فيها كما مرّ انه تنقل حسناته للمغتاب ، وذكر المحدثون أنه ان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المغتاب ، وربما تنتقل اليه سيئة واحدة تترجح بها كفة سيئاته فيدخل النار ، ولم يثبت ذلك عندنا ومر تأويله . روى ان رجلاً قال للحسن : بلغنى انك اغتبتنى ، فقال له : ما بلغ من قدرك عندى أن أحكمك فى حسناتى ، واما ان يقطع الأسباب الداعية الى الغيبة فيقطع الغضب بتذكير الوعيد الوارد فيه والثواب الوارد فى كظمه مثل قوله ﷺ : « ان لجهنم باباً لا يدخل منه الا من يشفى غيظه بمعصية الله تعالى » ، وقد مر فى بابه ، ويقطع مساعدة المغتاب بان يعلم ان الله تعالى يغضب عليه اذا طلب رضى المخلوق فى سخط الله تعالى ، والواجب عليه أن يسخطهم فى رضى الله جل جلاله فيغضب للغيبة لأن الله تعالى هو المنعم المعز المذل ، وارضاؤهم بسخطه مبعد لرضاهم مقرب لسخطهم ، ويقطع تنزيه النفس بنسبة العيب لغيره بمعرفة أن التعرض لمقت الله اشد من التعرض لمقت الخلق فيحصل له ذم الله تعالى نقداً ، ولا تدرى هل تتخلص منه غداً وتنتظر دفع ذم الخلق بنسية ، ويقطع التمهيد بان غيره قد فعل مثله بان تعلم ان ذلك اقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، ولو دخل النار لم توافقه عليها ولو وافقته

. . . .

لسفه عقلك ، فما ذكرته غيبة وزيادة معصية ، ويقطع المباهاة وتزكية النفس بان تعلم انك أبطلت فضلك عند الله جزماً وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر بل قـد ينقصونك باغتيابك غيرك ، ويقطع الحسد بان يعلم ان فيه عذاب الدنيا بهم الجسد وعذاب الآخرة ، واهديت حسناتك الى عدوك فانت عدو نفسك بـل قد ينتشر فضله بغيبتك ، قال الشـاعر :

واذا اراد الله نشر فضيــلة   طويت اتاح لها لســان حسود

ويقطع الاستهزاء بان يعلم ان مقصوده اخزاء الغير عند ناس قليل فى زمان قصير ، وقد تعرض بذلك لخزى دائم يوم القيامة بحضرة الناس كلهم ولانتصار من يستهزىء به عليه يوم القيامة برؤيته يساق الى النار ، ويقطع ما يرد على الرحمة من الغيبة بان يعلم أنه استنطقه ابليس حسداً منه لـه بما ينقل به حسناته الى المرحوم فيكون هو المستحق لأن يرحم اذ حبط عمله لأجل رحمة احد ، ويقطع التعجب بأن يتعجب من نفسه كيف أهلك نفسه ودينه بدين غيره ودنياه وبأن لا يأمن أن يهتك الله ستره بهتك ستر اخيه والله أراف وارحم بنا وعلم .

فصـــل

لا تنسب نميمة لمسلم وهى من ذنوب اللســـان . . . . .

فصـــل

فى النميمـة

وهى مأخوذة من قولك : نمّنمْتُ الكتاب ، اى زينته بالنقش لان النمام يزين الكلام (لا تنسب نميمة لمسلم) ومن نسبها اليه كفر ، وكذا لا تنســب لموقوف فيه لانه ان نســبها اليــه وقد صحت عنده عنــه فليس فى الوقوف وهو فى البراءة وليس بمسلم ، وان لم تصح عنه كفر من نسبها اذ كذب واما السامع فلا يبرأ منه حتى يعلم انه كذب بخلاف ما اذا نسبها للمسلم فان السامع يبرأ ممن نسب الا ان يصح ان المسلم فعلها فيكون ذلك المسلم فى البراءة ، وكذا سائر الكبائر الا الشرك والزنى فيبرأ السامع ممن نسب احدهما الى الوقوف فيه الا ان علم صدقه .

(وهى من ذنوب اللسان) وتكون بالجوارح ايضا اذا اشار الى ما يكون نميمة أو كتبه لو نطق به ، مثل أن يحرّش بين الناس بالاشارة بيده أو عينه او يخبر بيده أو براسه او غيره بما يكون غيبة ومثل أن يفعل فى

ومعناها نقل الكلام بين النــاس على وجــه الافســاد . . . . . .

ملك احد ما يظن به أن الآخر فعله مثل أن يرى فتنة بين اثنين فيفســد فى مال احدهما ليظن ان الآخر هو الذى افسد ، أو فى مالهما فيظن كل ان الآخر هــو الفاعل ، فقــد جمع بين البهتان والنميمــة بلا نطق وهكــذا ما يشبه ذلك .

(ومعناها نقل الكلام) أو الفعل مثل ان يقول : ان فلانا حين أدبرت عنه غمزك برأسه او اشار بيده استهزاء أو لم يذكر لفظ استهزاء (بين الناس على وجه الافساد) سواء كان الكلام المنقول او لم يكن لكنه كذب وحكى فحينئذ يكون نميمة وبهتانا ، قال المحلى : هى نقل كلام بعض الناس الى بعض على وجه الفساد بينهم قال ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام » [رواه الشيخان] يعنى البخارى ومسلما ، وروينا انه ﷺ مــر بقبرين فقــال : « انهما ـ اى ان صاحبيهما ـ ليعذبان وما يعذبان فى كبير » زاد البخارى « بلى انه كبير » يعنى عند الله « اما احدهما فكان يمشى بالنميمة ، واما الآخر فكان لا يستبرىء من البول » واما نقل الكلام نصيحة للمنقول اليــه فواجب كما فى قوله تعالى : ﴿ ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين ﴾ (١) اهـ ، وانما ينقل نصحا اذا خيف عليه القتــل او ما دونه ممــا يكون فى بدنه من ضرب وفاحشة وحبس وما اشبه ذلك مما فى البدن ، أو خيف عليه فى ماله ، ولا خيْر فى ذلك ، ولو قام عنه فساد .

قال الغزالى : كل ما رآه الانسان من أحوال الناس فليسكت عنه الا

---

(١) سورة القصص : ٢٠ .

. . . .

ما فى حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما راى من يتناول مال غيره فيشهد عليه مراعاة لحق المشهود له .

قلت : وكذلك يخبر ان فلانا يريد قتلك او قتل فلان او يريد اخذ مالك او مال فلان او يخبر الامام او نحوه بان فلانا يسعى فى فساد المملكة او فى الباطل فيجب البحث وازالة فساد المملكة وقطع الطريق ونحوه ومعنى قوله ﷺ : « وما يعذبان فى كبير » أى ما يعذبان فى كبير عندكم ولو كان عند الله كبيراً ، وهكذا كنت افسر الحديث حين بلغنى ، ويدل لـه زيادة البخارى المذكورة كما قال الله تعالى : ﴿ وتحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم ﴾ (١) ، وقيل : ما يعذبان فى كبير تركه والاحتراز عنه ، وزعم بعض أن المعنى فى أكبر الكبائر ، وعرف الشيخ احمد رحمه الله النميمة بانها فعل ما يكون تحريشاً بين الناس أو بين البهائم بالشر كما لا يحل للفاعل ولا لهم ، قصد التحريش او لم يقصده ، مثل ان يقصد الاصلاح فيوافق الشر ، أو قصد الاضحاك أو تكلم به عمداً بلا قصد خير أو شر أو قصد العبث فوافق الشر ، وسواء بين المسلمين أو المشركين او بين المسلمين والمشركين ، وتفسير النميمة بالتحريش المذكور اعم مطلقاً من تفسيرها بالنقل المذكور لاجتماعهما فى الكلام المنقول وانفراد التحريش بالاغراء بين حاضرين وبالاغراء بلا كلام وباغراء البهائم ، وعرفها بعض بانها كشف ما يكره كشفه وافشاء السر سواء كره كشفه المنقول عنه او المنقول اليه او غيرهما عملاً او قولاً نقصاً او عيباً او غير ذلك ، فان كان نقصاً او عيباً ففيه الغيبة والنميمة ، وقال : : انها فى الاكثر تطلق على نقل القول المكروه الى المقول فيه ، قال :

---

(١) سورة النور : ١٥ .

ومن نقله على مبـاح لـه فقـام عنـه لم يكن نمّاماً وان قصـد صلاحـاً

فوافق مـا لا يجـيزه العلمـاء ان يذكره . . . .

وهى حرام الا أن يكون له ضرر فيه ولم يعلمه ولم يمكنه دفعه الا بالاعلام فيجب لأنه نصح .

(**ومن نقله على**) وجه (**مباح له فقام**) الافساد (**عنه**) اى عن النقل أو عن الوجه المباح (**لم يكن نمّاماً**) ولم يلحقه اثم ، مثل أن يقول :فلان ذهب الى موضع كذا أو لم يذهب ، وقد قال آخر : ان ذهب أو قال : ان لم يذهب اضر به ولم تعلم بذلك ، وذلك فيما لا يدرك بالعلم ولا بالنظر الصحيح فى شأن الناس كان لهم ذلك الواقع او لم يكن ، مثل أن يقصد تقوية الحق وتضعيف الباطل او يقصد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو يخبر من لا يجاوز الحق فى المخبر عنه وقصد ادبه او قصد ان يؤخذ منه ما لزمـه ولا يخبر من يجاوز فيه الحق فى ضرب أو مال أو حبس أو عرض ، وان لخبره فجاوز الحق أو انتشر شر فنميمة ولو لم يقصد الشر اذا كان ذلك يدرك بالعلم أو بصحيح النظر ، لأنه ولو لم يعلم ذلك لكنه قد قارف فصار كمن اخطأ فى مال أو بدن ، وذلك ان يعرف أنه يجاوز الحق أو لم يعلمه يجاوز ولم يعلمه لا يجاوز ، وأما لو كان عنده ثقة أو اخبر عنه الثقات أنه ثقة ولم ير هـو خلاف ذلك فأخبره فجاوز الحق فلا يكون نميمة اذا نظر مع ذلك جهده ، لأن كونه يجاوز الحق لا يدرك بالعلم ولا بتجويد النظر وليس بمقصّر لأنه اخبره بعد العلم بانه ثقة ، فلو كان قليل الفطنة فتكلم بما يكون نميمة ولم يعرف المتكلم ذلك ولو كان ذكياً فنميمة ولو قصد الخير ، اذ قارف ووافق الشر الا ان لم يكن الشر ، وقيل : ولو لم يكن ، وقيل فيمن قصد النميمة وذكر ذلك لمن لا يقوم عنه الشر فليس بنميمة .

(**وان قصد صلاحاً فوافق ما لا يجيزه العلماء**) ، وقوله : (**أن يذكره**)

فنمام ، وكذا قاصد به مزاحاً أو اضحاكاً أو انتقاماً وان لغيره والاهتمام بها واستحلالها والأمر بها ذنب ، وان قصدت وذكرت لمن لا يقوم عنه شر لم تضره

بدل هاء يجيزه بدل اشتمال (**فـ**) هو (**نمام**) مثل ان يعلم من شخص الزنى أو الشرك فيخبر الامام أو الحاكم به أو الجماعة ليخرج الحق منـه ظناً منه أن ذلك جائز مع أنه لا يجوز له الاخبار بذلك الا مع امناء ثلاثة فى الزنى ، ومع أمين فى الشرك ، ومثل أن يخبر الحاكم بفعل احد ليخرج الحق منه فوافق الحاكم الجائر ، واذا فعل او قال ما هو نميمة وقصد السوء فهو نميمة ولو لم يكن الشر ، وان لم يقصد الشر فقيل : لا نميمة اذ لم يقصدهـا ولم يقع سـوء وقيل : نميمة .

(**وكذا قاصد به**) اى بنقل كلام (**مزاحاً أو اضحاكاً**) بكسر الهمزة مصدر اضحك بهمزة التعدية (**أو انتقاماً وان لغيره**) ولا سيما لنفسه فكل ذلك نميمة كما اذا جرى كلام بين اثنين بمغاضبة وتقول لاحدهما : ان فلاناً وهو الآخر يقول : اذا لقيك صفعك او ضربك ، سواء قال أو لم يقل ، وفى نسخة من الأصل : الانتفاع بدل لفظ الانتقام .

(**والاهتمام بها واستحلالها والأمر بها ذنب**) لكن الاهتمام بها اذا زاد على الخطور فى البال بان عزم عليهـا او أثبتها ذنب صغير أو ذنب لا ندرى لعله عند الله كبير ، واستحلالها شرك ، والأمر بها كبيرة ، سـواء فعل المـأمور أو لم يفعل ، وسواء قام الشر أو لم يقم ، وقيل : ليس كبيرة الا أن فعل ، وقيل : لا الا ان قام الشر .

(**وان قصدت وذكرت**) اى أوقعت بمعنى تكلم بها اى تكلم كلام يسمى فى الجملة نميمة (**لمن لا يقوم عنه شر لم تضره**) ولم تسم نميمة ولم يسم

وتكون وان بين اطفال ، وهل هلك محرّش بين بهائم وان له ان قام عنه فساد او اثم فقط ؟ قولان ، وتضرب غالبة وتدفع . . . . .

تماماً ، وقيل : نميمة وهو تمام الا ان علم انه لا يقوم شر ، وقد مر فى كلامى (وتكون) من بالغ عاقل (وان بين اطفال) او بين مجانين ، او طفل ومجنون ، او بالغ وطفل ، او عاقل ومجنون .

(وهل هلك) كفر كفرْ نفاق (محرّش بين بهائم) او طيور بلسان او صوت أو اشارة (وان) كانت (له ان قام عنه) أى عن التحريش (فساد) فيها أو فى غيرها من مال او نفس أو دابة وان لم يقم فساد اثم (او اثم) اى : أذنب ذنباً صغيراً او لا يدرى اصغير ام كبير ؟ لكنا نحكم عليه بالذنب (فقط ؟) دون وصْفه بانه كبير (قولان) المختار الأول ، ولذلك بدأ به المصنف رحمه الله ، وظاهر صاحب الأصل اختيار الثانى ، وانما اختار المصنف الأول لقوله ﷺ : « ملعون من حرّش بين بهيمتين » (١) فهذا صريح فى هلاكه لكن الحديث ليس فيه قيد قيام الفساد ، فالصحيح انه يهلك ولو لم يقم فساد ، وصاحب الأول حمل الحديث على ما اذا قام الفساد ؛ وظاهر اطلاقه الحكم بالهلاك ولو لم يقم منه فساد .

(وتضرب) بهيمة (غالبة) لأجل ضرها بالمغلوبة فتزول عنها (وتدفع) عنها ، وكذا تدفع عن المال بالضرب ان كانت لا تزول الا به وبالأولى تدفع بالضرب عن الآدمى ، ولا ضمان على ضاربها الا ان تعدى او جاوز محل الضرب مثل ان يكسرها وكذا مجنون اذا قام .

---

(١) رواه ابو داود .

ويؤدب طفل ان نمّ ولا يكون بذلك نماماً . . . .

(ويؤدب طفل ان نمّ) اى : ان كان منه ما يكون من البالغ نميمة (و) لكن (لا يكون بذلك نماما) لا ذنب عليه ولا يسمى نماماً ولو جاز ان يطلق عليه انه نم ، والحق عندى ان تقول للطفل نمام : وسارق وكاذب ولا تعتقد انه مذنب فى ذلك .

قال الغزالى عن عبد الله بن المبارك : ولد الزنى لا يكتم الحديث فمن لا يكتم الحديث ويمشى بالنميمة دل انه ولد زنى ، لقوله تعالى : ﴿ هماز مشّاء ـ الى ـ زنيم ﴾ (١) اى : دعىّ بل قال ﷺ : « الساعى فى الناس الى الناس لغير رشيدة » (٢) اى ليس بولد حلال وعن ابى موسى الاشعرى : لا ينم على الناس الا ولد بغىّ ، وسعى رجل الى بلال بن ابى بردة برجل وكان بلال امير البصرة فقال له : انصرف حتى اكشف عنك فكشف ، عنه فاذا هو ابن بغى ، وقال فى قوله تعالى : ﴿ ويل لكلّ همزة ﴾ (٣) الهمزة النمام ، وقيل فى قوله تعالى : ﴿ حمّالة الحطب ﴾ (٤) نمامة حمالة للحديث قيل : وعليه اكثر المفسرين ، وسميت النميمة حطباً لانها سبب للعداوة والقتال فصارت كالحطب للنار ، وقيل فى قوله تعالى : ﴿ فخانتاهما ﴾ (٥) ان امراة لوط عليه السلام تخبر بالضيفان ، وامراة نوح عليه السلام تخبر انه مجنون ، وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام » (٦)

(١) سورة القلم : ١٣ .
(٢) رواه البيهقى .
(٣) سورة الهمزة : ١ .
(٤) سورة المسد : ٣ .
(٥) سورة التحريم : ١٠ .
(٦) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • • • • • •

وفى رواية : « لا يدخل الجنة قتّات » اى نمـــام ، وعن ابى هريرة عن رسول الله ﷺ : « احبكم الى الله تعالى احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الى الله تعـالى المشّاءون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الاحبة ؛ المبتغون للبراء العثرات » (١) ؛ وقال ﷺ : « الا اخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى ، قال : المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب » (٢) ، وقال ابو ذر : قال رسول الله ﷺ : « من اشار على مسلم بكلمة ليشنه بها بغير حق شانه الله تعالى بها فى النار يوم القيامة » (٣) ، وقال ابو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه بها يوم القيامة فى النار » ، وقال ابو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار » ويقال : ان ثلث عذاب القبر من النميمة ، وثلثا من البول ، وثلثا من الغيبة ، وعن ابن عمر عن النبى ﷺ : « لمـــا خلق الله تعالى الجنة » قال لهـــا : « تكلمى ، فقالت : سعد من دخلنى ، فقال الجبار جل جلاله : وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : مدمن خمر ، ولا مصرٌ على الزنى ، ولا قتّات ، ولا ديّوث ولا شرطى ، ولا مخنّث ، ولا قاطع رحم ، ولا الذى يقول : علىّ عهد الله ان لم افعل كذا ولا يفى له » وروى كعْبُ الأحبار أن بنى اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرّات فما سقوا ، فاوحى الله تعالى اليه : « انى لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمّام قد اصر على النميمة » ، فقال موسى : من هـــو يا رب دلّنى عليه

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الدارقطنى .

(٣) رواه ابو داود .

. . . .

حتى أخرجه من بيننا ؛ قال : « يا موسى أكره النميمة وأنم ؟ » فتابوا جميعا فسقوا ، وفى رواية : « انهاكم عن النميمة واكون نماما ؟ » .

ويقال : مشى رجل سبع مائة فرسخ الى حكيم فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال : انى جئتك للذى آتاك الله من العلم لخبرنى عن السماء وما اثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها ، وعن الصخرة وما اقسى منها ، وعن النار وما أحر منها ؟ وعن الزمهرير وما ابرد منه ، وعن البحر وما أغنى منه ، وعن اليتيم وما اذل منه ، قال الحكيم : البهتان على البرىء اثقل من السماوات ، والحق أوسع من الأرض ، والقلب القانع اغنى من البحر ، والحرص والحسد احر من النار ، والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير ، وقلب الكافر اقسى من الحجر ، والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم ، وفى رواية : أزعف من كل سم اى أهلك ، والسم الزعاف هو المهلك ، وفى رواية : أضعف من كل يتيم ، وقال اكثم بن اصبع : الأذلاء أربعة : النمام والكذاب والمديان واليتيم ، وعن يحيى بن اكثم : النمام اشد من الساحر فان النمام يعمل فى ساعة ما لا يعمل الساحر فى شهر ، ويقال : عمل النمام اشد من عمل الشيطان لان عمل الشيطان بالحيل والوسوسة ، وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة ، والنميمة للفتنة كالحطب لايقاد النار .

وعن حماد بن سلمة : باع رجل غلاما فقال : ليس به عيب الا انه نمام ، فاستخف المشترى بقوله واشتراه على ذلك فمكث اياما ثم قال لزوجة سيده : ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك أفتريدين ان أعطفه عليك فتحتال بحيلة فيه ؟ قالت : نعم ، فقال لها : خذى الموسى واحلقى شعرات من باطن لحيته اذا هو نام ، ثم جاء الغلام الى الزوج فقال ان امراتك تخونك قد اتخذت خليلا وهى تريد قتلك اتريد ان أبين لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فتناوم لها ، يعنى : اجعل نفسك كالنائم ففعل ، فجاءت

• • • • • • • • • • • • • •

المراة بالموسى لتحلق الشعرات فظن الزوج أنها تريد قتله فاخذ منها الموسى فذبحها ، فجاء اولياؤها فقتلوه بها ووقع القتال بين الفريقين .

وعن الحسن البصرى : من نقل اليك حديثا فاعلم انه ينقل حديثك الى غيرك ، ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فذكر رجلاً فقال له : ان شئت نظرنا فى امرك فان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية : ﴿ ان جاءكم فاسق ﴾ (١) الآية ، وان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية : ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ (٢) ، وان شئت عفونا عنك ، قال : العفو يا امير المؤمنين ولا اعود الى مثل هذا .

وزار حكيما بعض اصدقائه فذكر عن بعض اصدقائه فقال له : قد ابطات فى الزيارة واتيتنى بثلاث : جنايات بغضت الىّ اخى واشغلت قلبى الفارغ واتهمت نفسك الامينة ، وروى ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاء رجل فقال سليمان : بلغنى انك قلت فىّ كذا وكذا ، فقال الرجل : ما قلت ولا فعلت ، فقال سليمان : ان الذى اخبرنى صادق ، فقال له الزهرى : لا يكون النمام صادقا ، فقال سليمان : صدقت ، ثم قال للرجل : اذهب بسلام .

والنمام من الذين يسعون فى الارض فسادا ، ومن الذين يبغون فى الارض بغير الحق ، ومن الذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل ، وسعى رجل الى علىّ برجل فقال : يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك ، وان كنت كاذبا عاقبناك ، وان شئت الاقامة اقلناك ، فقال : اقلنى يا امير المؤمنين ، وقيل لمحمد بن كعب : اى خصال الرجال اوضع له ؟ فقال : كثرة

(١) سورة الحجرات : ٥ .
(٢) سورة القلم : ١٠ .

. . . .

الكلام وافشاء السر وقبول قول احد ، وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميراً : بلغنى أن فلاناً اعلم الأمير انى ذكرته بسوء ، قال : قد كان ذلك ، قال : فاخبرنى بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك ، قال : ما احب ان اشتم نفسى بلسانى وحسبى أن لا أصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال ، وقال رجل لعمرو بن عبيد : ان الاسوارى ما يزال يذكرك فى قصصه بشرّ ، فقال له عمرو : يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ، ولا ادّيت حقى حين ابلغتنى عن اخى ما اكره ولكن اعلمه أن الموت يعمّنا والقبر يضمنا والقيامة تجمع بيننا ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

ورفع رجل الى الصاحب بن عبّاد رقعة ينبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها : السعاية قبيحة وان كانت صحيحة ، فان جريت مجرى النصح فخسرانك فيها أعظم من الربح ، ومعاذ الله ان اقبل مهتوكاً فى مستور ، ولولا انك فى خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك ، فتوقّ يا ملعون العيب فان الله اعلم بالغيب ، الميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال امره الله ، والساعى لعنه الله .

وعن مصعب بن الزبير : نحن نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة ، وليس من دل على شىء فاخبر به كمن قبله فاجازه وأمضاه فاتقوا الساعى فلو كان صادقاً فى قوله لكان لئيماً فى صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة ، والسعاية هى النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية .

ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال : انى مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله ، وان كرهته فان وراءه ما تحب

. . . .

ان قبلته ، قال : قل ، فقال : يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجـال ابتاعوا دنيـاك بدينهم ورضاك بسخط الله خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيـك ، فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ، ولا تصغ اليهم فيم استحفظك الله اياه ، فانهم لم يالوا فى الامة خسفاً ، وفى الامانة تضييعاً ، وفى الاعراض قطعاً وانتهاكاً ، اعلى قربهم النميمة والبغى ، وأجلّ رسائلهم الغيبـة والوقيعة ، وأنت مسئول عما أجرموا وليسوا بمسئولين عمـا أجـرمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبناً من باع آخـرته بدنيا غـيره ، وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجـل فقال :

فانـت امـرؤ امـا ائتمنتك خائنـا
فخنـت وامـا قلـت قـولاً بـلا علم

فانـت من الامـر الذى كان بيننـا
بمنزلـة بـين الخيـانة والاثـم

وقال لقمان لابنـه : يا بنى اوصيك بخـلال ان تمسكت بها لم تـزل سـيداً ، أبسـط خلقـك للقريب والبعيد ، وامسـك جهلك عـن اللئيم والكريم ، واحفظ اخوانك ، وصلْ اقاربك وامنهم من قبـول قولْ ساع أو سـماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك ، وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك .

وقال بعضهم : النميمة مبنية على الكذب والحسـد والنفـاق ، وهى موجبات الذل ، واثاق الذل ، وعن بعضهم : لو صـح ما نقـله النمـام

. . . .

اليـك لكان هو المجترىء بالشتم عليك والمنقـول عنه أولى بحلمك لأنــه لم يقابلك بشـتمه .

وقال بعض الحكماء : من أخبرك بشتم عن آخـر فهو الشـاتم لا من شتمك ، وقيـل : من مدحك بما ليس فيـك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيـك ، ويجب على من حملت اليـه النميمة سـتة أمـور ، الأول : أن لا يصدّقه فان النمام فاسـق وهو مردود الشـهادة ، قال الله تعـالى : ﴿ يا أيهـا الذين آمنوا ان جاءكم فاسـق بنبـأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهـالة (١) ﴾ ، الثانى : أن ينهـاه عن ذلك وينصح له ويقبّح عليـه فعـله قال الله تعـالى : ﴿ وأمر بالمعـروف وانهَ عن المنكر (٢) ﴾ ، الثالث : أن يبغضه فى الله لأنه عاص ، وبغض المعاصى واجب لأن الله تعالى يبغضها ، الرابع : أن لا تظـن بأخيك الغائب السـوء لقـوله تعـالى : ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن فان بعض الظن اثم ﴾ (٣) ، الخامس : أن لا يحملك ما حكى لك على البحث لقوله تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ (٤) ، السادس : أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نميمته فتقول : فلان قد حكى لى كذا وكذا ، فتكون نماماً مغتاباً .

وعن أبى هريرة : النمام هو شر خلق الله ، وعن الحسن البصرى : من نقل اليك حديثاً فاعلم أنه ينقـل حديثك الى غيرك ، وعن رسـول الله ﷺ : « الهمازون واللمازون والمشاءون بالنميمة الباغـون للبراء العيب

(١) سورة الحجرات : ٥ .
(٢) سورة لقمان : ١٧ .
(٣) سورة الحجرات : ١١ .
(٤) سورة الحجرات : ١٢ .

يحشرهم الله تعالى ووجوههم وجوه الكلاب » ، وعنه ﷺ : « ملعون ذو اللسانين ملعون ذو الوجهين ملعون كل شغاز وملعون كل قتّات وملعون كل نمام » والشغاز من يحرش بين الناس ، والقتّات هنا من يستمع حديثهم وهم لا يعلمون وينم به ، وقيل : الذى يكون بين قوم يتحدثون فينم حديثهم ، وفى رواية : منان بدل قتات ، وهو من يمن بما فعل من الخير ، وروى عنه ﷺ : « شر الناس ذو الوجهين الذى ياتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وعنه ﷺ : « من مشى بالنميمة بين اثنين سلط الله عليه ناراً تحرقه فى قبره الى يوم القيامة » ، ويقال : النميمة سيف قاتل ، وعن بعض الادباء : لم يمش ماش شر من واش ، وقال الشاعر :

مَنْ نمّ فى الناس لم تؤمن عقاربه
على الصديق ولم تؤمن افاعيه

كالسّيْل بالليل لا يدرى به أحد
من اين جاء ولا من اين ياتيه

الويل للعهد منه كيف ينقضه
والويل للود منه كيف يفنيه

وروى عنه ﷺ : « لا يدخل الجنة دبثوب ولا قلاّع » الدبوب : الذى يدب بين الرجال والنساء يجمع بينهم ، والقلاّع الذى يقلع من تمكن عند الأمير بالنميمة ، وعن حكيم : الساعى بين منزلتين قبيحتين : أن صدق فقد خان الأمانة وان كذب فقد خان المروءة ، وعن بعض حكماء الفرس : الصدق يزين كل أحد الا السعاة فان الساعى اذم وانم

. . . .

ما يكون اذا صدق ، ولما لقى اسقف نجران عمر رضى الله عنه قال : يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة ، قال : ومن هو ؟ قال : الرجل ياتى الامام بالحديث الكاذب فيقتله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه ، فقال عمر رضى الله عنه : ما أراك ابعدت .

وفى حكم القدماء : ابغض الناس الىّ المثلث ، قال الأصمعى : هو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه ، وسعى رجل بجار له الى الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد : اما أنت فتخبرنى انك جار السوء وان شئت أرسلنا معك ، فان صدقت ابغضناك ، وان كذبت عاقبناك ، وان شئت تركناك ، قال : اتركنى يا أمير المؤمنين ، قال : قد تركناك ، وقال حكيم العرب : أياك والسعادة فانهم اعداء عقلك ولصوص عدلك يفرقون بين فعلك وقولك ، وفى المثل : من اطاع الواشى ضيع الصديق ، وقال الاسكندر لساع سعى اليه برجل : اتحب ان اقبل عقلك ما تقول فيه على أن اقبل عنه ما يقول فيك ؟ قال : فكف عن الشر يكف عنك الشر ، وقال بعض البلغاء : النميمة دناءة والسعاية رداءة وهما رأس الغدر وأساس الشر ، وقال مروان بن زنباع العبسى : يا بنى عبس من نقل اليكم نقل عنكم ، واياكم واظهار المرور واستكثروا الصديق ما استطعتم واستقلّوا من العدو ، احفظوا عنى هذه الثلاث ، وقال الشاعر :

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا
تأمن غوائل ذى وجهين كَيّاد

وعن بعض الحكماء : من اراد أن يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فليكن قاضياً حكيماً بينه وبينهم بالعدل ولا يقبل قول أحد فى أحد ولا فى نفسه الا بشهادة عدول ، فانا قد احببنا بقول أقوام وابغضنا بقول أقوام فاصبحنا على ما فعلنا نادمين ، ويقال : من لطف

. . . .

الله تعالى فى النميمة أن حكم بفسق صاحبها حتى لا يقبل له قول فيستريح الخلق من شره لما قد علم الله من شرها واستظهار شرها وعموم مضرتها فى الورى ، وكلّم معاوية الاحنف بن قيس فى شيء بلغه عنه فانكره الاحنف فقال له معاوية : بلّغنى عنك الثقة ، فقال الاحنف : ان الثقة لا يبلّغ مكروهاً ، وقيل : من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب ، وقال المأمون : النميمة لا تقرب مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ، لابد لمن عرف بها او نسب اليها ان يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه ، وقال عبد الرحمن بن عوف : من سمع بفاحشة فافشاها فهو كالذى اتاها .

ومن العجب الذى لا عجب بعده ان الرجل يشهد عندك فى باقة بقل فلا تقبله حتى تسأل عنه هل هو ثقة ، وينم عليك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله مجانا بلا سؤال ، وقال رجل للمهدى : عندى نصيحة يا أمير المؤمنين ، قال : لمن نصيحتك هذه ؟ النا أم لعامة المؤمنين أم لنفسك خاصة ؟ قال : بل لك يا امير المؤمنين ، فقال المهدى : ليس الساعى باعظم عورة ولا اقبح حالاً ممن قبل سعايته ، ولا تخلو من ان تكون حاسد نعمة فلا يشفى لك غيظ ، او عدواً فلا يعاقب لك عدوك ، ثم اقبل على الناس فقال : يا أيها الناس لا ينصح لنا ناصح الا ما فيه لله رضى وللمسلمين صلاح .

فوائد : تجوز شكاية الرعية للامير من العمال ، وقيل : لا ، خوفاً من العقوبة عليهم ، وعليه فيلزم الرعية ضمان ما عوقبوا به مطلقاً ، وعلى الاول ان زادوا فى الشكاية بهم على ما كان منهم ، وقيل : تجوز ان علم الشاكى انهم يعاقبون بما يعاقب به غيرهم ويجوز لمن جاروا

. . . .

عليه ولا يقدر على ردهم الا بالشكاية ان يشتكى بهم ، ومن تعـدى على احـد فاظهره حتى بلغ الجـائر فعاقبه فان قصـد باظهاره أن يبلغـه فيعاقبه لزمه ضمانه ، وان قصـد به أن يكف ظلمه عنه فلا باس ، وان حبس بعض اعوانه أو ألزمه ما لم يلزمه جـاز أن يطلب الأمير فى اخراجه او ترك الأخـذ بماله أو رده بعد اخذه والله أعلم .

بــــاب

• • • • • • • • • • • • • •

بــــاب
فى الكسل والعجز والملامة

والعجز والكسل لا باس بهما فى امر الدنيا ما لم يوصلا الى حرام او ريبة ولا فى النفل ، الا انه قد ينتقل من الكسل والعجز فى امر الدنيــا او النقل الى الكسل والعجز فى امر الدين والفرض ، ولا يحسن وصف المتولى بهما لئلا يتوهم انه عجز عن الفرض وكسل عنه ، وليس العجز فى هــذا الباب هو العجز عن الشىء بحيث يسقط التكليف به بل معنى قريب من الكسل والكسل الثنائى عن الشىء والفتور فيه قال الله تعالى : ﴿ ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ﴾ (١) اى : متثاقلون كانهم اكرهوا عليها ، والعجز : الضعف عن الشىء ، ولو حزم لقوى عليه ، وفى الحديث : « الثقة بكل احد عجز » (٢) والعجز عجزان : التقصير فى طلب الامر وقد امكن ، والجد فيه وقد فات ، قال الشــاعر :

وقــد يقال العجز والتوانى　　للفقر والفاقــــة ناتجـــــان

---

(١) سورة النساء : ١٤٢ .

(٢) رواه ابن حبان .

. . . .

وعن بعضهم : اياك والكسل فانه شؤم وآفة عظيمة ، وقال الشاعر :

وكل ذى عمل فى الخير مغتبط ... وفى بلاء وشؤم كل ذى كسل

وقال آخر :

دعى نفسى التكاسل والتوانى ... والا فاثبتى فى ذل هون

وقال هلال بن العلاء الرّقاء :

كان التوانى انكح العجز بنته ... وساق اليها حين زوّجها مهْرا
فراشا وطيئا ثم قال لها : اتكى ... فانكما لا بد أن تلدا فقرا

وفى رواية :

فانقدها لما تزوجها مهْرا ... فراشا وطيئا ثم قال : ارقدا معا

والتوانى : هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وترك العمل ، وأما التأنّى فخلاف التوانى : وهو الرفق وضد العجلة والنظر فى العواقب ، وقد قيل : من نظر فى عواقب الأمور سلم من آفات الدهور ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقْضى اليك وحْيه ﴾ (١) وعنه ﷺ : « من اعطى حظّه من الرفق اعطى حظه من الدنيا والآخرة » (٢) وقال ﷺ لعائشة رضى الله عنها : « عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيئاً الا زانه ، ولا يفارق شيئاً الا شانه » (٣) ، وفى التوراة : الرفق رأس الحكمة ،

(١) سورة طه : ١١٤ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

* * * * * * * * * * * * * *

وقالوا : العقل أصله التثبت وثمرته السلامة ، ووجد على سيف مكتوب : التانى فيما لا يخاف فيه الفوت افضل من العجلة فى ادراك الأمل ، وقال حكيم : اذا شككت فاجزم ، واذا استوضحت فاعزم ، وقالوا : يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ، ويد العجلة تغرس شجرة الندامة ، وانشدوا :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

واقول وربما فات الأمر بالتانى ، وقالوا التانى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة ، وقالوا : اذا لم يدرك الظفر بالتانى والرفق فبماذا يدرك ؟ وقال المهلبى : اناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت ، وقالوا : من تانى نال ماتمنى ، والرفق مفتاح النجاح : وقال حكيم : اياك والعجلة فانها تكنّى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل ان يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ولن تصحب هذه الصفة احداً الا صحب الندامة وجانب السلامة ، وسال معاوية سعيد بن العاص عن المروءة فقال : العفة والحرفة ، وكان أيوب السختيانى يقول : يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم ، يعنى الأمراء ، وقال رجل للحسن : انى انشر مصحفى فاقراه بالنهار كله فقال : اقراه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك وما لا بد منه ، ومرّ الحسن باسكاف فقال : يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل وياكل ، ولا يحب من ياكل ولا يعمل ، وقال أبو تمام :

اعاذلنى ما احسن الليل مركبا واحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى واهوال الزمان اقاسها فاهواله العظمى تليها رغائبه

. . . .

أرى عاجزاً يدعى جليداً لقسمة ولو كلف التقوى لكلّت مضاربه
وعفّا يسمى عاجزاً بعفافه ولولا التقى ما اعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء اخطاه الغنى ولا باحتيال ادرك المال كاسبه

وقال آخر :

ولا تركن الى كسل وعجز يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى : العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للأمانى المستحيلة ، ويقال : فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر ، وقال لقمان لابنه : يا بنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقاً ، واذا ضجرت لم تصبر على حق ، وقال أبو العتاهية :

اذا وضع الراعى على الأرض صدره فحق على المعزى بأن تتبددا

وقال حكيم : الحركة بركة ، والتانى هلكة ، والكسل شؤم ، وكلبٌ طائف خير من اسد رابض ، ومن لم يحترف لم يغتلف ، وقال حكيم : من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير ، وقال على : التانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولّدت الفاقة ، ونتجت الهلكة ، ومن لم يطلب لم يجد وافضى الى الفساد ، وعن الشافعى : احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس ، وعن رسول الله ﷺ : « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح » وقيل : احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز اعداه من عجزه وأمدّه من جزعه وعوّده قلة الصبر ونسّاه ما فى العواقب ، وليس للعجز ضد الا الحزم ، وقال

يوصف مجتهد بنشاط وجدّ لا بكسل وعجز اذ لا يوصف بهما صالح لكونهما في فرض أو موصل لتضييعه حتى يخرج وقته فيكفر به ولا عصيان حيث لا فوت

بعض العلماء : من الخذلان مسامرة الأماني ، ومن التوفيق بعض التأنّي ، وعن علي : من اطاع التأنّي ضيع الحقوق ، ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما امكن مما تحمد عواقبه ، وقال الشاعر :

على المرء ان يسعى لما فيه نفْعه ُ وليس عليه ان يساعده ُ الدهر

وقال آخر :

على المرء ان يسعى ويبذل جهده ويقضى الله الخلق ما كان قاضيا

(**يوصف مجتهد**) في اعمال الدين أو الدنيا المباحة (**بنشاط وجدّ**) وعزم (**لا بكسل وعجز**) على الاطلاق ، بل يوصف بهما غير الصالح ولو كان له اجتهاد في الدنيا (**اذ لا يوصف بهما صالح**) في دينه لئلا يتوهم السامع انه تهاون عن الفرض او السنة ، وان وصفه بهما احد فلا يبرأ السامع من الواصف لاحتمال ان يكونا في امر الدنيا ، ومن اراد وصفه بهما فليبين انهما في امر كذا مثل ان يقول : كسلان عن السفر ، أو كسلان عما ينبغى الكسل عنه كالانتقام الجائز ، وايضاً لا يوصف بهما باطلاق (**لكونهما**) في عرف المتورعين المتفقهين انما يكونان (**في فرض او**) في (**موصل**) بان يبقى فيما يوصل (**لتضييعه حتى يخرج وقته فيكفر به**) اى : بالتضييع (**ولا عصيان حيث لا فوّت**) بان أدركه في آخر الوقت ، وقيل : يعصى

To: www.al-mostafa.com

ويكونان من القلب ومن الجوارح وخص النشاط والعزم والجهد والسهو

والغفلة بالقلب . . . .

بالتاخير للصلاة الى آخر الوقت لقوله ﷺ : وآخر الوقت عفوُ الله (١) » والجواب ان المراد أن التأخير الى آخر الوقت مكروه كراهة معفواً عنها ، وقيل : اذا لم يبق من الوقت الا قليل لا تدرَكُ فيه عصى ولو أدركها باختصار ، واذا خرج الوقت كفر ، وقيل : اذا تركها حتى لا يدركها كفر وقد مرّ كلام لصاحب الأصل فى هذا فى محله حاصله : هل تجب الصلاة كلها بدخول وقتها او كلما حصل جزء منه وجب جزء منها ، وقيل : يهلك لها كلها بخروج جزء من الوقت المضيق أو كلما ذهب جزء فقد دخل فى جزء الهلاك حتى يتم الهلاك بخروج الوقت كله وذلك بقدر ما ياتى بوظائفها أيضاً ، أو لا يهلك ما بقى ما يصليها بلا وظائف أو ما بقى ما ياتى فيه باكثرها أو ما بقى منها شىء ، وهل طلوع قرنها حكم طلوعها كلها أو لا ؟ وكذا الغروب اقوال .

(ويكونان) اى : الكسل والعجز (من القلب ومن الجوارح) ، اما كونهما من القلب فقط فمثل ان يفعل شيئاً ولا رغبة لقلبه فيه ، وأما كونهما من الجوارح فمثل أن لا تنشط جوارحه لحر أو برد أو غيرهما وقد رغب فيه قلبه ويكونان منهما معاً بأن لا يرغب قلبه ولا تنشط جوارحه ، أو يكونان من القلب فلا يعمل .

(وخص النشاط والعزم والجهد والسهو) عن الشىء الى غيره (والغفلة) : الاعراض بلا عمد بدون انتقال (بالقلب) يبحث فيه بأن

---

(١) رواه مسلم .

ويكون الكسل فى عمل ، ان فى أول الوقت ان لم يعمل بنشاط وقصد وتقرب

الجـد والنشاط يكونان أيضاً فى الجوارح وهما فيها اظهر ، ويجاب بأن المراد : الجـد والنشـاط اللذان بمعنى شدة الرغبة ولا ينبغى الا العزم والنشاط والجد فى الفرض والنفل ، ومعنى قول صاحب [الأصل] : وانما يكون الكسل والعجز فيما افترض الله على عباده وما يصلون به الى تضييع فرائضهم حتى يخرج أوقاتها فذلك عصيان ، وذلك العصيان على وجهين : يكون كبيراً ويكون صغيراً ، ان ترك الفرض حتى يخرج وقته عمداً كبير ، وتركه حتى يضيق الوقت حتى لا يدركه باختصار أو عجلة صغير ، وكذا لو تركه حتى لا يدركه الا بالتيمم ، ولا ينافى ذلك قوله : وما لم يكن فيه فوت الفرض لا يسمونه عصياناً لأن من لا يدركه الا باختصار أو عجلة او تيمم قـد فاته بعض فوت ، أو سمّى العمل آخـر الوقت معصية لظاهر الحديث : « آخر الوقت عفو الله » ، ولو أوّله بما مر فان المكروه الشديد شبيه بالمعصية أو هو معصية ، ولكن ينافيه قوله : وما لم يكن فيه فوت الفرض لا يسمونه عصياناً اللهم الا ان يقول : المؤخّر الى آخر الوقت قد فاته العمل الذى هو خالص عن المعصية أو الكراهة الشبيهة به ، ويجوز أن يريد أن نفس التأخير حتى يخرج الوقت كبير ، وأن التلبس بما يكون سبباً لعدم أداء الواجب معصية صغيرة مثل أن يلبس خاتم حديد قبل ان يصلّى ولا يطيق نزعه ، ومثل أن يخرج بلا ماء وقد دخل وقت الصلاة ، ومثل ان يخرج بماء ويهرقه وقـد دخل الوقت فيصلى بتيمم وهذا فى قول (**ويكون الكسل**) والعجز (**فى عمل ان**) عمله (**فى أول الوقت**) أو وسطه وذلك (**ان لم يعمل بنشاط**) ، شدة انبعاث (**وقصد**) عزم (**وتقرب**)

والنشاط والعزم وان بآخره ما لم يخرج ، وندب اتيان فرض أوله ما وجد اليه سبيل ، وقد روى : لا تقدموا الصلاة لفراغ ولا تؤخروها لشغل دنيوى

الى الله عز وجل به ، بان ينوى به القرب الى رضى الله ورحمته ، أو نشط ولم يقصد أو لم يتقرب أو تقرب ولم يقصد أو لم ينشط .

وان قلت : فمال حال من ثقلت عليه الصلاة مثلاً ولا يجد من نفسه نشاطاً ولكن يصلى بقصد وتقرب ؟ قلت : هذا اذا كان يكره حاله ولا يرضى عن نفسه ويراها بالنقص ، ويحب ان لو كان ينشط ويتعاطى النشاط فهو غير كسلان وغير عاجز فى عبادته لأن تعاطى النشاط والتعلق به نشاط .

(و) يكون (**النشاط والعزم وان**) عمل (**باخره ما لم يخرج**) أو بوسطه اذا نشط وقصد وتقرب ، ومن تعجل فى صلاته ونقص منها أو لا يستوى فى ركوعه فقد كسل بجوارحه ايضاً .

(**وندب اتيان فرض**) صلاة أو زكاة او غيرهما مما يحتمل التاخير (**أوله**) أى أول الوقت (**ما وجد اليه**) أى الى الاتيان به أول الوقت (**سبيل وقد رُوى**) عن رسول الله ﷺ : (**لا تقدموا الصلاة لفراغ**) لعمل الدنيا ، أى لا تنووا بتقديمها أول الوقت ان تتفرغوا لعمل الدنيا ، بل انووا به ثواب الصلاة أول الوقت والفوز بها قبل حدوث ما يشغل عنهما (**ولا تؤخروها**) لوسط وقتها أو آخره (**لشغل**) أى : لشغل (**دنيوى**) تؤثرونه عليها الا دنيوياً ضرورياً كتنجية نفس فانه دينى أيضاً ، وشهر عنه ﷺ « أول الوقت رضوان الله ، ووسطه رحمة الله ، وآخره عفو الله » وروى

وجـــاز تاخـيرها لدينى ما لـم يمض من الوقـت نصفه ، وقيـــل : ثلثـاه وان بانتظـــار فاضـــل او . . . .

عنه ﷺ « فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الأولى » وعنه ﷺ : « افضل الأعمال الصلاة لأوّل وقتها » (١) وعنه ﷺ : « ان فضل اول الوقت على آخره سبْعون ضعفا » وقيل : افضل الأوقات من الليل والنهار اوقات صلاة الفريضة ، وعن عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عن الله عز وجل : « ان عبدى اذا اتانى وقد اقام الصلاة لوقتها ـ اى لأوّله ـ فان له عهداً أن لا اعذبه وان أدخله الجنة بغير حساب ؛ وان اتانى قد اضاعها ـ اى الى آخر وقتها وادركها ـ فلا عهد له عندى ، ان شئت عذبته وان شئت رحمته » وهذ االتفسير الذى فسرت به على أن الحديث الربانى فيمن اعتاد تاخيرها وما مر من ان آخره عفو الله فيمن لا يعتاد ولا يكثر ، وفى بعض كتب أصحابنا رحمهم الله : ان من حضرته الصلاة وهو يحرث أو يحصد أو المراة تنسج فجرّ بعد دخول الوقت محراثاً واحـداً او حصد قبضة واحدة او زادت المرأة فى نسجها خيْطاً واحداً فقد وفّر ما استصغره الله واستصغر ما وفره الله ، ولو أطعموا ذلك بالمرق ما ادركوا مـا مر لهم .

(**وجاز تاخيرها لـ**) ـامرٍ (**دينى**) يخـاف فوته غـير واجب (**ما لم يمض من الوقت نصفه ، وقيل :**) ما لم يمض منـه (**ثلثاه**) والجـواز فى القولين ثابت الا صـلاة المغرب فلا يؤخرهـا عن أولها ، (**وان**) كان التأخير (**بانتظار فاضل**) يصلى معهم (**أو**) بانتظار حصول

---

(١) رواه مسلم .

(جماعة) ليصلوا بامام (أو) بانتظار (محصّن) للصلاة بالجماعة يصلى بهم اماما ، وجه الأول ان ما دون النصف غير خارج عن أول لضميمة ذلك الأمر الحادث الدينى ، بخلاف ما اذا كمل النصف فقد شرع فى النصف الأخير ، ووجه الثانى أن ما زاد على النصف مما دون الثلثين مغتفر للرغبة فى هذا الحادث الدينى ، واما ما هو على التوسعة وقبول التأخير كنسخ الكتب ومطالعتها فلا ينبغى التأخير عن أول الوقت لأجله الا ان كان كتاب يفوت أو مسألة حال ضاقت ، وقيل : ينتظر الامام الجماعة الى ثلث الوقت ، وتنتظر الجماعة الامام الى ثلثيه ، ولا انتظار بصلاة المغرب بل اذا وصل المؤذن امـام المحراب اقام ، وقد قيل : اطلب العلم طلباً لا يشغلك عن العبادة واعبد عبادة لا تشغلك عن طلب العلم .

وقد روى عن رسول الله ﷺ : أنه كان يصلى اربعا بعد الزوال قبل ان يصلى الظهر ، ويطيل فيهن وقال : « من صلاهن تماماً يصلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل » ، وكذا كانوا يصلون أربعا قبل العصر بعد دخول وقته ولا باس بذلك ، فمن له قوة فى الخشوع ولا يلحقه فتور فى الفرض فعل ذلك ، وان كان ان صلى ذلك نقص خشوعه وحضور قلبه فى الفرض بعده فلا يجوز تقديم ذلك على الفرض ، وعلى هذا حملت كلام ناصر بن ابى نبهان اذ قال : لا يجوز تقديم النفل على الفرض ، وقال : انى لا اصلى خلف امام يفعل ذلك وكذا يحكى عن ابيه . قلت : ايضاً علة عدم الصلاة خلف من يفعل ذلك ان العامة والخاصة يكون خلف الامام فلعله ينقص خشوعه وحضور قلبه بتقديم النفل فيكونون قد صلوا خلف امام ناقص الامر ، ثم ان ما ورد فيه النص من التقديم فقيده ما ذكرته وما لم يـرد

. . . .

فاحمله على ذلك ايضا اقتداء بمن قبل فى التقديم وقيده بذلك ، أو اعتبر فيه تقديم الاهم وهو الفرض مطلقا ، ولعل من طبع بعض الناس ايضا الاستدراج فى الخشوع وحضور القلب فما يزالان يقويان فليقدم النفل ليقوى قلبه على الفرض بزيادة الخشوع والحضور ، والله أعلم .

فصـــل

عصى لائم جـاوز بلومـه المقـدار . . . .

فصـــل

فى الملامـة

وهو مصدر ميمى بمعنى اللوم ، وهو ان يوبّخ ويعاتب الشخص على فعل ما لا يليق به او بامثاله مما لا يحسن ، وان لم يكن معصية أو لم يكن قبيحاً فى حق غيره ممن لم يكن فى درجته ، كما وقع للشيخ ابى مسْور رحمه الله مع شيخه ابى معروف : كان ابو معروف يعمل فى جنانه لابسا سراويل لا غيره للعمل ، فدخل عليه ابو مسور ولمـا رآه كذلك اخرجه الى الخطة فقال : تبّت ، وروى : ان ابا معروف جعل يتوب ويستغفر ، واراد لومه بعد ذلك فقال له أبو معروف : ليس لك ذلك بعد التوبة ، وهـذا منهم رحمهم الله من احياء السير والورع والحذر ، وفى رواية انه قال : قد كان اللوم متوجهاً قبلى قبل التوبة واما بعدها فقد ارتفع اللوم ؛ (عصى لائم جاوز بلومه المقدار) او لام حيث لا يجوز اللوم معصية صغيرة أو معصية لا يدرى أهى عند الله كبيرة أم صغيرة ؟ والذى عندى ان من لام على الفرض

ولا يلام غير مستحقه لقولهم : ملامة مسلم ذنب ، وينصح ان فعل منقصا او مدنسا ، ويلام بقدره ويهاجر به . . . . .

او ما دونه مما هو طاعة جزما او على ترك الكبيرة او ما دونها مما هو معصية كافر نفاقا ، وان جنح بلومه الى التحريم او التحليل فمشرك ، وعلى غير ذلك مما لا يكون معصية يكون عاصيا كما يعصى بمجاوزة اللوم المقدار اذا جاز ، ولعله وصاحب الأصل أطلقا ليشمل ذلك فيصرف اللوم فى كل موضع الى ما يصلح له ، ومقدار اللوم راجع الى الاجتهاد ؛ فان زاد على قدر اجتهاده عصى ، فان عظم الفعل او الترك لام بقدر ذلك ، وان هان فبقدره ، وان عظم شان الفاعل او التارك الملوم عظم اللوم ، وان كان الملوم يرتدع لما بعد ويكف ، كفاه لومة واحدة ؛ واللوم يكون حال الفعل لما يلام على فعله ، وفى حال الترك لما يلام على تركه ، وبعد ذلك ، ويلام قبل ذلك على القصد او العزم .

(**ولا يلام غير مستحقه**) أى : مستحق اللوم (**لقولهم : ملامة مسلم**) بلا فعل منقص أو مدنس (**ذنب**) وكذا لوم موقوف فيه ، وان لام كافرا على غير ما يلام عليه عصى ايضا ، وكذا ان لا على شيء هو طاعة أو لا اختيار له فيه فان ذلك كله ظلم لهم ولم يخرجوا فيه الى أن ذلك الذنب كفر .

(**وينصح**) المسلم (**ان فعل منقصا أو مدنسا**) عند الله أو عند الخلق أو عند الله والخلق ؛ والتدنيس اعظم من التنقيص (**ويلام بقدره ويهاجر به**) أى : بقدره أى بقدر ذلك المنقص أو المدنس ، أو بقدر موضعه فى الاسلام مع النظر الى ذلك المنقص أو المدنس ، والهاءان عائدان الى واحد من المنص والمدنس ، وما ان يعاد الأول لأحدهما والثانى للقدر ، أو الأول

ويؤدب بلا حب اضرار اخروى أو دنيـوى لـه ويرادان لـذى كبير ودنيوى لـذى وقـوف ولا يلام من لم يتسبب لفعل . . . .

للمسلم والثانى للقدر ففيه تفكيك الضمائر ، وسواء فى ذلك ما ينقص او يدنس من فعل او ترك مثل ان يكون قاضياً ويلى البيع والشراء ، أو يبيع ويشترى فى مجلس القضاء ، ومثل أن ياكل فى الطريق وما اشبه ذلك مما لا ينبغى ، او من اخلاق السوء ، وأن لا يرغب فى السنن ، وان يفعل مباحاً لا يحسن لمن فى رتبته كما قال الشيخ احمد صاحب الأصل رحمه الله : أن المسلم يلام على ما لا يلام عليه غيره .

(**ويؤدب**) على ذلك بما يستحقه من الخطة أو النهر او تغليظ الكلام او الضرب اذا فعل موجبه ، وعطف على يهاجر ، عطف عام على خاص (**بلا حب اضرار اخروى او دنيوى له**) وكذلك الموقوف فيه ينصح ويلام بدون وجوب ، وقال قومنا : بوجوب النصح له ، وكذا قالوا فى الفاسق لدخولهما فى عامـة المسلمين فى حديث النصيحة عنـدهم ، والواجب عندنا لهما الأمر لهما بالمعروف ونهيهما عن منكر .

(**ويرادان**) أى : الاضرار الأخروى والدنيوى (**لذى**) ذنب (**كبير**) ؛ اما الأخروى فعلى كفره وأما الدنيوى فعليه وعلى ما يلام عليه ، (**و**) يراد اضرار (**دنيوى**) لا اخروى (**لذى وقوف**) على ما فعله أو تركـه ليرتدع ويضعف عن ذلك ويلام الموقوف فيه ودون الذنب الكبير على قدر ما يستحقان ويهاجران كذلك ويؤدبان (**ولا يلام**) على فعل (**من لم يتسبب لفعل**) ولا على ترك من لم يتسبب لترك اذا كان الفعل او الترك من الله فيه بلا كسب منه ولا سبب ؛ او كان الفعل أو الترك من الخلق فيه بلا كسب ولا سبب « وذلك مثل ان يخلقه الله قبيح الصورة أو ضعيفاً او معلولاً لا يقدر على الوضوء ، أو بستة أصابع أو اربع ، أو يقطع الناس يده أو رجـله ولا سبب له فى ذلك ولا كسب ، ومثل ما يجر انساناً الى نفسه بلا كسب

ككون أبيه حداداً » (١) فانه يجره كون أبيه حداداً الى الحدادة بمعنى أنه يضاف اليها ، وان كان له سبب أو كسب فى شىء من ذلك ليم على كسبه وسببه ، فيلام الأب على ما يفعله مما يكون فى الجملة سبباً لمضرة أو عيب أو عصيان فى ولده يلام على ذلك قبل ان يظهر فى ولده وبعد ان يظهر فيه ان كان فيه .

(**وصحّ**) اللوم (**على غير معصية**) من مباح ومكروه ، (**كتارك نفعه**) أى : نفع نفسه ، وكذا تارك النفع لغيره بأن لا ينفع غيره فيلام على عدم نفعه (**أو دفع ضره**) أى : كف ضره أى : ضر نفسه أو غيره كما قال : (**وأن**)

---

(١) اعلم ان بعض الصنائع تكون فى عرف اقوام مزرية بالانسان ولا سيما اذا كان ذا منزلة فى قومه : كالحدادة فانها فى وطننا تعتبر كذلك لسوء الحظ مع انها من أشرف الصنائع ، فان خدمة الحديد الآن من اكبر الحرف الجليلة عند الامم ، وعلى أصحابها يعتمد فى المهمات والملمات ، وعليهم مدار التوتين الدفاعية والهجومية ، انظر حال الامم الراقية ذات القوات الهائلة كيف ترى أصحاب الصنائع الحديدية فى مقدمة الرجال فاقل شهادة فى حرفة الحديد تؤهل صاحبها لان يتقاضى مرتبا كبيرا فى أى معمل من المعامل ولكن من سوء البخت نرى اصحابنا فى الوطن يمتهنون الحداد ويعتبرونه من حثالة القوم ، والمرء فى اقل حاجة من الآلات يؤم بابه ويستعطفه فى اجادة مطلوبة والتعجيل به .

فبدل أن نجد الحرف التى هى من الفروض الكفائية تشجيعا لكى تتقدم ويتقنن أصحابها حتى تتوفر وسائل العمران ، صرنا نرى احتقارا لاصحابها وامتهانا لها فاذا كان اصحابها ممن يحطون كرامتهم بما يأتون من الطمع والاستجداء فان الصنعة لشرفها يجب احياؤها والعناية بها ممن منح موهبة الاعتناء بالمعارف ورفع شأن الامة .

ولا ريب أن كلّ أمة اضاعت الحرف وازدرت بها تكون عرضة للهلاك والانحلال ، اذ تكون دائما فى حاجة الى استمداد حاجياتها من الخارج وانفاق اضعاف اضعاف ثمنها ومع ذلك لا يؤمن انقطاعها ، هنالك تكون الطامة الكبرى والهلاك المبين زيادة على الهلاك بالاثم الذى يعم الامــة بتضييع الفرض الكفائى .

عن غيره ولا يحل التنقيص على معروف ولا يحقر ما فعل لله ، فان اللعنة قيل : تدور مع المعروف فان لم تصادف صانعه أو مصنوعاً . .

كان ترك الدفع (عن غيره) وذلك بان فعل فعلاً أو ترك فعلاً كما يجوز له فتولدت مضرة من ذلك على غيره فيلام على ذلك مثل أن يقتص من ضاربه أو يقتل قاتل وليه أو يأخذ حقه فتقوم فتنة على ذلك ، أو يتعدى على أحد ، لذلك حد الله فيقال له : لو تركت ذلك المال أو بعضه لكان خيراً ، أو يعاتب ، ومثل أن يترك اللباس بحيث لا يهلك ولا يفوت عضو ، ومثل أن يترك الدواء فيهيج به المرض .

ولا يحل للناس لوم الله سبحانه وتعالى فى قلوبهم ولا فى ألسنتهم على ما فعل من محبوب أو مكروه أو ترك لأن أفعاله وتركه كلها عدل وصواب وحكمة ، ومن لام الله سبحانه وتعالى أو نسبه الى الجور فقد كفر كفر نفاق عائد فى المعنى الى الشرك ، ومن نقّص فعل الله عصى ، وأقول : بل كفر كفراً فى معنى الشرك ، وذلك اذا كان تهويناً بالله اذ فعل ذلك أو تركه وان نقص نفس الفعل دون استشعار فاعله سبحانه وتعالى عصى .

(ولا يحل) للانسان (التنقيص) تنقيص فاعل المعروف (على معروف) فعله له أو لغيره كالصدقة والاعارة والاعانة ، أو فعله لله مما لا يصل مخلوقاً كالصلاة والصوم ، (ولا يحقر) الانسان (ما فعل) هو من المعروف لغيره ليثيبه أو لأنه قد أحسن اليه قبل ، أو ليحبه ، أو ليداريه به ، أو نحو ذلك أو (لـ) وجه (لله) وذلك كالضيافة وحق الجيران والصدقة على المسكين (فان اللعنة قيل :) أى : قال بعض السلف موقوفاً (تدور مع المعروف) المصنوع للضيف أو للجار أو للرحم أو للمسكين أو غيرهم (فان لم تصادف صانعه أو مصنوعاً

له حلّت على ابليس ، ولا يضر تحقيره لا من جهة نعمة الله بل لكون

صانعه أهــلاً لاكثر . . . .

له) بان لم يحتقراه (حلّت على ابليس) نعوذ بالله منه ، وان صادفت صانعه بان احتقره حلت عليه ، أو مصنوعاً له بان احتقره حلت عليه ، وان احتقره الصانع حلت عليه ، وان احتقره المصنوع له أيضاً ، بعده أو قبله ، حلت عليه ايضاً فيكونان ملعونين جميعاً ، وذلك كله ظاهر ، ولو لعنا بشيء قبله ثم احتقراه زادت لعنة اخرى لهما الا حلولها على ابليس حين لم تحل عليهما او احدهما فانه ان تسبب لهما فى التحقير ولم يحقرا فظاهر انه قد استوجبها فحلت عليه ، وان لم يتسبب فكيف تحل عليه ولم يفعل موجبها ولم يفعلاها بوسوسته ، ولعل معنى حلولها عليه حينئذ انه المتصف باللعنة المطلقة المحكوم عليه بها دون ان يحكم عليهما بها للتحقير اذ لم يحقراه ، او معناه : أن ابليس يستصغره اذا لم يحقراه اما عناداً لله تعالى او لحبه للعصيان . وعنه ﷺ : « حرام على الرجل ان يقدم للضيف ما يحقره فى منزله ، وحرام على الرجل أن يحقر ما قدم اليه » ، وروى ان الأضياف باتوا عند عمر رضى الله عنه فقال : انكم بتم عند ثلاثة : عندى وعند رزقكم وعند الله فان لمتمونى فقد لمتم رزقكم ، وان لمتم رزقكم فقد لمتم الله ، وان لمتم الله فقد كفرتم . ومن اعطى شيئاً فرده احتقاراً له ثم رُد له جاز أخذه ، وان زيد له أخذ الأول دون الزيادة لانها ليست بطيب نفس كما ذكره الشيخ عامر فى عطية الجار وعطية الجار وغيره سواء ، وكذلك ان قبض ما اعطى واظهر عدم الرضى فزيد له ، وذلك فى النفل ، واما ان رده لانه اعطاه له على عمل او فى صداق فوجده دون حقه فله أخذ الزيادة مع الأول كلها اذا اطمانت النفس ، والا فليأخذ من ذلك ما يطمئن اليه النفس انه حقه .

(ولا يضر تحقيره) بان يحقره غيرهما اعنى غير الصانع والمصنوع له أن يحقراهما او أحدهما كل ذلك (لا من جهة نعمة الله بل لكون صانعه أهــلاً لاكثر)

مما صنع أو لا يسد حاجة مصنوع له ولا يحل نسبة قضاء حاجة لغير الله تعالى ولزم العلم باضافته اليه على يد مخلوق . . .

اى : لصنع أكثر (مما صنع) اى : انما يضر المحتقر احتقار المعروف اذا احتقره من جهة ذاته أعنى : ذات ذلك المعروف الذى هو فى نفسه نعمة الله وما كان نعمة الله لا يتأهل للاحتقار ، واما اذا احتقر المعروف صانعه أو غيره لكونه حقه أن يصنع أكثر أو أعظم من ذلك لكثرة ماله أو لعظم جرمه أو لوقوع ما يحبه نذر او لم ينذر أو غير ذلك ، أو لعظم شأن المصنوع له أو عظم حقه عليه (أو) لكون ذلك المعروف (لا يسد) عطفاً على اهلاً وفى يسد : ضمير الصانع أو ينصب عطفاً لمصدره على الكون ففيه ضمير المعروف ، (حاجة مصنوع له) لشدة جوعه او اعسرائه أو كثرة عياله أو ديونه فلا يضره ذلك ، ولكن ينبغى للصانع ان يقول له مثلا : أنت أهل لاكثر من هذا دون أن يقول : ما أعطيتك شىء حقير أو لا قيمة له أو ليس بشىء وما اشبه ذلك ، فان ذلك تحقير للمعروف بحسب ظاهره ولو اراد معنى انك اهل لأكثر من هذا (ولا يحل نسبة قضاء حاجة لغير الله تعالى) ، بان ينسب قضاءها الى غير الله تعالى تحقيقاً مع قطع النظر عن كون الله هو القاضى لها والخالق لها ولكسب الساعى فيها ، فهذا لا يجوز ، فاما ان ينسب ذلك غافلاً فليستغفر واما ان يعتقد أن مخلوقاً استقل بقضائها عن الله فقد اشرك .

(ولزم العلم باضافته » اى : باضافة القضاء (اليه) اى الى الله سبحانه وتعالى حال كونها (على يد مخلوق) فيما كان على يد مخلوق ، وعندى انه يجوز أن يقول : قضاها فلان ويعتقد أن الله خلقها وأجراها على يده كما قال ﷺ : « من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له سبعين حاجة ادناها المغفرة » (١) ، فنسب القضاء لمخلوقين بمعنى

---

(١) رواه الدارقطنى .

وكـذا منعهـا والحمـد على الكسب والقصـد كالذّم على التقصـير . .

الجريان على يده من الله سبحانه وتعالى ، ولا يقول ذلك مهملاً او معتقداً ان فلاناً قضـاها مستقلاً عن الله عز وجـل ، فالأولى ان يقـول : قضـاها الله سبحانه وتعالى على يد فلان ، وان لم تكن على يد مخلوق لـم يقـل على يد أحـد ، ومعنى يد فلان واسطته أو كسـبه ، وخص اليـد لأنهـا اعمل الجوارح او اطلقهـا على مطلق الجارحة على طريق المجـاز الارسالى لعلاقة الاطلاق أو التقييد أو كليهما أو على فـلان أو مخلوق ، وذكـر اليـد لأن غالب العمل بهـا ، وذلك أنهـا قـد تكون باللسـان او بالرجل او الظهر او غيرهما ، والأولى أن يقـول : ولزمت اضـافته اليـه لأنهـا المـراد هنا ، ولكنه ذكر العلم لأنه لازم ايضـاً ، ولا يكفى عنه العمل فى مثل هـذا فيضيف الى الله تعـالى مع العـلم بأن الاضـافة اليـه واجـب .

(**وكـذا منعها**) يضيفه الى الله تعالى خلقـاً واجـراء على يـد مخلوق ان كان المنع جـارياً على يـده ولا يضيفه الى مخلوق مهمـلاً او معتقداً أن المخلوق مستقل به ، وهكذا على حد ما مـر فى قضـائها ولو شـاء لم يقضها المخلوق ولو شـاء الله لم يمنعها .

(**والحمـد**) مبتدأ (**على الكسب**) خبر (**والقصـد**) عطف على الكسب ، أى : انما يحمـد المخلوق فى قضائها على سعيه فيهـا (**كالذّم**) للمخلوق فى منعها (**على التقصـير**) والشكر للمخلوق الجـارية على يـده بقصـد واجب ، وهذا الكلام متصل بما قبله بمعنى أن القضـاء من الله لا من غـيره ، لكن لابـد من كسب وقصـد وترك تقصير . وعنه ﷺ : « لا يشـكر الله من لا يشـكر النـاس » (١) ، وقـال بعض العلمـاء :

---

(١) رواه ابو داود .

من لم يشكر الانعام فعده من الانعام . قال الشاعر :

لأشكرنك معروفاً هممت به ... ان اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك ان لم يمضه قدر ... فالشىء بالقدر المحتوم مصروف

فاذا شكر نعمة المخلوق فقد ادى حقها مثل أن يدعو له أو يكافئه بخدمة أو مال أو بمنع ضر توجه اليه أو يظهر له انك قد فعلت فى الخير ، ولا يفعل ضد ذلك ، فاذا كان كذلك استحق المزيد ولم يعد كافراً للنعمة (**ونهى عن الالحاح فى طلب الحوائج**) فما يحتاجه الانسان ان طلبه فلا يلح فى طلبه (و) عن الالحاح (**فى مستغنى عنه**) اذ لا يجوز طلب ما استغنى عنه فضلاً عن ان يلح فى طلبه ، والالحاح ان يلزم المسئول حتى يعطيه ، والأولى أن يقدر ، وعن الطلب فى مستغنى عنه قال الله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس الحافاً ﴾ (١) أى : اذا اضطروا الى السؤال سألوا بلا الحاح ، وقيل : لا يسألون اصلاً فانظر : « هميان الزاد الى دار المعاد » قال الشيخ اسماعيل رحمه الله حكاية : عزُ المؤمن تجمله فى فاقته واستغناؤه بربه عن خلقه ، قال الله تعالى : ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ ، وعنه ﷺ : « ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال » ، وقال الله تعالى : ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ (٢) ، وقال ﷺ : « أفضل العبادة انتظار الفرج فان الله يحب ان يسأل من فضله » ويقال : كثرة طلب الحوائج تميت القلب وتورث الذل وتذهب بنور الوجه ، وعن عبد الله بن سلام : قلت لكعب الأحبار : ما الذى يذهب العلم من العلماء بعد اذ وعوه ؟ قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج ، فقيل للفضل :

(١) سورة البقرة : ٢٧٣ .
(٢) سورة النساء : ٢٧ .

. . . .

فسّر لى قول كعب ، قال : يطمع الرجل فى الشىء فيطلبه فيذهب عليه دينه ، والشَّرَه ان تشره النفس حتى لا تحب ان يفوتها شىء فتكون لك الى هذا حاجة ، والى هذا حاجة ، فاذا قضاها لك خرم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له ، فمَن حبّك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به ، وعدته اذا مرض ولم تسلم عليه لله ولم تعده لله فلو لم تكن لك اليه حاجة لكان خيراً لك ، ثم قال : هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وعن فلان .

ويروى عن على : استغن عمن شئت فانت مثله ، واحتج الى من شئت فانت اسيره ، واحسن الى من شئت فانت اميره ، ويقال : اترك الطمع يتركك الفقر ، واحمل نفسك على مالك يحملك ، وانزع الطمع من قلبك تحلّ القيد من رجلك ، ويقال : من طمع فى مال غيره نزعت البركة من ماله ويقال : من ترك سؤال الناس عزّ عليهم ، وقال لقمان لابنه : يا بنى اذا افتقرت فافزع الى ربك وحده فادعه وتضرع اليه واساله من فضله وخزائنه فانه لا يملكها غيره ، ولا تسال الناس فتهون عليهم ، ولا يعطوك شيئا ، ويقال : المسالة اما محرمة وهى مسالة من اظهر على نفسه ما ليس به كاظهار فقر وليس بفقير ، واظهار انه فلان أو من بنى فلان أو انه يريد التزوج وليس كذلك ، فكذلك اكل مال الناس بالخدعة ، واما مباحة وهى مسالة من لا يجد غنى يغنيه وذلك غذاؤه وعشاؤه ، قال ﷺ : « من سال وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جهنم » قالوا : يا رسول الله وما يغنيه ؟ قال : « ما يغديه أو ما يعشيه » ، واما مكروهة وهى مسالة من له أوقية وهى أربعون درهماً .

والذى ينبغى للمسلم : التعفّف عن السؤال وصيانة النفس والتجمل بحسن الحال ، ويقال : من فتح على نفسه باباً من المسالة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ، ولا ينبغى أن يتدنس بمطالب الشؤم ومطالع اللوم

. . . .

ويتضرع الى الأرذال ، ويقال فى التوراة : من تواضع لغنى لينال ما عنده احبط الله ثلثى دينه ، واما اذا كان السؤال لنازله وفاقه حاله فلا حرج فى السؤال ، وعنه ﷺ : « من سال عن ظهر غنى جاءت مسالته يوم القيامة فى وجهه خدوشاً أو خموشاً او خروشاً » قيل : وما الغنى ؟ قال « خمسون درهما او عدلهـا ذهباً » (١) كما فى الايضاح ، وقال ﷺ : « من سال ومعه أوقية فقد سال الناس الحافاً » كما فى الايضاح ، واخرج ابو داود والترمذى والنسـائى عن ابن مسـعود رضى الله عنـه عـن رسـول الله ﷺ : « من سال الناس ولـه ما يغنيه جـاء يوم القيامة ومسـالته فى وجهـه خموش أو خدوش او كدوح » قيـل : يا رسـول الله وما يغنيه ؟ قال : « خمسون درهما او قيمتها من الذهب » ، زاد هشام : « وهى اربعون درهماً » واخرج ابو داود عن ابى سعيد الخـدرى انه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سال وله أوقية فقد الحف » ، واخرج النسـائى : « من سال وله اربعـون درهماً فهو ملحف » . واخـرج مسلم عن أبى هريرة عنـه ﷺ : « من سـال النـاس تكثراً فانمـا يسـال جمـراً فليستقلل أو يستكثر » ، وروى عن ابن عباس فى تفسـير الآية : ﴿ لا يسـالون الناس الحـافاً ﴾ انه اذا كان عنده غداء لا يسـال عشاء ، واذا كان عنده عشاء لا يسال غداء ، وكذا روى جماعة كصاحب الوسيط وغيره ، وان سال وله ذلك فقد سال الحافاً ، واخرج الشيخ هـود رحمـه الله عن ابى ذر : « من كانت له أربعـون ثم سـال فقد الحف » .

وعن عطـاء بن يسار قال رسول الله : « من سال وله اوقية فقـد سال الحافاً » ، وقال ﷺ : « ان الله سبحانه يحب الحليم المتعفف ويبغض البذىء السئال الملحف » واختلفوا فى الالحـاح : هل هو كبيرة ؟ فقيل : كبيرة ، وقيل : صغيرة ، وقيل : مكروه ، والله سبحانه تعالى مدح من

---

(١) رواه مسلم .

. . . .

ترك الالحاف فيكون من يلح مذموماً ، والاصل فيما ذم الله التحـريم واذا مدح شيئا ولا قرينة على عدم وجـوبه حمل على وجوبه اشـار اليـه فى « السؤالات » فيحمل قوله ﷺ : « ملعـون من سال بالله » على من سال الحافا وهو غنى عمـا يسال ، فاما على ان الالحـاح بلا ضرورة كبيرة فواضح كفره ، واما على انه صغيرة او كبيرة فعلى انه سال بالله لعلمه او ظنه انه اذا سـال بالله تعالى فانه يعطيه وهـو كاره فيكون بمنزلة الغاصب ، والغاصب ملعـون ، ويكون ممن ياكل مال الناس بالباطل ، او يحمـل على ما اذا اظهر حالة اضطرار الى ما يسأله وهـو غير مضطر اليـه ، او على من يسـأل تكاثراً او على من اظهر فقراً أو ارادة حج أو نكاح او غرامة او مكاتبة أو دين أو نسـبة الى قـوم ولم يكن كـذلك أو نحـو ذلك ، فـان ذلك مكر وخـداع ، وهمـا كبيرتان ، قال ﷺ : « المكـر والخديعة فى النـار » وذلك كفر ولو سال بلا الحـاح وبدون اسم الله ، ولكن خص ذكر اسم الله تعظيماً لفجـور فاعل ذلك حيث توصـل بذكر الله الى معصية ، وحيث لعب باسم الله تعالى عن كل نقص ، وأنت خبير بأن المبعـوث يوم القيامة مخدوشا فى وجهه أو مخموشاً او مكدوحاً يتبادر انه شقى والعيـاذ بالله ، وقـد علق ذلك بسـؤاله ، وينص على ذلك قوله ﷺ : « من سال وعنده ما يغنيه فانه يستكثر من جهنم » قيـل : وما يغنيه ؟ قال : « ما يغديه ويعشيه » وقال ﷺ : « لا تحـل المسـألة الا لثلاثة : غرم مفظع ، وفقر مدقع ، ودم موجع » فيفهم ان غير ذلك حـرام وفعـل الحرام كفر غالباً ، وقـول قبيصة بن مخارق : تحملت بحمالة فاتيت النبى ﷺ اساله فقال : « نؤديها عنك اذا جـاءت ابـل الصـدقة يا قبيصة ان المسألة محرمة الا لثلاثة : رجل تحمـل بحمالة فتحل لـه حتى يؤديها ثم يمسـك ، ورجـل أصابته جائحة او فاقة حتى شهد لـه ثلاثة من ذوى الحجا من قومه يسالهم حتى يصيب قواماً من عيش ثم يمسـك ، وما سـوى ذلك فهـو سحت » (١) فصرح بالتحـريم ،

---

(١) رواه مسلم .

. . . .

والسحت فيما سوى ذلك فيحمل على ما سواه حديث : « ملعون من سال بالله » وخص ذكر الله لما مر ، والحكم كذلك ان سال بدون ذكر الله جل جلاله ، وقال ﷺ : « لن تزل المسألة بالعبد حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه « مزعة لحم » والمزعة بضم الميم القطعة وهذه أمارة شقاوة وقد علقها بالسؤال ، فالسؤال الذى يوصل اليه كفر وكبيرة .

وذكر فى « القناطر » : ان سؤال السائل وله أوقية مكروه ، وما ذكرته أوضح ، أو يحمل الحديث على من سال بالله ما ليس له أهلاً كغنى أو عبد يسال الزكاة أو الكفارة او على من سال معصية من المعاصى كزنى وربا فيكون تخصيص السؤال باسم الله تعالى لما مر وحكم السؤال بدون ذكره كذلك ، وقيل : لا يكفر من سال معصية أو ما لا يجوز له حتى يأخذ وقد صرحت الشافعية ان الاصح تحريم السؤال على من له قدرة على الاكتساب .

وفى السؤالات : « من سال الناس عن ظهر غنى جاءت مسالة يوم القيامة فى وجهه خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً معناه : جاء بسبب مسئلته مخدوشاً ، والكدح : العض ، والخدش أثر فى الجلد ، والخمش أشد ، وفى الحديث : « من سال وله أوقية سال الحافاً » أى الحاحاً وهو معنى قوله ﴿ لا يسألون الناس الحافاً ﴾ رحمهم الله ، وهو رأى أبى ذر رحمه الله ، والأوقية أربعون ، وقد ذكر ذلك ونحوه ما مر فى « القناطر » وذكره الغزالى ، قال الشيخ عمرو التلاتى رحمه الله : الغزالى مرضى عندنا ، قلت : يعنى لأنه قد رجع عن اثبات الرؤية ولم تعرف منه براءة المسلمين مع صحة ديانته واعتقاده ، والذى عندى أنه لم يصح عنه الرجوع عما فيه من تخطئة أصحابنا رحمهم الله ، ولو صح عنه الرجوع عن الرؤية ، وفى « السؤالات » : لا تزال المسألة

. . . .

بالعبد حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهة مزعة' لحم » أى قطعة لحم والله أعلم .

وفى الحديث : « لا تحل المسالة الا لثلاثة : رجل تحمل بحمالة بين قوم ورجل أصابته جائحة فاجتاحت حاله فيسال حتى يصيب سداداً من عيش أو قواماً ـ بكسر السين والقاف ـ ورجل اصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من أهل الحجا من قومه أنه قد اصابته فاقة وانه تحل له المسالة وما سوى ذلك من السؤال فهو سحت » ولا يخفى أن بعث الانسان لا مزعة لحم فى وجهه عقوبة لا تكون لأهل الجنة ، والخدش أو الخمش والكدح مثل ذلك أو دونه ، ولو لم يكن الا مكروهاً ما عوقب بذلك ، فان العقاب يختص بالكبيرة اذ المكروه لا عقاب فيه ، ويدل لذلك سائر الأحاديث الا أن يقال كراهة شديدة تلحق بالتحريم ، وظاهر « السؤالات » أن السؤال اما مباح أو حرام فيحمل الأحاديث ولو لم يذكرها كلها على التحريم ، وفى « القناطر » : أنه يكون أيضاً مكروهاً ، وان قلت : ما معنى عن ظهر غنى ؟ قلت : شبه فى نفسه الغنى بالدابة بجامع الانتفاع بكل ، والتوصل بكل الى المقصود والكفاية بكل عن غيره ، وأشار الى ذلك بلازم الدابة وهو الظهر ، وكانه قال : من سال حال كونه منتقلاً عن ظهر غنى ونازلاً عنه ولم يجعله حاجزاً بينه وبين العقوبة بما ذكر ولم يقل من سال عن غنى لأنه يحتمل ذلك المعنى ويحتمل معنى آخر أى : سال بسبب الغنى ليحصله . وان قلت : ما وجه الاشتراط فى قوله ﷺ : « حتى يشهد له ثلاثة من ذوى الحجا من قومه » ؟ قلت : اشتراط الشهادة ليزيل السائل بها عن نفسه التهمة بارادة التكاثر وباقتحام عار السؤال فانه عار عادة وشرعاً واقتحام عقوبته ، وليكون ادعى للاعطاء ، واشتراط الثلاثة تسهيلاً له بان يكفى فى ذلك أن يشهد له ثلاثة من أهل الجملة ولم يكلفه بعدلين مرضيين ، ويدل لذلك قوله ﷺ : « من أهل الحجا » أى العقل ، ولم يقل من أهل البر

. . . .

والصلاح ، وقال : من قومه ، باعتبار الغالب والمتبادر لأنهم اعرف بحاله من غيرهم ، فلو حصلت معرفة غيرهم له لأجزت ايضا .

وان قلت : كيف بين احاديث الخدش فى وجهه واحاديث لا مزعة فى وجهه والخمش ونحوه انما هو فى الجلد واللحم ؟ قلت : بعض يبعث مخدوشا وبعض لا مزعة فى وجهه او الخدش فيمن اخذ سؤاله قليلا أو كثيرا دون الذى لا مزعة فى وجهه ، والذى لا مزعة فى وجهه هو الذى اخذ اكثر سؤاله أو الذى لا مزعة فى وجهه هو من يكرر السؤال أو يعتاده ، وربما أشار الى ذلك قوله : « لن تزل المسالة بالعبد » والمخدوش هو من دون ذلك ، ولك طريق آخر هو انه يمكن أن يكون فى وجهه لحم قليل دون قطعة فيقع فيه خدش أيضا ويزال لحم باقى وجهه ، وأن يكون لا لحم فى وجهه اصلا لا قليلا ولا كثيرا الا جلد تغطى العظم فيقع فيها الخدش أو لا لحم ولا جلدة ويقع فى العظم مثل ما يقع فى اللحم والجلد من خدش فسمى ذلك خدشا والله اعلم .

ومحل التنفير عن السؤال كراهته أو تحريمه ما اذا لم تدع اليه حاجة مضطرة له ، أما اذا دعت الضرورة فلا باس ، فمن حديث ابن عمر : ما المعطى من سعة بافضل من الآخذ اذا كان محتاجا بل اذا اضطر لزمه السؤال ، فالسؤال واجب وحرام ومكروه ومباح ، فهو أربعة لا ثلاثة فقط ، وحاصل ذلك كله حمل السؤال فى قوله ﷺ : « ملعون من سال بالله » على سؤال غير جائز ، واما قوله ﷺ : « وملعون من سئل بالله ولم يعط » فالمراد به ان شاء الله من سال [وهو] صادق فى سؤاله محتاج مضطر ولم يكن المسئول مثله لا يجد التفضل عليه ، ويدل لذلك ما روى : « لو أن السائل يصدق لم يفلح من رده » وما فى « القناطر » « والاحياء » : « لولا ان السؤال يكذبون ما قدس من ردهم » فرتب الوعيد وهو عدم التقديس على ردهم لو صدقوا فثبت الوعيد على ردهم

. . . .

اذا صدقوا قالا : فالواجب على من وقف عليه سائل ان لا يخيبه ان قد رأى سائل كان لقوله ﷺ : « اعط السائل ولو جاء على فرس » ولا سيما سائل المسجد لأنه ضيف الله أوى الى بيت الله ووجه التعميم فى الوجوب حمل احاديث جواز رد السائل بكلام حسن ولطف وآثار ذلك على ما اذا لم يجد المسئول يعطيهم ، وانما يعطى ولو جاء على فرس لأنه لا يدرى ما حاله ولعله جائع ولباسه وفرسه ليسا ملكاً لـه ، وأما اذا علم ان السائل يسال تكاثراً فلا يجب اعطاؤه او يسال ما لا يجوز له فلا يجوز اعطاؤه ، وحديث : « لولا أن السؤال يكذبون ما قدس من ردّهم » يدل على هذا فانه يدل على رفع العقوبة بعدم التقديس عمن ردهم اذا كذبوا بأن يقولوا : لا شىء عندنا أو ليس عندنا كذا أو انّا من بنى فلان او نحو ذلك ، أو بان يسالوا ما لا يجوز لهم كذب أيضاً وخروج عن الحق ، واصل الكذب هكذا ، وايضاً سؤال ما لا يجوز بمنزلة القول انه جائز ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وأما السائل فلا تنهر (١) ﴾ فبعد سؤال السائل له ﷺ ، واعطائه العنقود الموهوب لـه هدية ورد الواهب ذلك اليه ﷺ بالشراء من السائل وتكرر ذلك ثلاثاً نهر ﷺ السائل وقال : « أردت أن تكون تاجراً !! » نهاه الله تعالى عن نهره لا عن رده اذ كان السائل فى غنى عن ذلك العنقود ، ويعلم أيضاً من الحديث أنه لا يجب الاعطاء لمن يسال للتجر أو للتكاثر أو يسال ما هو فى غنى عنه وأنه لا يجوز له السؤال لذلك اذ قال : « أردت ان تكون تاجراً ؟ » بعد ما نهره .

ويجوز أن يريد بلعن السائل بالله شتمه ، فان من يسال الناس بالله

---

(١) سورة الضحى .

. . . .

فيما يكرهون اعطاءه يشتمونه ويسبونه ، ومن معانى اللعن فى اللغة : الشتم والسب ، ومن شتم السائل بالله قولهم انه ملحّ ملتّحف والملح الملحف مذموم فالسائل به مذموم من حب الالحاح ، ومن شتمه قولهم : انه حريص ، ومن شتمه ما يجرى فى الألسنة من انه مكفر للمسئول أى داع له الى الكفر اذ كان مببا لسؤاله بالله موقعاً فى عدم الاعطاء بعد السؤال ، فكان المسئول كالكافر بالله اذ سئل بالله عز وجل ولم يعط كأنه لم يؤمن به ، ومن شتمه أن يقال : انه كالغاصب لأموال الناس اذ كان يسأل بالله فيعطونه ولو كرهوا ، ويحتمل أن يريد بلعن المسئول شتمه أيضاً اذ يقال : فلان يختار متاع الحياة الدنيا على الله اذ سئل بالله تعالى ولم يعط ، وانه شحيح حريص حتى كان لا يعطى سائله بالله ، وكأنه كافر بالله تعالى اذ كان يسئل به ولا يعطى ، ويحتمل أن يكون معنى لعن السائل أو المسئول محمولاً على الشتم والآخر محمولاً على الأوجه السابقة من تقييده بحالة وجوب الاعطاء أو تحريم السؤال ، ويحتمل أن يريد بلعن السائل بالله : السائل عن الله بان يسأل الناس عن صفات الله تعالى تعنتاً أو ليوقعهم فى الكفر باجابتهم جواباً فاسداً ، أو باقامة حجة وجوب المعرفة عليهم ولم يعرفوا ، ويريد بلعن المسئول : لعنه باجابته جواباً فاسداً اذا أجابه به أو لعنه باقامة الحجة عليه ولم يعرف الجواب لكن الذى عندى انه يعذر المسئول عن ذلك .

ومن خطر فى قلبه ولم يعرف كيف الجواب وانه عليه أن يسأل من يعرف وان لم يسأل لم أكفره ، ويعتقد ان الله ليس كمثله شيء ، والباء بمعنى عن ، ومعنى لم يعط على ذلك الوجه لم يجب الجواب الحق بل لم يعرف فسكت او أجاب جواباً فاسداً ، ويحتمل أن يكون السائل الملعون هو السائل فى العلم مطلقاً تعنتاً وجدالاً ، والمسئول الملعون من سأله سائل عن الحلال والحرام لينفى الجهل عن نفسه فكتم العلم فلم يجب فيكون معنى لم يعط انه لم يعط العلم فانه كثيراً ما يطلق الاعطاء

والتصدق على تعليم العلم ، ومعنى قوله : بوجه الله فى الله اى سال فيما هو من سبيل الله وهو العلم ، واذا كان السؤال على وجه لا يجوز كسؤال ما لا يحل والسؤال تكاثراً فقد سال هجراً فلا يلعن المسئول حينئذ بعدم الاعطاء مثل أن يسال العلم ليضر المسلمين أو للجدال ، وانما ساغ حمل الاحاديث على الوجوه المتكلفة والمعانى اللغوية لقرينة انه لا واجب فى المال الا الزكاة ونحوها من الحقوق كنفقة العيال والضيف ، نعم تتفاوت الأوجه قوة وضعفاً ويدل على لعن السائل تعنتاً ما رواه احمد فى مسنده أنه ﷺ : « نهى عن الأغلوطات » وهى صعاب المسائل ، وعنه ﷺ : « سيكون اقوام من أمتى يغلطون فقاءهم بفضل المسائل أولئك شرار امتى » وعن الحسن : شر عباد الله الذين يبتغون شرار المسائل يعمون بها عباد الله ، وقال الأوزاعى : ان الله تعالى اذا اراد أن يحرم عبده بركة العلم القى على لسانه المغاليط فلقد رأيتهم اقل الناس علماً ، ويحتمل أن يريد بلعن السائل بوجه الله فلعن مانعه المبالغة فى لومهما لا حقيقة اللعنة والكفر وقد قال ﷺ : « لا يسال بوجه الله الا الجنة » رواه أبو داود والضياء عن جابر بن عبد الله ، والمعطى والمانع الله . (فالافتقار الى الله) غنى (والاستغناء عن الخلق غنى) بان يوقن أن المعطى والمانع الله ولا يخرج قلبه وجوارحه عن ذلك فهو فى ذلك غنى ولو لم يجد شيئا لأن قلبه وجوارحه مطمئنة كأن المال كله وحوائجه فى يده ، وانما اخبر عنهما بغنى واحد لأنه لا يتصور الافتقار الى الله بالحقيقة الا بالاستغناء عن الخلق ، وبالعكس ، ولكن اذا اجتمع ذلك فقد حصل له غنَيان : غنى افتقار الى الله وغنى استغناء عن الخلق ، ولو استعان بمخلوق أو سال مخلوقا حيث يجوز له ذلك مع اعتقاد أن المعطى الله والمانع الله وان الخلق لا يعطونه ما منع الله ولا يمنعون ما أعطى

الله ، ومع اعتقــاد ان ليس الخلق الا واسطة فقد استغنى عن الخلق ومع ذلك فكلما ازداد ترك الحاجة الى الخلق كان اولى •

(وحسن الظن بالله فرض) بأن يستقر في قلبــه ضـمان الله الرزق ولو طالت مدة حاجته ، وأن المطيع له الجنة والمنفق له الخلف ، ويعتقــد ان كل ما اخبر الله به واقــع فان ظن انــه لعــله يدخــل العاصى الجنــة بلا توبة ويحــرم المطيع الجنة ، او انــه يخلف الموعــد أو نحو ذلك فقد اساء الظن بالله (واســاءته) اى اســاءة الظن (بــه) اى بالله (كفــر) اى كفــر شرك (والاستغناء عنــه فقــر) اعتماداً على ما فى يده أو على غيره من الخلق اذ ترك من بيــده الرزق والحوائج فلا يستغنى ابداً ولــو اصــاب ما اصاب من مال وغيره لانه اســتند الى من لا يملك شــيئاً فيبقى قلبــه وجوارحــه ابــداً كقلــب وجـــوارح من لم يصب ، وهكذا حــال الحــريص •

ويقال ان الملائكة تنزل من الســماء يطوفون على الابــواب لينظروا كيف يصنع الناس بما أعطاهم الله ، وأكثر ذلك بعد صلاة المغرب ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ردوا السائل بوقّر ولــين وجميل" فانــه يأتيكم من ليس بانسى ولا جــان لينظر كيف صنيعكم فيما خَوّلكم الله ، وســال رجل" اهــل مسجد ليطّعموه فافترقوا عنه ولم يشتغلوا به فلمــا اصبحوا وجدوه ميتاً فاخذوا فى جهــازه فدفنــوه فرجعــوا الى المســجد فوجــدوا الكفن فى المحراب مكتوباً فيــه كفنكم مردُود عليكم ، والــرب ساخط عليكم ، ومات رجل فى بلد بالجــوع بعد ان اعطى ماله من الأصل فى مقدار ما يشبعه فلم يعطوه ، فرأى شيخ ذلك البلد انه تلزمهم ديتــه فجمعوها واعطى منابه ، وذكر بعض العارفين أنه خــرج فى رفقة من

. . . .

ارض العراق يريدون مكة ومدينة المصطفى ﷺ قال : فاذا نحن برجل من اهل العراق وقد خرج معنا به ادمة فى شعره وهو مصفر اللون ذهب الدم من وجهه مما بلغت فيه العبادة ، وعليه ثياب خلقة من رقاع شتى ، وبيده عصى ومعه مزود فيه شيء من الزاد وهو أويس القرنى وأنكره أهل الرفقة وقالوا : نظنك عبداً قال : نعم ، قالوا : مملوك ؟ قال : نعم ، قالوا : نظن انك عبد سوء هربت من مولاك ؟ قال لهم : نعم قالوا : كيف رايت نفسك حين هربت من مولاك وما صار حالك اليه ؟ اما انك لو اقمت عنده ما كانت حالتك هذه ؟ وانما انت عبد سوء مقصر ، فقال لهم : نعم والله انى لعبد سوء ونعم المولى مولاى ومن قبلى التقصير ، ولو اطعته ما كان من امرى هذا ، وجعل يبكى حتى كادت نفسه تزهق فرحمه القوم وظنوا انه مولى ، وانما أراد انه عبد لرب العزة جل وعلا فقال له رجل من القافلة : لا تخف أنا آخذ لك من مولاك الامان فارجع اليه وتب فقال : انا راجع اليه وراغب فيما عنده ومضوا حتى خرجوا الى زيارة قبر رسول الله ﷺ وسارت القافلة ذلك اليوم وسار معهم وجدوا فى المسيرة ، ولما كانوا ليلاً نزلوا فى فلاة من الارض ، وكانت ليلة شاتية باردة كثيرة المطر ، فاوى كل واحد من القافلة الى رحله وخبائه ولم يأو أويس الى شيء ولم يسال شيئا وقد آلى على نفسه ان لا يسال شيئاً من أمر الدنيا من مخلوق ، وانما تكون حوائجه الى الله سبحانه فبلغ به البرد تلك الليلة مبلغاً شديداً حتى اضطربت جوارحه من شدة البرد واشتد عليه سلطان البرد حتى مات فى جوف الليل ، ولما اصبح وارادوا الرحيل نادوه : قم ايها الرجل فان الناس قد رحلوا فاتاه رجل قريب منه فحركه فوجده ميتاً رحمه الله ، فنادى : يا اهل القافلة ان العبد الابق على سيده قد مات ولا يصلح لنا الرحيل حتى تدفنوه قالوا : وما الحيلة فى أمره ؟ فقال لهم رجل صالح كان معهم : ان هذا العبد كان تائباً راجعاً

. . . .

الى مولاه نادماً على ما صنع ونحن نرجوا ان ينفعنا الله به ، وقد قبل توبته ، ونخاف أن نسئل عنه ان تركناه غير مدفون ولابدّ لكم أن تصبروا حتى تحفروا له قبراً وتدفنوه فيه ، فقالوا : هذا موضع ليس فيه ماء ، فقال بعضهم لبعض : اسالوا الدليل فسالوه فقال : ان بينكم وبين الماء ساعة ولكن ارسلوا معى رجلاً واحداً وانا آتيكم بالماء فاخذ الدليل دلّواً وسار الى الماء ، ولما خرج من القافلة اذا هو بغدير من الماء فقال الدليل : هذا هو العجب الذى ما رأيت مثله هذا موضع ليس فيه ماء ولا على قريب منه فرجع اليهم (وقال :) قد كفيتم المؤنة فعليكم بالحطب ، فجمعوه ليسخنوا به الماء من شدة البرد فجاءوا الى الماء ليأخذوا منه فوجدوه سخناً يغلى فازدادوا تعجباً وفزعوا من ذلك الرجل وقالوا : ان لهذا العبد قصة وشأنا فاخذوا فى حفر قبره فوجدوا التراب ألين من الزبد وأشد رائحة من المسك الاذفر لم يشموا اطيب منه ، فاشتد خوفهم وملئوا رعباً وضربوا له خباء وادخلوه فيه وغسلوه وتنافسوا فى كفنه فقال رجل من القوم : أنا اكفنه ، وقال آخر : أنا أكفنه ، فاتفق رأيهم أن يجعل كل واحد منهم ثوباً ثم كتبوا صفته لعل أحداً يعرفه اذا وصلوا المدينة ، ولما ارادوا كفنه وجدوه مكفناً بكفن من الجنة لم يرَ الراؤون مثله وعليه مسك وعنبر وملات رائحته أنوفهم ، وعلى جبينه خاتم من مسك ، وكذا على قدميه ، فقالوا : لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ان الله عز وجل قد كفّنه واغناه عن أكفان العباد ونرجوا الله تعالى قد أوجب لنا الجنة ورحمنا بهذا العبد الصالح وندموا ندامة شديدة على تركه تلك الليلة حتى مات بالبرد ، ثم انهم حملوه ليدفنوه وصلّوا عليه ولما كبروا سمعوا صوت التكبير من السماء الى الارض ومن المشرق الى المغرب ، وانخلعت افئدتهم وأبصارهم ، ولم يدروا ما صلّوا عليه من الفزع ، وعظم رعبهم

. . . .

مما سمعوا فوق رؤوسهم ، فحملوه ليدفنوه وكأنه خطف لخفّته ودفنـوه ، ولمـا وصلوا الى الكوفة دخلوا المسجد واخبروا بخبره وصفتّه فاذا هـو اُوَيْس القــرنىّ ، وارتفعت الاصــوات فى مسجد الكوفـة بالبكاء ، وفى رواية . مات مع اهل النهروان من أصحابنا اللهم ارحمنا .

باب

من فعل القلب الحب . . . .

باب

في الحب والبغض والتاديب واخراج الحق والحكم

الحب : ميل القلب الى الشيء وهو بضم الحاء ماخوذ من الحبّ بفتحها وهو حبة البرّ ونحوه مما يكون في السنبل والاكمام في الاصل لكن استعير لفظ الحبة بالفتح لحبة القلب ، واشتق منه الحب بالضم بمعنى ذلك الميل الى الشيء لانه اصاب حبة القلب ورسخ فيها او ماخوذ من الحبّ بالكسر وهو بزر الرياحين لأنه يترتب عليه الاحسان والنعم كما يتولد الثمار من الحبّ ولها رائحة ، والبغض ضده ، ومر الكلام فيه ، ويقال : الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الموافق الملذّ فان تاكد ذلك الميل وقوى سمّى عشقاً ، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب ، واذا قوى سمّى مقتاً ،

(من فعل القلب الحب) ويعلم باقرار المحب او المحبوب اذا صدقه السامع لوثوقه به أو ظن صدقه لذلك أو لامارة عليه ، ويعلم ايضاً

. . . .

باحسان المحب ، وسواء قلب الآدمى والجنى والدابة والطائر والملك لجواز وصف الملائكة بالقلوب كالأيدى والأرجل والاذان والعواتق ونحو ذلك لا بالعورة ، وأما حب الله لعبده فمعناه مسبّب الحب فى الجملة وهو الانعام عليه فى الدنيا والآخرة والثناء عليه ، وقال القشيرى : قال الله تعالى عزّ وجل : ﴿ يحبهم ويحبونه (١) ﴾ ، وقال تعالى عزّ وجل : ﴿ والذين آمنوا اشد حباً لله (٢) ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً (٣) ﴾ قيل : سيخلق فى قلوبهم وُدّ الله عز وجل ، فاما معنى المحبة فى صفة الحق سبحانه لعباده فيكون بمعنى رحمته وارادته بالجميل لهم عز وجل فيكون بمعنى مدحه لهم وثنائه عليهم عز وجل ، ويكون بمعنى انعامه عليهم واحسانه اليهم عز وجل قال : فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح لهم كان من صفات ذاته ، واراد بالرحمة والمدح قضاءه لهم بانهم أولياؤه .

ولم يزل الله تعالى عز وجل محبا لأوليائه ولا يزال محباً لهم عز وجل قال : « وأما محبة العبد لله عز وجل فتكون بمعنى طاعته وموافقته لأمره وتكون بمعنى تعظيمه له وهيبته منه عز وجل ، فكل من كان أكثر طاعة له واشد تعظيماً كان أكثر محبة ، ومن كان عاصياً لأمره ومخالفاً لـه كان بعيداً عن محبته ، قال : وتكلم الناس فى اشتقاق المحبة وفى أصل ذلك فقال بعضهم : اصله من حبب الأسنان وهو صفاؤها ونظافتها فكان محبة العبد صفاء أقواله وضياء أحواله ، وذلك بتنزهه عن الغفلات وتباعده عن العلات ، وتوقيه عن الأوضار ، وترقيه

(١) سورة المائدة : ٥٤ .
(٢) سورة البقرة : ١٦٥ .
(٣) سورة مريم : ٩٦ .

. . . .

عن ادناس الزلات ، وان القلب كالمرآة التى يشاهد فيها احكام الغائبات ولا تريك المراة الشواهد الا ان صفت ، واجمعوا ان كل محبة تكون على ملاحظة غرض تكون معلولة حتى تكون صافية عن كل مطمع ، وقيل : اصلها من قولهم أحب البعير اذا استناخ فلم يبرح ، قال الله تعالى عز وجل : ﴿ فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى (١) ﴾ اى لصقت بالأرض من حب الخير ، فالمحب ابداً يكون مقراً على باب محبوبه بنفسه وبدنه ، فان لم يمكنه فبقلبه وبروحه ، قال أبو على الدقاق : ان المشايخ قالوا : ان طريقتنا هذه بينة لا تصلح الا لاقوام كنس الله بارواحهم المزابل ، فالمحب ابداً يكنس باب محبوبه بروحه لا يدع خدمته ما امكنه ، يصل سيره بمراه ، ويدع هواه فى رضاه وانشدوا :

احبكم ما دمت حياً وان امت   احبك قلب فى التراب تربيه

وانشدوا :

ومن كاسفات الريب انى وامق   تجافيك عنى واعتكافى ببابك

يهجر فيابى الا الوصال ، ويقال بالصد والرد والاهانة والطرد والتنفير والبعد ، ولا يزداد بالظاهر الا جهداً على جهد ، وبالباطن الا وجداً على وجد ، يؤثر الذل على العز ، والبعد على القرب ، وانشدوا :

وأهنتنى فاهنت نفسى صاغراً   ما من يهون عليك ممن اكرم

وانشدوا :

---

(١) سورة ص : ٣١ .

رايتـك يدنينى اليـك تباعـدى فباعـدت نفسـى لابتغـاء التقـرب

وقيل : أصله من الحب وهو القرط يسمى حبا لقلقه وهـو اضطرابه كما ان القرط لا يستقر بل يضطرب ابداً كذلك المحب عديم القـرار بعيد الاصطبار ، لا يسـكن انينـه ، ولا يهدأ حنينه ، نهـاره ليـل ، وليـله ويـل ، ونومه معقود وفى قلبه وقود ، قال القشـيرى : وقيل اصـله من الحبـة وهى بزر ينبت فى الصحراء فالمحبة شجرة تغرس فى الفؤاد وتسقى بمـاء الـوداد اصـلها ثابـت فى السر وفرعهـا نابت فى هـواء الهمـة وثمرها لطائف الانس تؤتى اكلها دائماً ، وقيـل : الحب الحقيقى : الايثار وهو أن لا يدع لمحبـوبه ميسـوراً الا بذله ولا ممكناً الا استعمله ، لا يبغى لنفسـه ولحظـه نوماً ولا سـنة ولا يستثنى من جمـلة ما يبذله لحظـة ولا نسمة ، وانشـدوا :

لئن بقيـت فى العـين منى قطـرة فانـى اذا فى العاشـقين دخيـل

(ويكون) الحب (طاعة ومعصية وغيرهما) من مكروه ومباح وحب معصية بالضرورة بلا قصد فعل لها ولا نية فانه لا ذنب عليـه لانه كاره لذلك الحب ، والحب المكروه كحب ما يكره مثل حب اكل ما يكره اكله ، وحب شرب ما يكره شربه ، ولبس ما يكـره لبسـه ، وركـوب ما يكره ركوبه ، وكـذا السكنى وغيرها والقـول ، وكذا ترك ما يكره تركـه ، والمبـاح كحب الحـلال بلا تكاثر ولا وجـه محرم ، أو مكروه ، والحب الميـل الى الشىء بالقلـب امّا لمـا يسـتلذ بحواسـه كحسـن الصـورة او ما يسـتلذ من الفعل كالاحسان ودفع المضـار ، او لوصف غـير محسوس كالفطنة والشجاعة والصبر .

وقال ابن بطال : الحب ثلاثة : حب اجـلال وتعظيم ، كحب الوالد ،

ومن غير عاقل ، وسببا ومسببا . . . .

وحب شفقة ورحمة كحب الوالد ، وحب مساكنة واستحسان كحب الصاحب والزوجة ! ويقال : سبب الحب الاستحسان ، فان كان لفضائل النفس حدث منه الاعظام ، وان كان للصورة والحركة حدث العشق وسببه الطمع ، ويتولد الحب من المودة ، وسبب المودة الثقة ، وتتولد المحبة من المصافاة وسبب المصافاة خلوص النية ، وتتولد المصافاة من المؤانسة وسببها الانبساط ، ويتولد الانبساط من المواصلة وتتولد المواصلة من التجانس.

(و) يكون الحب من عاقل لعاقل ومن عاقل لغير عاقل ، ويكون (من غير عاقل) لغير عاقل كحب الدابة ولدها وكحبها النبات ، ولعاقل كحب الدابة مولاها .

(و) يكون الحب (سببا) مثل ان تحب زيدا فيحسن اليك زيد لحبك اياه ، (ومسببا) مثل ان تحسن الى زيد فيحبك ، فحبه اياك مسببا لاحسانك اليه ، والاحسان سبب له ، ومثل ان تحبه لأنه احبك ، فحبه اياك سبب لحبك اياه ، وحبك اياه مسبب لحبه ، وفي « السؤالات » : الحب من المخلوق اما اضطرار واما اكتساب ، قال الشاعر (١) :

أحبك حبين حب الهوى   وحب لأنك اهل لذاكا

فالاضطرار كحب ولدك ، والاكتساب كحب المتولى ، والبغض اضطرار كبغض من أساء اليك ، واكتساب كبغض فاعل الكبيرة ، ويكون الحب والبغض طاعة ومعصية وكبيرة وصغيرة ونفلاً وغير طاعة وغير

---

(١) القائلة هي « رابعة العدوية » .

والطاعة اما فرض وتوحيد كمحبة المسلمين والملائكة والانبياء والرسل ، ومحبة هي ولايتهم وتصويب افعالهم ، • • • •

معصية ، ومن عاقل وغير عاقل ، وسبب ومسبب ، والسبب هو المسبب فيهما ، والسبب هو فعل القلب (والطاعة) اى والحب الذى هو طاعة (اما فرض وتوحيد كمحبة المسلمين) جملة ، وكحب المسلم المنصوص عليه باسمه ، او بصفته اذا قامت به الحجة ، (والملائكة) جملة وكمحبة الملك المخصوص اذا قامت به الحجة ، وقيل : لا يعذر فى جهل جبريل (والانبياء والرسل) جملة وكمحبة المخصوص به اذا قامت به حجة ، ولا يعذر فى جهل محمد ﷺ ، وقيل : فى آدم كذلك ، وكمحبة القرآن وما قامت عليه الحجة به من كتب الله تعالى ، وكمحبة كلمة الشهادة وكل ما هو توحيد •

(ومحبة) هؤلاء (هى) مع الثناء عليهم والدعاء لهم بخير الآخرة (ولا يتهم وتصويب افعالهم) ومعنى كون حبهم تصويباً لأفعالهم : أن حبك اياهم لازم لتصويب افعالهم ومسبب له وبغضهم شرك فان مطلق الاحسان يكون فى الجملة سبباً ولو احسن لغيرك فكيف اذا احسن اليك ؟ فان من يسعى فى مرادك تحبه فكذلك تحب من يسعى فى الصلاح ، قال الله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً ﴾ اى : يحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها ، وعنه ﷺ : « اذا احبّ الله عبداً يقول لجبريل : احبَبْت فلانا فاحببه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء : ان الله يحب فلاناً فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض » (١) ، ووجب الحب للمتولى والبغض للمتبرا منه بحسب ما يظهر لك ولو خالف ما عند الله ولك الثواب ، فعن محمد بن على عن رسول الله ﷺ انه

---

(١) رواه مسلم •

وفرض فقط كولاية من بان خيره أو شهر به أو قامت بها حجة

قال : « من أحب رجلاً في الله لعمل ظهر منه وهو في علم الله من أهل النار أجره الله على حبه اياه كما لو أحب رجلاً من أهل الجنة ، ومن أبغض رجلاً في الله لجور ظهر منه وهو في علم الله من أهل الجنة آجره الله على بغضه كما لو كان يبغض رجلا من أهل النار » ، قال في « السؤالات » : فان قيل : لم كانت ولاية المسلمين توحيداً ؟ قيل : لما كانت ولاية المحبوب لأجل حب الحبيب كانت حباً للحبيب . قلت : لا يعترض عليه بلزوم ذلك في ولاية الأشخاص غير المنصوص عليهم لأن المتولين بالجملة قد وافقوا الواقع عند الله ، وكذا المنصوص بخلاف غيرهم فقد يوافق ، فولاية الجملة والمنصوص عليه توحيد ، وتركها والجحود لها والجهل بانها فرض شرك ، وقيل : يشرك من انكرها وينافق من تركها او جهلها ، وقيل : لا ينافق حتى تقوم الحجة ويتكلف الحب ان لم يحصل بلا تكلف فيعذر ولو لم يحصل بالتكلف ايضاً فلا يحكم بشركه ان تعاطى الحب واثنى ودعا بخير الآخرة فلا باس عليه ، وكذا ان تعاطاه في ولاية غيرهم ولم يوجد لا يكفر ولا باس عليه ان اثنى واستغفر ودعا بخيرها .

(وفرض فقط) غير توحيد (كولاية من بان خيره) بالمشاهدة بان شاهدته وافياً بدين الله تعالى وما لم تطلع عليه تحسن الظن انه قد وفى به (او شهر به) بان يكون كل من يعرفه عرفه بخير ومن لم يعرفه لم يعرفه بسوء ، (أو قامت بها حجة) وهي أمينان حران كسائر الأحكام ، أو امين ، وأجيز أمين واحد ولو عبداً أو أمينة ولو أمة ، كما اجازوا ذلك في صوم رمضان والافطار في المغرب ، وطهارة الثوب وغيره ووقت الصلاة لأن الولاية في نفسها من نوع هذه العبادات لا من نوع الأحكام ، ومشترط الأمينين الحق ذلك بالأحكام ، وراعى ما يترتب على ذلك من الحكم بشهادة المتولى في الأموال والدماء والحدود ،

. . . .

وقيل : يخيّر في قول الواحد بين القبول والوقوف ، وقيل : ان سأله ابتداء لزمه قبول قوله وان لم يسأله خيّر بين القبول والوقوف عنه ، ولا تلزم معرفة الائمة وحبهم حتى تقوم الحجة على الصحيح ، ولكن ان ابغضهم كفر ، ولا يعذر بالجهل اذ قارف ما لا يجوز ، وقيل : تجب بلا سماع كالديانة وهو المشهور عن أبي خزر يعلى ، وروى أيضاً عنه أنه يسع جهلهم حتى تقوم الحجة .

وان شهر احد بخير فتوليته فذلك حق وحبه واجب ، وان شهد أمينان أنه فعل كبيرة أبغضته الا ان شهدا بعد موته فانك تبقيه على الحب والولاية وتبغض الشاهدين وتبّرأ منهما — قاله أبو عمر وعثمان بن خليفة ، وحكاه الشيخ محمد بن يوسف في حاشية الترتيب — ولا يتولى باهل الجملة ، وأقول : الا الامام العادل وولد المتولى ، فان اهل الجملة اذا قالوا : ان فلاناً في بلد كذا عادل ، أو فلان الطفل ولد فلان فانه يتولى بهم الامام وولد فلان ان كان فلان متولى وكان أهل الجملة ثلاثة الا ان استريبوا ورد قولهم ، وكذا يتولى الطفل ويحب بقول الرّجل المتولى : انه ولدي ، وقيل : لا الا بامين ، وقيل : الا بامينين ، وحكى بعض أصحابنا الاجماع على أنه يثبت نسبه باقرار الرجل به فمقتضاه أنه يجب حبه وولايته اجماعاً وليس كذلك لأنه أراد والله أعلم أن الاجماع ، على ثبوت النسب فيحكم بالنسب وبلّواحقه دون ولايته عند بعض ، ولا يجوز حب طفل الموقوف فيه والمتبرأ منه حب الآخرة ، وقيل : يجب حبه كما اوضحته في مختصر « القواعد » و « الحاشية » ، بأن الله سبحانه وتعالى عز وجل يمنّ بالرحمة ولا يظلم بالعذاب ، وأن كل مولود يولد على الفطرة ، ولحديث : « ان الله اعطاني اللاهين » أي : الأطفال ، والمانع يقول : أطفال المؤمنين ، وقيل : بالوقوف في طفل المتولى وغيره ، وقيل : يجب حب طفل المتولى وبغض طفل المنافق والمشرك ، ويوقف في طفل غيرهم ، فطفل المنافق منافق ، وطفل المشرك مشرك وهو خطأ ، ولا دليل في قوله تعالى :

• • • • • • • • • • • • • •

﴿ ولا يلدوا الا فاجراً كفّاراً ﴾ (١) ، لأن المعنى : لا يلدوا الا من يبلغ ويفجر – قاله نوح عليه السلام على سبيل الظن – فلا يرد طفل المرأة الطالعة به الجبل عن الماء وقيل : أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بسبعين سنة ، وقيل : بأربعين ، والحكم فى ﴿ لما كذّبوا الرسل اغرقناهم ﴾ (٢) على المجموع فلا يتم الرد به من حيث انه لا يوجد التكذيب من الطفل ، ولم يصح عنه ﷺ ان أطفال المشركين مع آبائهم فى النار ، ولا أنه توقد لهم ولأولاد المنافقين نار" يوم القيامة فينجو مقتحمها ، اذ لات حين تكليف ، ويوقف فى عبيد المتولى الأطفال ولو لم يعتقهم ، واذا اعتقهم وقف فيهم الا ان كان لهم أب متولى فانهم يتولون به بعد العتق ، وفى الأطفال مطلق الخلاف السابق ، وقيل : يتولون بمن أعتقهم أو لم يعتقهم ان لم يكن لهم أب معروف ، وعليه فيتولى من اعتقه متولى وغيره أو اشتركاه •

ويوقف فى ولد الزنى ومن لا يثبت نسبه وولد التى أسلمت وتركت زوجها فى الشرك ، وقيل : يتولون بها ، وكذا اختلف فى أطفال عبيده ، ويوقف فى الطفل المشترك والمختلط ، ويوقف فى أولاد من رجع من الوفاء الى الشرك او النفاق ، لأن ولايتهم بالتبع ، وقيل : يبقون على الولاية ، وقيل : يبقى أولاد من رجع الى النفاق ، وقيل : أولاد من رجع الى الشرك ، واذا بلغ المتولى وقف فيه حتى يظهر وفاؤه ، وانما صح الوقوف بعد الولاية لأنها هاهنا بالتبع ، وهكذا كلما كانت بالتبع ، ويبقى عليها ان تشابه •

قلت : الذى عندى أن المتولى اذا بلغ يبقى على الولاية أن أقـر بما

---

(١) سـورة نوح : ٢٧ •
(٢) سـورة الفرقان : ٣٧ •

لا يسع جهله حتى تعلم منه كبيرة ، لكن يتولى بالذات لا تبعاً ، وهـو ظاهر ؛ وان قال حين الشبهة : بلغت ، حكم ببلوغه ، ويبقى على حاله كل من تجنن قبل البلوغ ودام جنونه بعده ، وان غاب أولاد المتولى يبقون على حبهم ما لم يظهر بلوغهم ولو بالسنين ، وقيل : ينظر الى اترابهم ، وقيل : يبقون على ولايتهم ما لم يتبين بلوغهم بالأمناء ، ولو سمع انهم ولدوا اولاداً لأنه ليس على علم من حياتهم بقول غير الأمناء انهم ولدوا ، ويجب على المكلف حب نفسه وطفله وعبده الطفل طالباً من الله الرحمن الرحيم التوبة عليه ، وقيل : يجب حب من رايته يتعاطى الخير ولا تعلم منه كبيرة ، ويجب حب من علم انه تحت الامام ولو بامارة الزى ما لم تعلم منه كبيرة ، وقيل : لا يجب الا بمعرفة الوفاء منه ، ويجب حب داخل الاسلام ولو بيد مخالف ما لم يفعل او يقل كبيرة ، وقيل : يوقف فيه حتى يبرا من المخالفين ، ويجب حب من دخل فى مذهبنا من المخالفين الا ان كان مجتهداً فحتى يتوب من كل بدعة ، ويرسل الى كل من يعلم منه ، وان لم يعلم اين هو اجزاته التوبة ، ويحتاط بالايصاء اليه ، وقال جمهـور قومنا : لا تجب ولاية الأشخاص غير المنصوص عليهم ، وقال بعضهم : تجب بالشريطة لأن يكون الله من اهل الجنة ، ومن تولى بهذه الشريطة او بقولك : ان كان موفّياً أو ان كان اهلا لذلك او ان فعل كذا وكذا كفر عند جمهور اصحابنا ، ونافق من اخّر ولاية غير المنصوص عليه واشرك متولى المنصوص عليه فى الشر ، ونافق بولاية الانسان بلا موجب (**من غير المعصومين**) هذا بيان لحصة قوله : قامت الحجة [او] من فى قوله : من بان خيره ، والمراد بالمعصومين : من قامت الحجة انه عصم عن الموت عن المعصية سواء لم يعص قط أو عصى ، واخبرنا الله انه تاب وشملت المعصية الصغيرة لأن الموت عليها كفر ، ولذلك لا يقال : ختم عمله بالمعصية الا لمن مات مصراً ، والملائكة لا معصية لهم ، وقصة هاروت وماروت ذكرت البحث فيها فى : « هميان

او نفل كحب التطوع واعـادة الفرض المؤدى لا لخلل ، . . . .

الزاد الى دار المعاد » وغيره ، وكذا الكلام على الانبياء هل تصدر منهم الصغائر أو ما ينسب الى بعضهم من ذنب ليس بذنب حقيق بل تشديد فى جانبه لمكانه من الدين وغير ذلك ؟ (**او نفل**) مقابل لقوله : اما فرض وتوحيد او فرض (**كحب التطوع**) بالصدقة او الصوم او الصلاة او الوضوء أو الحج او غير ذلك ، وقد صح ان الوضوء على الوضوء نور على نور ، وكحب كل عبادة غير واجبة (**واعادة الفرض المؤدى**) سواء كان مما ينافق بتركه أو مما يشرك بتركه او مما يعصى بتركه كقولهم : الوتر فرض لا يكفر تاركه ، فالفرض الذى يشرك بتركه هو ولاية الجملة ، وولاية المنصوص ، وكلمة الشهادة يعنى تكرير صورة الفرض أو بعضه فيما يمكن فيه البعض احتياطاً ، فالاول فرض ، والثانى نفل ، احتاط به للفرض وقوّاه به ، وذلك يكون فى الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرهن من الفرائض ، واما تكرير ذلك على انه فرض فى المرة الثانية كالاولى فلا يجوز لأن فيه استظهاراً على الشارع وتقدماً بين يدى الله ورسوله ﷺ عن صلاة واحدة مرتين فى يوم ، وانما تكون الثانية فرضاً لو فسدت الاولى ، وقد ذكروا فى علم الاصول وغيره ان العتق والكسوة والاطعام فى الكفارة المرسلة مخيّر فيهن ، وانه لا يصح الجمع بينهن لكفارة واحدة ، على ان كلا فرض بل ما فعل اولا لتؤدى به الفريضة والباقى نفل ، فان الفرض لا يؤدى مرتين ، فالمراد باعادة الفرض تكرير صورته لا اداؤه ، فان حب ادائه واجب ، وسواء فى الاعادة المذكورة فى الوقت او بعده لا الاعادة فى الوقت لخلل كما هو حقيقة الاعادة فى الوقت ، فان الاعادة فى الاصول فعل الفرض مرة ثانية او ثالثة فصاعداً ، لخلل فى الاول ، او ما بعده فى الوقت ، وليس مراداً هنا ، ولذلك قال : (**لا لخلل**) لأن حب اعادته لخلل واقع فيه او لا واجب .

وكذا البغض فى ضد الحب فبغض الاول شرك والثانى نفاق والثالث عصيان ، ولا يسع جهل حب المسلمين ولا تركه ولزمت معرفة كفر من أبغضهم وافعالهم

(**وكذا البغض فى ضد الحب**) أى : فى ضد محل الحب ، فيكون البغض فرضاً وتوحيداً ويكون فرضاً فقط ، ويكون نفلاً ، فبغض ما هو شرك فرض وتوحيد ، وبغض ما هو كبيرة أو معصية طاعة وفرض ، وبغض المكروه وما يخاف الوصول به الى المعصية نفل ، واذا علمت ذلك (**فبغض الاول**) وهو ما فعله فرض وتوحيد (**شرك**) فمن ابغض المسلمين وكذا الملائكة او الانبياء أو الرسل أو مخصوصاً منصوصاً عليه ، او بغض هؤلاء أو القرآن او بعضه او بعض الملائكة أو بعض الرسل او بعض الانبياء أو كتاباً من كتب الله او بعضه فهو مشرك ، (**و**) بغض (**الثانى**) وهو ما فعله فرض فقط ؛ (**نفاق**) فمن أبغض من وجبت عليه ولايته من غير المنصوص عليهم فهو منافق ، وكذلك من ابغض الفروض التى هى دون التوحيد ، وليس مجرد ثقل الفرض الذى هو توحيد او دون توحيد بغضاً اذا كان مقراً به متعاطياً حبه ، وكذا ثقل النفل ، اذا اقر به وصوبه ونازع نفسه فى كراهتها له هو غير بغض ؛ (**و**) بغض (**الثالث**) وهو بغض ما فعله نفل اذا ابغضه واقر نفسه على بغضه (**عصيان**) صغير أو لا يدرى ما هو عند الله ، فمن ابغض النفل او ابغض الاحتياط للفرض فهو عاص ؛ (**ولا يسع جهل**) فرض (**حب المسلمين**) هكذا أو المنصوص عليه او المخصوص غير المنصوص عليه (**ولا تركه**) أى : ترك حبهم فانه يجب حبهم ، والعلم بوجوب حبهم ، فان احبهم ولم يعلم بالوجوب لم يعذر عندنا ، خلافاً لبعض فرق الاباضية ، وان علم بالوجوب ولم يحب لم يعذر .

(**ولزمت معرفة كفر من ابغضهم و**) معرفة كفر من ابغض (**افعالهم**)

ووجوب العقاب على بغضهم والثواب على حبهم لما ينالونه غداً وهو فرض ودنيا طاعة لا فرض ، وقيل كالأول . . . .

وهى الأفعال التى يستوجبون بها اسم المسلم (و) لزمت معرفة (وجوب العقاب على بغضهم و) معرفة وجوب (الثواب على حبهم لما ينالونه) من نعم الله وظهور أثر رضى الرحمن الرحيم (غدا) يوم القيامة الشبيه باليوم الذى بعد يومك فى القرب ، لأن كل ما هو يأتى كأنه قد أتى ، ولما ينالونه : تعليل لحبهم متعلق به ، فانك تحبهم لرضى الله عنهم وانعامه عليهم غداً فتثاب على ذلك الحب ، أو تعليل للزمت المقدر ان قدر أو بحصته فى لزمت المذكور ، ويحتمل ان يتعلق ببدل محذوف أى : الحب لما ينالونه بجر الحب بدلاً من « هاء » حبهم بدل اشتمال ، فلو أسقط المبدل منه لكان اللفظ هكذا : والثواب على حب لما ينالونه ، واللام للتقوية ، ويجوز تعليقها باعتبار الظرف الذى فيها من التعدية ، ومن لا يعلقها اعتبر أنها فى معمول المتعدى ، والمعنى ظاهر : فانك اذا أحببت المسلمين ما ينالونه من خير الآخرة فلك الثواب على هذا الحب ، ويدل لهذا قوله : (وهو فرض) فان الضمير عائد الى حب ما ينالونه غداً ، يعنى : أن حب ثواب الآخرة ونعيمها لهم فرض ، فكأنه قال : وحب ما ينالونه غداً فرض (و) حب ما ينالونه من النعم والعافية (دنيا طاعة لا فرض) فلو لم يبغضه لهم ولم يحبه لهم لم يعص وأن أبغضه لهم عصى ولم يكفر ، (وقيل) : حب ما ينالونه فى الدنيا فرض (كالأول) الذى هو حب ما ينالونه فى الآخرة ، فان لم يبغضه لهم ولم يحبه لهم أو ابغضه لهم كفر ، وكان ذلك منه براءة فى هذا القول ، ويدل له قوله ﷺ : « من أصبح ولم يهمه أمور المسلمين فليس منهم » (١) ، وليس كما قيل : أن حب ذلك فرض لا خلاف فيه ، وانه لعل الخلاف فى الاحسان ، ويأتى قول فى وجوب الاحسان وقد ذكر

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والبيهقى .

والبغض كالحب وليس منا براءة لا يقال للمسلم وحب الخير الآجل لغير متولى كفر ، وقد يكون العاجل فرضاً كالنفقة الواجبة . . . .

ذلك كله فى الاصل هذا القول الذى هو وجوب حب خير الدنيا لهم والقول بوجوب الاحسان وعبر عنه بالتودد .

(والبغض كالحب) فى انه اما فرض وتوحيد وهو أن تبغض للمسلمين هكذا أو للمنصوص عليه شر الآخرة ، واما فرض فقط وهو ان تبغض لغير المنصوص عليه ، واما نفل وهو أن تبغض لهؤلاء كلهم شر الدنيا ! وقيل : بغضه لهم فرض ، ويحتمل ان يريد ان بغض الخير للكافرين ثلاثة : اما فرض وتوحيد ، وهو بغض خير الآخرة للكفار هكذا او للمنصوص عليهم ، واما فرض فقط وهو بغضه لغير المنصوص عليهم ، واما نفل وهو بغض خير الدنيا لهم ، وقيل : فرض (و) قوله ﷺ فى احاديث (ليس منا) من فعل كذا أو لم يفعل كذا (براءة) فـ (لا يقال للمسلم) ليس منا الا حيث يتبين انه ليس منا معشر العرب ، أو ليس منا معشر البربر ! أو ليس منا معشر اهل بلد كذا أو نحو ذلك ، وكذا ما يشبه قولك : ليس منا مثل ليس من المسلمين او ليس منهم او ليس منكم يا معشر المسلمين كقوله ﷺ : « من اصبح ولم يهمه » الحديث ، ومعنى ليس منا : ليس من أهل حبّنا بل من اهل بغضنا لمعصيته فهو منافق. (وحب الخير الآجل) وهو خير الآخرة (لغير متولى) من موقوف فيه ومتبرّءاً منه منصوص وغير منصوص (كفر) لكن حبه للمنصوص او للكفار هكذا شرك ولغيرهم نفاق ، ولا بأس بحب خير الدنيا لغير متولى (وقد يكون) الخير (العاجل) أى : حب الخير العاجل لغير المتولى (فرضاً كالنفقة الواجبة) لعياله وأوليائه ولضيفه .

وصلة الرحم وتنجية من وجبت تنجيته فهـذا يجب فعله والعلم بفرضـه

(وصلة الرحم وتنجية من وجبت تنجيته) والمعنى : انه يجب عليك ان تحب أن تنفق على غير المتولى ما يجب عليك انفاقه عليه مثل أن تحب انفاق وليك الواجبة نفقته عليك ، وانفاق ضيفك غير المتولى ، وصلة رحمك غير المتولى ، وتنجية غير المتولى (فهذا) اى : هذا المذكور من النفقة وصلة الرحم والتنجية ونحو ذلك (يجب فعله و) حبه و (العلم بفرضه) اى بالزام الشرع فعله . وحاصل كلام الاصل أنه فرض حب المسلمين هكذا ، وحب افعالهم وانه لا يسع جهل حبهم ولا تركه ، ومن جهله أو تركه فقد كفر ، وان معنى حب المسلمين وافعالهم ولايتهم وتصويب افعالهم ، وانه يكفر ان ابغضهم او ابغض افعالهم ، أو تبرأ منهم ، أو خطأ افعالهم ، وانه فرض معرفة كفر من ابغضهم او ابغض افعالهم ، ومعرفة ان على بغضهم عقاباً اخروياً وعلى حبهم ثواباً اخروياً ، وان من جهل ذلك كفر ، وأنه يجب على المكلف ان يعلم انه قد الزم مثله من المكلفين ما لزمه من الحب للمسلمين والبغض للكافرين ، وانه قيل : يجب على المكلف ان يفعل للمسلمين مـا يحبونه به وأنه يجب حب خير الآخرة لهم ، وان يبغضه للكافرين وان يحب لهم شرّها ، وانه فرض بغضهم وبغض افعالهم فيلزم من ذلك أن يخطّىء افعالهم ، وانه قذف خير الدنيا للمسلمين ، وقيل : فرض حب خيرها وبغض ضرها لهم لقوله ﷺ : « من أصبح ولم يهمه أمور المسلمين فليس منهم » وانه لا يقال للمسلم : ليس منا لأن ذلك براءة فيلزم من كونه براءة ، اى : لا يقال أيضاً للموقوف فيه وان بغض الطاعة التى ليست بفرض معصية الا ان كانت منصوصاً عليها فكفر شرك ، وانه يكفر بحب خير الآخرة للمتبرىء والموقوف فيه ، ولا بأس بحب خير الدنيا لهما .

* * * * * * * * * * * * * *

وقد يفرض حبه كنفقة من تجب نفقته وصلة الرحم وتنجية من تجب تنجيته ، وانه تجب عليه نحو هذه النفقة وهـذه الصلة وهذه التنجية ، والعلم بانه فرض ، وانه يفرض عليه نحوهن لأن بغضه يجر الى نسبة ذلك الى الجور والخطأ وتسخيط فعل الله معصية .

واعلم انه يجب على المكلف ان يعلم عند البلوغ انه عاقل وانه مكلف ولا يجوز له أن يشك فى ذلك ، وذكر الشيخ اسماعيل رحمه الله عن النبى ﷺ انه قال : « يا ابن مسعود اى عرى الاسلام أوثق ؟ »قال : الله ورسوله أعلم ، فقال ﷺ : « الحب فى الله والبغض فى الله » وهما حقيقة الايمان عند اصحابنا ، ومن لم يدن بذلك فلا دين عنده ، ويروى عنه ﷺ « ان الله تعالى أوحى الى نبى من الانبياء : اما زهدك فى الدنيا فقد استعملت الراحة ، واما انقطاعك الىّ فقد تعززت بى ، ولكن هل واليت لى ولياً أو عاديت لى عدواً ؟ » (١) ، وعن عبد الله بن عمر : « والله لو صمت النهار لا افطره واقمت الليل لا انامه ، وانفقت مالى فى سبيل الله ومت يوم اموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيئاً » ، وقال بعض العلماء : من هجر فى ذات الله الأقرباء عوّضه الله صحبة الأولياء ، وقال ابن السماك عند موته : اللهم انك تعلم وان كنت عصيتك كنت احب من يطيعك ، فاجعل لى ذلك قربة منى اليك ، وقال بعض السلف : هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باى عمل عملته ؟ باى شهوة تركتها ؟ باى غيظ كظمته ؟ باى رحم قاطع وصلته ؟ باى زلة لأخيك غفرتها ؟ باى قريب باعدته فى الله ؟ باى بعيد قاربته فى الله ؟

---

(١) رواه الدارقطنى .

• • • • • • • • • • • • • •

ويرى : أن الله عز وجل وسبحانه وتعالى اوحى الى موسى بن عمران عليه السلام : « هل عملت لى عملاً قط ؟ » قال : صليت لك ، وصمت لك ، وتصدقت لك ، فقال له الله عز وجل : « ان الصلاة لك برهان ، والصوم لك جنة ، والصدقة ظل لك ، والذكر نور لك ، فاى عمل عملت لى ؟ » قال موسى : دلنى يا رب على عمل هو لك حتى افعل ، قال : « يا موسى هل واليت لى ولياً قط ، هل عاديت لى عدواً قط ؟ » فعلم موسى ان افضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله . وعن الحسن : مصارمة الفاسق قربة الى الله عز وجل ، وعنه ايضاً : لا يغرنك قول من يقول : المرء مع من احب ، فانك لا تلحق الأبرار الا بأعمالهم ، وان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم .

قلت : لأن الحب الحقيقى الوفاق بالعمل فاذا لم يوافق فلا حب بل مخالفة ، وشقاق ، ويروى : أن الله عز وجل اوحى الى عيسى عليه السلام : « انك لو عبدتنى عبادة أهل السماوات والأرض ولم تحب فى الله ولم تبغض فى الله ما اغنى عنك ذلك شيئاً » ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه : لو ان رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله مع من يحب . ويروى عن عيسى عليه السلام انه قال : « تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصى ، وتقربوا الى الله بالبعد عنهم ، والتمسوا رضى الله بسخطهم » قالوا : يا روح الله فمن نجالس ؟ قال : « جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ويزيد فى علمكم منطقه ، ويرغبكم فى الآخرة عمله » وذلك أدلة على وجوب ولاية الأشخاص . وعنه ﷺ : « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره » (١) وعنه ﷺ : « من اقر عين المؤمنين اقر الله عينه يوم القيامة »(٢) وقال ﷺ : « من مشى فى حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم

---

(١) رواه ابو داود وابن حبان .

(٢) رواه ابو داود .

يقضها وجبت له الجنة » (١) ، وعنه ﷺ : « من فرّج عن مكروب أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة » (٢) ، وعنه ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » (٣) ، قيل : يا رسول الله كيف أنصره ظالماً ؟ قال : « تمنعه من الظلم » ، وعنه ﷺ أنه قال : « من حمى مؤمناً من غيبة منافق بعث الله له ملكاً يحمى لحمه من النار يوم القيامة » (٤) ، وعنه ﷺ أنه قال : « لا يحق لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه » (٥) ، وعنه ﷺ : « انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » (٦) ، وعنه ﷺ : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : الشرك بالله والضر لعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من البرّ : الايمان بالله والنفع لعباد الله » (٧) ، وعنه ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٨) ، وعنه ﷺ : « من أحب الأعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن أن يفرج عنه غماً او يقضى عنه ديْناً أو يطعمه من جوع » (٩) ، والأخ في الدين اكثر منفعة وأحمد عاقبة ، قال الله تعالى :

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه ابو داود .
(٥) رواه الدارقطني .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه مسلم .
(٨) متفق عليه .
(٩) رواه ابن ماجة .

. . . .

﴿ الاخلاء يومئذ ﴾ (١) ، الآية ، وقال ﷺ : « أخ يذكرك امر آخرتك خير لك من أخ يعطيك كل يوم دينارا » (٢) ، وقال أبو بلال مرداس رحمه الله :

من كان من أهل هذا الدين كان له
ودى وشاركته فى تالد المال

الله اعلم أنى لا احبهم
الا لوجهك دون العم والخال

والحب الخالص يفضى الى خلطة الارواح مع تفرق الاجساد .

كما قال الشاعر :

هموم الرجال فى أمور كثيرة
وهمّى من الدنيا صديق مساعد

نكون كروح بين جسمين قسّما
فجسمهما جسمان والروح واحد

قال الكندى : الصديق انسان هو أنت الا انه غيرك . رُوى أن ابا بكر الصديق رضى الله عنه أقطع طلحة بن عبَيْد الله ارضا وكتبها له وأشهد فى ذلك عمر وغيره ، فأتى الى عمر بالكتاب ليختمه فامتنع فرجع مغضبا الى ابى بكر رضى الله عنه فقال : والله لا ادرى انت الخليفة أم عمر ، فقال : بل عمر ، لكنه انا ، وذلك فى اخوة الآخرة ، وأما فى اخوة الدنيا فقد قال ﷺ : « أحبب حبيبك هونا عسى أن يكون بغيضك

(١) سورة الزخرف : ٦٧ .
(٢) رواه ابو داود والبيهقى .

. . . .

يوما ، وابغض بغيضك هونا عسى أن يكون حبيبك يوماً » (١) ، وقال عمر رضى الله عنه : لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا ، وقال أبو الأسود :

وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى   فانـك راء ما عملـت وسـامع
واحبْب اذا احببت حبـا مقـاربا   فانك لا تدرى متى أنـت نـازع
وابغض اذا ابغضت غـير مبـائن   فانك لا تـدرى متى أنـت راجـع

ويقال : ما تحاب اثنـان فى الله الا كان افضلهما عند الله أشدهما حبـا لصاحبه والله أعلم .

---

(١) رواه مسلم والدارقطنى والترمذى .

خاتمـــــة

اجمعت الأمة أن الحب لله ورسـوله فرض ، ولكن زعم قـوم أنـه لا معنى للمحبة لله الا المواظبة على طاعته ، وأن حقيقة الحب محـال الا مع الجنس ، ويرد عليهم أن الطاعة تبع للحب وثمرة له فكيف يفسر الحب بها ؟ قال الله تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشـدُّ حباً لله ﴾ ، وفيه اثبـات تفاوت الحب ، وقال : ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ، وقال : ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً ﴾ وفى الحديث : « اذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب » وقال الله تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبـون الله ﴾ ، الآية وقال ﷺ : « ان الله يعطى الدنيا من يحـب ومن لا يحب ، ولا يعطى الايمـان الا من يحب » وقال ﷺ : « من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله ، ومن أكثر ذكْر الله أحبه الله » وقال الله تعالى : « لا يزال العبـد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » (١) الخ وقد مر وقال أبو رزين العقيلى : يا رسـول الله ما الايمان ؟ فقال ﷺ : « ان يكون الله ورسوله أحب اليك مما سـواهما » فجعل الحب من شرط الايمان ومثله قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » ، وقال الله تعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم ﴾ الآية ، فهددهم على كـون ما ذكر أحب اليهـم منـه تعالى ، وقال ﷺ : « أحبـوا الله بمـا يغذوكم به من نعَمه وأحبونى لحب الله تعالى » ، وقال رجل : يا رسـول الله انى أحبك

---

(١) حديث قدسى .

. . . .

فقال ﷺ : « استعد للفقر » فقال انى احب الله تعالى فقال : « استعد للبلاء »،وعن عمر رضى الله عنه : نظر النبى ﷺ الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبى ﷺ : « انظروا الى هذا الرجل الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون » وجاء ملك الموت لقبض ابراهيم ، فقال ابراهيم عليه السلام « هل رأيت خليلا يميت خليله ؟ » فأوحى الله اليه : « هل رأيت محباً يكره لقاء خليله ؟ » فقال : « يا ملك الموت الآن فاقبض » فتراه احب الله بكل قلبه حتى انزعج الى لقائه ولم يكن له محبوب سواه يحب الحياة لاجله ، وقال النبى ﷺ : « الهم ارزقنى حبك ، وحب من احبك ، وحب ما يقربنى الى حبك واجعل حبك احب الى من الماء البارد » . وجاء أعرابى الى النبى ﷺ فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال : « ما أعددت لها » ؟ قال : ما أعددت لها كبير صلاة ، ولا صيام ، الا أنى أحب الله تعالى ورسوله ، فقال له رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب » قال انس :فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك ، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من ذاق من خالص محبة الله تعالى شيئاً اشغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر ، وقال الحسن : من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل ، فاذا تفكر حزن ، وقال ابو سليمان الدارانى : ان من خلق الله خلقاً لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه ، فكيف يشتغلون بالدنيا ؟ ومر عيسى عليه السلام بثلاثة نفر نحلت أبدانهم وتغيرت الوانهم فقال : « ما الذى بلغ بكم ما ارى ؟ » فقالوا : الخوف من النار ، قال : « حق على الله أن يؤمّن الخائف » ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم اشد نحولاً وتغيّراً فقال : « ما الذى بلغ بكم ما ارى ؟ » قالوا : الشوق الى الجنة فقال : « حق على الله أن يعطيكم ما ترجون » ثم جاوزهم

الى ثلاثة فاذا هم أشد نحولا وتغيّراً كان على وجوههم المرائى من النور فقال : « ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ » قالوا : حب الله عز وجل ، فقال : « أنتم المقربون أنتم المقربون » وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نائم فى الثلج فقلت أما تجد البرد فقال : من شغله حب الله لا يجد البرد ، وعن سرى السقطى : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائهم فيقال : يا أمة موسى ، يا أمة عيسى ، يا أمة محمد ، غير المحبين فينادون : يا أولياء الله هلمّوا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا ، وقال هرم بن حيان : المؤمن اذا عرف ربه عزّ وجل أحبه وأقبل اليه ، اذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة ، ويبقى بجسده فى الدنيا وبروحه فى الآخرة ، وقال يحيى بن معاذ : عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ؟ ورضوانه يستغرق الآمال ، فكيف حبه ؟ وحبه يدهش العقول ، فكيف وده ؟ ووده ينسى ما دونه ، فكيف لطفه ؟ وفى بعض كتب الله جل وعلا : « عبدى أنا وحقى لك محب فبحقى عليك كن لى محبا » ، وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب ، ولا يحب الرجل الله حتى يعرفه اذ لا يحب الانسان أو غيره ما لا يعرفه فاذا عرفت صفات الله وكماله أحببته لأنها تلائم نور عقلك وذلك يدرك بالعقل لا بالحواس ، فلا يقال : الله لا يدرك بالحواس فكيف تحبه وأنت انما تحب ما أدركته بالحواس واستحسنته ، ولا يخفى أن الانسان يحب نفسه ويحب غيره لخير يصله منه ودفع ضر ولمنفعة ما ، فهو أبداً يحب الحياة والعافية فى بدنه وماله وبقاء كل ما يحتاج اليه حتى أنه يكره الموت ولو بلا ألم فهو لا يحب أن يفنى غيره ويبقى وحده فى الدنيا بلا أنيس ولو بقى وحده لم يختر الموت أيضاً ، ولو خيّر بينه وبين ولده لاختار موت ولده ولما علم أنه لا محالة يموت كان يختار بقاء من بقاؤه يقرب على بقائه كولده وأقاربه فهو يحب الاقارب والأجانب لاحسانهم اليه أو اتصال ما قال ﷺ : « اللهم لا تجعل

. . . .

لفاجـر علىّ يداً فيحبه قلبى » رواه الغزالى وتقـدم بزيادة كما رواه تبغورين رحمه الله . وقد يحب الشىء لذاته وهو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه كحب المال ، ولا تظن أنه لا يتصـور الا لقضـاء الغرض فان قضاءه لذة أخرى فقد تحب الخضرة والمـاء الجـارى بلا أكل منهـا ولا شرب منه ، وكـذا الأزهار والاطيـار المليحـة والنقش المناسب والله جميل يحب الجميل كما فى الحديث ، فهـو محبوب لصفاته الذاتية فهـو محبوب بالذات كما هو محبوب لفعله ، وهو محبوب الفعـل أيضـاً لذات الفعل ولو مما تكره النفس ، فاذاً ليس الحسن والجمـال محصورين فى الادراك بالحواس الخمس ، وجمال كل شىء وحسنه بحضور كماله اللائق به وان حضر بعضـه فحسنه وجماله بقدر ما حضر ، ويقال : هـذا خلق حسن وعلم حسن وسيرة حسنة وأخلاق جميلة فالأخلاق الجميلة : كالعلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة ونحـو ذلك ، وذلك يدرك بنور البصيرة لا بالحواس فترى الطباع مجبولة على حب الانبيـاء والأوليـاء والعلماء والصحابة بلا مشاهدة ، ويكون الحب أيضاً لمناسبة خفية فرب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا لسبب جمال أو حظ بل لتناسب الأرواح قال رسول الله ﷺ : « الأرواح جنود مجنـدة فما تعارف منهـا ائتلف وما تناكر منها اختلف » والمستحق للمحبة هو الله تعالى وحده ، وما أحب من أجـله فحبه حب له تعالى كحـب القـرآن والسـنة والعلم باخلاص ، وحب النبىّ ﷺ والصحابة والمؤمنين فان محبوب المحبوب محبوب ، بل حب الانسان نفسه يرجع الى حب الله تعالى لو عقل ، فانه يحب الخير لنفسـه والبقـاء ، وموجد ذلك هو الله تعالى فان لم يحب الله لذلك فلجهله ، قال الحسن : من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيـا زهـد فيهـا ، وكذا حبك لغير الله تعالى لدفع ضر أو جلب نفع يرجـع الى حب الله تعالى لأن ذلك من الله جل وعـلا على يد غيرك ، فالله تعالى هـو الذى صرف عنك الخلق وهوَ الذى يصرفهم اليك وكـذا حبك للمحسن فى نفسـه بدون أن يصلك منه احسـان كعلم وعطـاء لأن الله تعـالى هو الموجـد لهذا الاحسان ، وكذا حب الجمـال لذاته لأن الله تعالى هـو الموجد

. . . .

لهـذا الاحسان وكذا حب الجمال لذاته لأن الله تعالى هـو الخالق لـه فاحبب الله لجميل صفاته وافعاله ولو بلا وصـول اليك ، قال أبو حـازم : انى لاستحى أن أعبد للثواب والعقاب فاكون كالعبد السـوء ان لم يخف لم يعمـل ، وكالأجير السـوء ان لم يعط لم يعمل ، وفى الخبر : لا يكونن احـدكم كالأجير السوء ان لم يعط أجـراً لم يعمل ، وكالعبد السـوء أن لم يخف لم يعمـل ، وكذا تحب الله لمناسبة صفاته نور عقلك . ويقوى حب الله تعالى بقطع علائق الدنيـا من القلب واخراج غير الله منـه ، فبقدر ما يخـرج منه يدخل حبه كسائر الآنية تسع من غير ما فيهـا بقدر ما يخـرج مما فيهـا ، وبقـدر ما تتقرب للمشرق تبعـد من المغـرب ، كذلك بقدر ما يزيد من الدنيـا ينقص من الآخـرة كما يضيق قلب الضـارة بقدر ما يطيب قلب ضارتها ، فبقـدر الانس بالله جـل جـلاله ينقص الأنس بالدنيـا ، ويقوى حب الله تعالى بقـوة معرفته واتسـاعها واستيلائها على القلب ، وذلك بعد تطهير القلب من كل أمـر ليس لله ، وأصـل الحب لا ينفك عنه المؤمن وتتفاوت مراتبه بحسب تفـاوت المعـرفة به فعمامة الاباضية تعرف فضل أبى عبيدة رحمه الله لاشتراكهم فى معرفة فضله ودينه وحلمه اجمالا والعلمـاء يعرفون ذلك مفصـلا فحبهم له أعظم وأتـم ، والله أعـلم .

فصـــــل

لا يأخـذ المرؤ حقه بنفسه ولو اماماً او قاضـياً أو لمـن ولى عليـه وان بحبس أو يمين . . . .

فصـــــل

(لا يأخذ المـرء حقه) من غيره وهو ما يكون له غـيره من مـال بتعدية او بمعاملة أو ما عنده بامانة أو غير ذلك أو ما لزم غيره لأجـله كضـرب وحبس ونحـوهما ، (بنفسـه) أو بعبده أو بولـده أو قريبـه او بامـره أو بغير ذلك لا يأخـذ ذلك منه بالقهـر ولا يضر به أو يحبسـه ولو بـلا قهـر (ولـو) كان المـرء الـذى هـو صاحب الحـق (اماماً أو قاضياً) أو حاكماً او والياً أو سلطاناً ممن يلى اخراج الحقوق (أو) كان الحق المنسوب لمن ولى عليه وان بحبس أو يمين اليه هو فى الحقيقة (لمن ولى عليـه) كميته ومجنونه وعبده وزوجته ومن هو خليفة عليـه او وكيل له أو مامور له أو محتسب (وان) كان اخـذ الحـق (بحبس) لفعـل أو قـول فعله أو قاله فيه أو فيمن ولـى عليـه (أو يمين) تلـزم لـه أو لمـن ولى عليه لأجـل مال أو ما يؤول الى المـال أو حيث تلـزم اليمين فلا يحلفه بنفسـه أو بنائبه لنفسـه ، أو لمن ولى عليـه ولا يحبسـه

ولا يضربه كذلك مطلقاً اذعن او كره ، ولا يأخـذ ماله منـه قهـراً الا على ما مـر من قضـاء المـال من المنكر او غيره فى باب قضائه من البيـوع والا ما مـر فى الدماء من قتل قاتل وليه فانه على ما مر فيـه ، والا ما مر فيها من اخذ المرء ماله ولو بقتال من غاصب او باغ اذا لم يخلطه او خلطه وامكن فرزه فعلى ما مر فيهـا ، فاذا كان للقاضى او للامام او نحـوهما حق رفع من لزمه الى غيره وكذا اذا كان لمن ولى عليه ، وفى « الضياء » : واذا كان للحاكم على رجل دين وكان مقراً له جاز للحاكم حبسه ، وان كان منكراً للدين لم يكن للحاكم حبسه بل يرفعه لحاكم آخر او يحكمان رجلاً ا هـ ، فهذا تفصيل بين ما اقر فيه من عليه الحق وما لم يقر فيه ، وفى « الديوان » : وان استمسك الى الحاكم طفله او عبده برجل فى تعدية فى الانفس او الاموال والمعاملات فلا يثبت بينهما الخصومة وليدفعهما الى قاض غيره ، وكذلك ان استمسك رجل الى القاضى بطفل القاضى او عبده فانه يرفعهما الى غيره وان استمسك رجل بعبد القاضى بالتعدية فانه يثبت الخصومة بينه وبين عبده ، وان استمسك بالقاضى رجل فليرتفعا الى الامام او قاضيه او حاكم المسلمين او جماعتهم ، وان اختصم اليه قرابته مع غيرهم فليرفعهم الى غيره من الناس ، وان حكم بينهم بالحق فحسن جميل وان تخاصم الاقارب بينهم كالاب والابن فليحكم بينهم ولو كانوا اقاربه وكذلك الازواج فيما بينهم ويثبت الحاكم الخصومة بين العبيد وساداتهم ، واما الاموال فلا يثبت الحاكم الخصومة بين العبيد وغيرهم من الناس ان استمسك بهم العبيد الا باذن ساداتهم او يكون العبيد مأذوناً لهم فى التجارة .

(وجاز له) اخذ الحق لنفسه او لمن ولى عليه حق مال او ضرب او حبس او نحو ذلك ممن اساء اليه بذلك الحق او اساء اليه بشىء آخر قبل

ان لم يعارضه انتقام ولم يقصده أو عارضه ونفاه ولزمه الضمان والهلاك ان اخذ حقه وانتقم بلا اعادة لاخراجه ويخرجه من طفله وعبده وممن ولى عليه

ذلك ، او فعل فيه حقا يضره قبل ذلك او مباحا ، أو فعل ذلك بمن يليه (**ان لم يعارضه انتقام ولم يقصده وعارضه ونفاه**) من قلبه وقصد مجرد الحق (**ولزمه الضمان**) لأرش الضراب (**والهلاك ان اخذ حقه**) او حق من ولى عليه (**وانتقم**) اى : وقصد فى اخذه الانتقام (**بلا اعادة لاخراجه**) وذلك سهل الوقوع لشحّ النفس ، ولذلك عدل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وغيرهما عن ضرب من اساء اليهم ، وقد استوجب الضرب قبل اساءته اليهم مخافة الانتقام حتى اذا سكنوا اخرجوا الحق ، وروى أن على بن أبى طالب قعد على صدر رجل ليقتله فبصق الى وجه على فقام عنه وتركه ، فقيل له ، فقال : اخاف ان اقتله لنفسى .

والضرب او الحبس انتقاما للنفس ظلم وخدعة للهوى لا انفاذ للحق فلذلك ذكر المصنف انه يضمن بذلك ويهلك وفى « الديوان » : يضرب الحاكم أولاً ما قدر عليه ثم يامر غيره ولا يؤمر بالضرب من له حسيقة فى المضروب او يخاف ان يجاوز فيه الحد ا هـ ، ولا يلى الرجل اخراج الحق ممن لـه عليه حق اخذ حقه او لم ياخذه ولو كان حاكما أو اماما بل يرفعه الى غيره مخافـة الانتقام او مجاوزة الحـد .

(**ويخرجه**) اى الحق (**من طفله وعبده**) ومجنونه (**بنفسه**) ويأمره لمن يخرجه منهم ممن شاهد منهم موجب اخراج الحق أو اتى ببيان او اقرّ العبد (**وممن ولى عليه**) باستخلاف أو وكالة أو امارة من طفل أو مجنون

ولا يضيق على من رآه منعه أو نهـاه مـا لم يظهر منـه مجاوزته وجـاز لـه فيهم مـا لم يجـز لغيره وان يضرب ليلاً أو بمـا لا يضرب به بلا قصد لكسر أو زوال عضـو أو مثلة . . . .

او أولاد ابنه وان سفل ، أو اولاد امائه ، قيل : أو أولاد عبيده وزوجته وعبيد اولاده الأطفال او المجانين او امائهم فانه يخرج من هؤلاء حقه وحق غيره .

(**ولا يضيق على من رآه**) اى : لا يلزم من رآه يخرج الحق منهم بضرب أو حبس (**منعه أو نهاه**) مطلقاً حتى يبين موجب ذلك بل يمضى ويتركه (**ما**) احتمل انه على الحق و (**لم يظهر منه مجاوزته**) أى مجاوزة الحق وذلك فيما ليس فيه اتلاف نفس أو عضو وان ظهر له مجاوزة الحق بان فعل ذلك بلا موجب او فعل بموجب لكن زاد فى عدد الضرب أو فى تغليظه او تغليظ الحبس او كان يضربه فى متلف أو بمتلف أو يحبسـه فى متلف لزمه أن ينهاه وله دفعـه عنهم وان دفعه فادت مدافعته الى موته بلا قصد للموت فلا ضمان عليه .

(**وجاز له فيهم ما لم يجز لغيره**) فى اخراج الحق (**وان يضرب ليلا**) بلا ضوء نار كمصباح ولا ينبغى ضرب غيرهم ليلاً لمصباح أيضاً فكيف لنار أو بدونهما (**أو بما لا يضرب به**) كعصى يضرب بها طفلاً ، وكجريدة يضربه بهـا بعد نزع سعف ، وفى غـير موضـع الضرب كباطن القـدم (**بلا قصد لكسر أو زوال عضو**) أو منفعته كاحساس الحاسة من الحواس أو قطع جليْدة او لحيْمة ولو أقل قليل (**أو مثلة**) كفقء عين وذلك من اذهاب الاحساس وكاحراق بنار ، ومر الكلام على المثلة فى الجروح والقصاص وقد بينت مواضع الضرب فيما كتبته على رسالة سعيد بن قاسم الجربى ، ورسالة سعيد بن خلفان العلمانى ، وفى تفسير سورة النور للمصنف رحمه

ابقى كلام الأصل على ظاهره ولم يقل كما قال الشيخ محمد من انه لعل النسخة ، ولا يجوز له فيهم ما لا يجوز له فى غيرهم باثبات لا قبل ، يجوز الأول كالثانى واسقطها الناسخ وما فعله المصنف اولى لأنه الأصل لأن الأصل انه لا اسقاط ولأنه يناسب قوله : ولا يقصد فى هذا ما يقوم عليه الفساد مثل الكسر فانه كالاستثناء من التهويل فى قوله : ويجوز له فيهم ما لا يجوز فى غيرهم ، ولأنهم قد خالفوا غيرهم أيضاً فى انه يخرج الحق منهم بنفسه ولا ينهى ولا يطالب بالبينة واعتبار ذلك اولى مما اعتبره الشيخ محمد من ان الأصل أن يوافقوا غيرهم فيما بسه الضرب ، أو فى مكان الضرب أو زمانه أو موضعه .

وفى « الديوان » : واذا وجب الأدب على امرأة رجل فيما بينه وبينها فلا يخرجه منها ولكنه يستمسك بها عند الحاكم أو القاضى أو جماعة المسلمين فان صح ذلك فليخرجوا منها الحق ، ومنهم من يقول ان كان زوجها ممن يعرف كيف يؤدبها فليؤدبها بنفسه اذا لم يخف من الشر ، وتؤدب المرأة على عصيانها فى الفراش وجائز للرجل أن يأخذ حق الأدب من عبيده بنفسه أن عرف كيف يؤدبهم ، وذكر عن رسول الله ﷺ أنه أمر الفضل بن عباس أن يؤدب أهله وعبيده وجائز للرجل أن يؤدب أطفاله ويأمر من يؤدبهم ممن يعرف ذلك ، ولا يجوز للمرأة أن تؤدب أطفالها الا باذن زوجها ، وان لم يكن للطفل والد فان والدتهم تؤدبهم اذا عرفت كيف تؤدبهم ولا يجلدوا من وجب عليه الحق بالليل من غروب الشمس الى طلوع الشمس من الغد الا ان اخذوا فى جلد رجل قبل غروب الشمس فغابت الشمس قبل أن يتموا فلهم أن يجلدوه ما لم يمنعهم الظلام ، ولكن اذا حضر غروب الشمس فلا يتعمدوا فيه ضرب من أرادوا أن يضربوه كثيراً ، وان كان الضرب قليلاً فلهم أن يأخذوا فى ذلك ، وكذلك الحدود لا يقيمونها بليل من جلد أو قطع أو رجم ، فأما غيره من أوقات النهار فلهم أن يجلدوا

. . . .

الا بين الاذان لصلاة الجمعة الى ان يفرغوا من صلاتها ، وحكم المامون بين ابنه وامرأة وذلك انه جلس يوماً للنظر فى امور الرعية من اول النهار الى ان زالت الشمس فكان فى آخر من تقدم اليه امراة عليها اطمار بالية فقالت : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فنظر المامون الى يحيى بن اكثم كالمتعجب ، فقال لها يحيى بن اكثم : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ما حاجتك ؟ فقالت :

يا خير منتصف يهدى بـه البشر
ويا اماماً بـه قـد اشرف البلد

تشكو الى ملك الزمـان ارملة
عُـدى عليها فـلم تقو له اسد

فابتزّ منى ضياعى بعد نضرتهـا
فقـد تفرق منى الأهـل والولد

فاجابها المامون :

فى دون ما قلت عيل الصبر والجلد
وذاب منى بذاك القلب والكبـد

هذا اوان صـلاة الظهر فانصرفى
واحضرى الخصم فى اليوم الذى أعدُ

لمجلس السبت ان يقضى الجلوس لنـا
ننصفك فيه والا المجلس الأحدُ

. . . .

فانصرفت فلما كان يوم الاحد تقدمت اليه فقال لها : يا امة الله ما فعل خصمك ؟ قالت : ها هو ذا فاشارت الى العباس ابنه ، فقال للحاجب : اجلسه معها مجلس الحكم فاخذ بيده فاجلسه معها فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها الحاجب : مهلاً يا امة الله فانك انما تخاطبين الامير أعزه الله وانت فى مجلس امير المؤمنين ، فقال له المامون : دعها فان الحق انطلقها والباطل اخرسه ، فأمر بردّ ضياعها وامر لها بعشرة الاف درهم فاخذتها وانصرفت .

واعلم ان الصبى امانة عند والديه وقلبه جوهرة طاهرة خالية من النقش والصورة فهى قابلة لما ينقش او يصور فيها فان علّماه الخير انتقش وتصور فيه وكان له ولمن علمه الاجر دنيا واخرى ، بل قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه » (١) وان عوّد الشر او اهمل خطفه الشيطان فانتقش فى قلبه الشر وتصور به فهلك هو ومن اهمله ، قال الله تعالى : ﴿ قوا انفسكم واهليكم ناراً ﴾ (٢) فكيف لا يصونه أبواه عن نار الآخرة ويصونانه عن نار الدنيا ؟ وذلك بأن يؤدبه أبوه ويعلمه محاسن الاخلاق ويمنعه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر فيهلك ، ويسترضعه حين الرضاع صالحة متدينة فانه لا بركة فى لبن الحرام ، فان نشأ به مال طبعه الى الخبائث ، فاذا رأى فيه مخائل التمييز أحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياة فيراه يستحى من بعض الافعال فذلك لاشراق نور العقل ، فهذه هدية وبشارة من الله تعالى باعتداله وصفائه وكمال عقله اذا بلغ ، فيستعان بحيائه على تأديبه ، فيؤدب عن شره الطعام أولاً ويقال له : لا تأخذ الطعام الا بيمينك ،

---

(١) رواه مسلم وابو داود .

(٢) سورة التحريم : ٦ .

. . . .

وقل بسم الله الرحمن الرحيم ، وكل مما يليك ، ولا تبادر الى الطعام قبل غيرك ، وأجد المضغ ولا تنظر الى من ياكل ، وغير ذلك من آداب الطعام ، ويعود الخبز بلا ادام فى بعض الأوقات لئلا يلتزمه ، ويشبه له كثير الأكل بالبهائم ، ويمدح له من يقلل الاكل من الصبيان ويحبب اليه الايثار بالطعام والقناعة والاجتزاء بما وجد من الطعام الخشن ومن اللباس ، ويحبب اليه الثوب الابيض دون الملوّن والحرير ، ويقول له : ان اللون والحرير من شان النساء والمخنثين ، ويكرر ذلك عليــه ويعينه على ذلك بحفظه من الصبيان الذين يلبسون ذلك أو افخر الثياب وأهل التنعم فان الصبى اذا اهمل نشــا ردىء الاخلاق كذوبا حسوداً سروقاً نمّاماً لجوجاً ذا فضــول وضحك وعدم مبالاة ويشغله فى المكتب ، فيتعلم القرآن واحاديث الأخيار وحكايات الابرار واحوالهم ليحبهم ويحفظ عن اشعار العشق وأهله والأدباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس فى القلب النفاق واذا ظهر منه خلق جميل جازاه واكرمه ليزيد ويمدحه لا بين اظهر الناس خلافاً للغزالى ، فان ذلك يبعثه للرياء ، وان خالف فى بعض الاحوال تغافل عنه مرة واحدة ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر انه يتصور ان يفعل احد مثله ولا سيما ان اجتهد الصبى فى ستره فان اظهره فقد لا يبالى الصبى بالمكاشفة ، وان عاود ثانياً عاتبه سراً ويعظم الامر فيه ويقول : اياك ان تعود الى مثله فتفتضح عند الناس ولا يكثر العتاب فان كثرته تهون عليه ركوب القبائح لانه يعتاده ويسهل عليه ويحفظ الاب هيبة الكلام معه وتخوفه الام بالاب وتزجره عن القبائح وينبغى أن يمنع النوم لئلا يكسل ، واقول الا فى القائلة ، ويضرب على عدم النوم فيها اذا كان ان لم ينم لعب فيها ، ويمنع من الفراش الوطىء لتتصلب أعضاؤه ويعوّد المشى أو الحركة فى بعض النهــار فيما يعنى لئلا يكسل ولا يكشف اطرافه ولا يسرع المشى ويرخى يديه .

. . . .

وقال الغزالى : لا يرخيهما بل يضمهما الى صدره أى : لئلا يعبث بهما ويمنع من الفخر بما ملكه ابوه أو طعامه أو لباسه أو لوحـه أو دواته ، ويعوّد التواضع والاكرام لكل من عاشره بتلطف الكلام وأن لا يأخذ من الصبيان شيئاً ويعلم أن الرفعة فى الاعطاء وأن الأخذ لؤم وان الطمع والأخذ مهانة وذلة وانها من دأب الكلب يبصبص فى انتظار لقمة ، ويقبح فيه الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من السم على الصبى والكبير ، ويعوّد الا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب فى وجوه الناس ويستدبر غيره ، ولا يضع رجلاً على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بذراعه أو يده فذلك دليل الكسل ، ويقال : ان ذلك يورث الهم والمصائب ، ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ، ويعلم أن ذلك وقاحة ، وأنه فعل أبنـاء اللئام ، ويمنع من الفضول رأساً ، صادقاً كان أو كاذباً ، حتى لا يعتاده ، ويمنع أن يبتدىء الكلام وان لا يتكلم الا جواباً بقدر السؤال ، وان يحسن الاستماع من الكبير ، قيل : وان يقوم لمن فوقه مطلقاً ويوسع لـه المكان ويجلس بين يديه ويمنع من اللغو والفحش واللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك ، ويوصيه أن لا يكثر الصراخ والتشفع بأحد بل يصبر اذا ضربه المعلم وان ذلـك دأب المماليك والنسوان وان الصبر دأب الشجعان والرجال .

قال الغزالى : وينبغى ان يؤذن له بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح اليه بحيث لا يتعب فى اللعب فان منع الصبى من اللعب وارهاقه الى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب منه الخلاص رأسـاً .

قلت : وكذا كنت اقول قبل ان أطلع على كلام الغزالى ، وذلك انى

. . . .

رأيت بعض الناس يؤدب أولاده تاديبا بليغا ويلزمهم البيت ، وذكر لى يوما حالهم فى القراءة والدرس فقلت له : لو انك تسرّحهم يلعبون قليلاً ليستريحوا فيقوى فهمهم ولا يملّوا وذلك ان اصحابنا قالوا : يؤدب الطفل على اللعب مطلقاً رحمهم الله تعالى ، وقد يريد الغزالى اللعب فى الدار والانبساط الى الانتقال فيها وينبغى أن يعلم طاعة معلمه ومؤديه ومن هو اكبر منه سناً ولو أجنبياً ولا سيما ابواه ، واذا بلغ سن التمييز أمر بالطهارة والصلاة على حد ما مر فى محله ، ويؤمر بصوم بعض رمضان ويعلّم حدود الشرع ، ويخوّف من السرقة والحرام وما لا يجوز ليعتاد الحق بعد البلوغ ، واذا بلغ او قارب علموه ان الطعام للقوة على العبادة وأن الدنيا تفنى ، وانما هى للعبادة والكيّس العاقل يتزود منها للآخرة فتعظم درجته عند الله ويتسع له النعيم فى الآخرة .

قال سهل التسترى : كنت وانا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل وانظر الى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوماً : الا تذكر الله الذى خلقك ؟ فقلت : كيف اذكره ؟ قال : [قل] بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معى الله ناظر الى الله شاهدى ؛ فقلت ذلك ليالى ثم اعلمته ، فقال : قل فى كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم اعلمته ، فقال : قل فى كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته فوقع فى قلبى حلاوته فلما كان بعد سنة قال لى خالى : احفظ ما علمتك ودُم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة فى سرى ، قال لى خالى يوماً : يا سهل من كان الله معه وناظراً اليه وشاهده فكيف يعصيه ؟ اياك والمعصية ؛ فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بى الى المكتب فقلت : انى لأخشى أن يتفرق علىّ همّى ولكن شارط المعم أن اذهب إليه ساعة واعود فحفظت القرآن وانا ابن ست سنين ، وكنت أصوم الدهر وقوتى

ويحـرر بهـا عبْد كمـا مر . . . .

من خبز الشعير اثنتى عشره سنة فوقعت لى مسالة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسالت اهلى ان يبعثوا بى الى اهل البصرة لاسال عنها فسالت علماءها فلم يشفونى ، فخرجت الى عبادان لرجل يعرف بابى حبيب حمزة بن عبد الله فاجابنى فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بآدابه ، ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتى اقتصاداً على أن يشترى لى بدرهم الفرق من الشعير فيطحن ويخبز فافطر عند السحر على أوقية كل ليلة بلا ملح ولا ادام ، فكان يكفينى الدرهم سنة ، ثم عزمت على أن اطوى ثلاث ليال ثم خمساً ثم سبعا ثم خمساً وعشرين ، وكنت على ذلك عشرين سنة ، ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ما شاء الله تعالى .

(ويحرر بها) اى : بالمثلة (عبد) أو أمة (كما مر) فى قوله من كتاب الديات : باب يقتل جـان بكسيف الخ ، وقيل : لا يحرر بهـا وفى « المنهاج » : سئل بعض الفقهاء عن رجل مثّل بعبده مثلة عتق بها هل يلزم السيد ارشها ؟ قال : ارش له اى لانه قد عوض العتق الا ان ازداد فيلزمه ما ازداد فلو ازداد حتى مات لزمته دية الحر ، وقد أطلت الكلام على المثلة فى شرح بعض دعائم ابن النظر رحمه الله .

قال ابن وصّاف : ومن مثّل بعبده فقطع اذنه او خرم انفه عتق ، قال رسول الله ﷺ : « من مثل بعبده عتق عليه » ، قال هاشم : من ضرب عبده بشعلة نار عتق ، وقال الأزهر وموسى : حتى تؤثر فيه النار ، قال مجبر : من قطع اذن غلامه أو انفه أو فقأ عينه او قطع يده أو ما اشبه ذلك فما ارى غلامه الا حراً ، قال : ومن اتهم غلامه بسرقة فسخّن سكيناً فى النار ثم وضعها على لسانه او أمر من فعل ذلك فاذا اثرت النار فى لسانه شيئاً أو تغير كلامه بذلك ولم تؤثر فيه فانى أراه يعتق بذلك ، ومن كوى

عبده برأى العبد لعلة فجائز ، فان كواه بلا سبب ففيه اختلاف ، قـال بعضهم : اذا اثرت فيه النار عتق ، وقال بعضهم : لا يعتق الا ان ينقص من قيمته الثلث ، قال : ومن حلق راس جاريته فانم ينهى عن ذلك فان هذا مثلة أى كالمثلة او انه مثلة فى الحرة ولا تترك فى يده ولكن تباع من غيره ويعطى ثمنها ، قال ابو عبد الله : ان كانت من ذوات الشعر فانها تعتق عليه اذا لم ينبت ، وان نبت فقد اساء ويستغفر ربه .

قال : وعندى ان المـدة فى ذلك سنة فان لم ينبت الى سنة عتقت ، قال : وما فعل بها غلطاً لا تعتق به ، وانما تعتق اذا فعل مولاها بها على التعدى ، قال : ومن باشر امته وهى حائض فلا اراها تعتق ولكن محرم عليه وطئها ، ومن نكح عبده لم يعتق عليه بذلك ، وفى « المنهاج » ما يفيد ان المثلة بعمد يقع بها العتق ولو قلّت ، وان كانت خطا وقع بها ان بلغت الدية الكاملة ، قال : قيل له : فما المثلة التى يعتق بها العبد ؟ قال : اما على العمد فلو قطع له انملة واحدة او راجبة فانه يعتق بها ، وامـا على الخطا فحتى يمثل به ما تجتمع فيه الدية مثل اليدين او الرجلين او العينين او الأنف او اليد والرجل وما اشبه ذلك .

قال : قال ابو الحوارى رحمه الله : من خصى عبده او جبّه فقد عتق ، قال ، وذكر ان امراة امرت بضرب غلام لها فاخطا الضارب فاعوّر عينه فسئل محبوب عن ذلك فقال : انه لا يعتق لأن ذلك خطا ، والذى نحفظ من قول المسلمين : ان من مثّل بغلامه فاعوّر له عينا او قطع اذنا او انملة عمداً فانه يعتق ، ومن فعل ذلك خطا فانه لا يعتق الا ان مثل به مثلة تجمع فيها الدية فانه يعتق ، وذلك مثل ان يقطع اذنيه او انفه او شيئا من جوارحه التى تتم فيها الدية فى الحر فان فعل ذلك عمداً او خطا عتق العبد (**وهلك بها فاعلها**) عمداً بحرّ او عبد له او لغيره ، (**وضمن**)

ان فى حق غيره وان اخرجه غير متاهل لاخراجه فاما ان يلام باللسان فقط كمن لا يقصد به من الجماعة لوجـود أفضل منه بلا ضرورة الجاته اليه ، او يهـاجر . . . .

ارش المثلة مخرج الحق ، فان وقعت لامتناعه أو اضطرابه فلا ارش له ، و (**ان فى**) اخراج (**حق غيره**) مثل ان يخرج الحق من ولده وهو حق لنفسه أو على ما مر من جواز ان يخرج الحق لنفسه اذا كان لا يتعدى ، وكذا من مثل بميت ولو مشركا غير كتابى أو كتابيا محاربا او باغيا لزمه ارشها لوارثه وكذا كل ما فعل به من جرح وكسر وغيره ، وتقدم الخلاف فى قدر ارش الميت ، وذلك ان الميت لا سبيل الى قتاله لانه غير مكلف حينئذ الا بما فعل فى حياته فلا أمر عليه حينئذ ولا نهى ولا زجر ولا يؤثر فيـه النهى ، ويضمن كل ما اخطا به ولا يضمن ما قام ممن يخرج الحق منه من تحرك أو نحوه ، (**وان أخرجه**) اى الحق كضرب او حبس (**غير متأهل لاخراجه فاما ان يلام باللسان فقط**) لئلا يعود الى مثله ولئلا يفعل غيره مثل ذلك فتفسد الاحكام ويقع التنافس مثل ان يقال : لا يسوغ لك ذلك او يقال من اين لك ذلك ؟ او يقال كانك تتراس ، (**كمن لا يقصد به**) اى باخراج الحق (**من الجماعة**) اى كمن يكون من الجماعة جماعة المسلمين لكن لم يجعلوه لاخراج الحق ولا يقصدونه بالطلب ان يخرجه من الناس (**لوجود افضل منه**) او مساويه لكن قد عين للاخراج غيره الذى يساويه وكذا لو لم يكن الا من دونه ولكن قد عينوا للاخراج غيره لان تعيين غيره كالحجر عليه (**بلا ضرورة الجاته اليه**) اى الى اخراج مثل ان لا يوجـد هناك من يخرجه سواه ، او ان يضعف غيره لمرض او غيره او لو اخرجه غيره لقامت فتنة او تولد ضر او قامت البينة عنده فقط او عنده ومن دونه او كان من هـو افضل صاحب الحق فلا يخرج حقه بنفسه وما اشبه ذلك فاخرجه قصـداً لمجرد انفاق الحق لا انتقاماً ولا رياسـة (**أو يهـاجر**)

كمن يقصد به ولكن الجاه النزاع والخلاف ، فان اخرجه وحده فهو احق بالهجران ولو تاهل لاخراجه ويهاجر ويلام ويؤدّب بقدر النظر باخراجه من الجماعة او بحبس او ضرب ان تعمّده بعد حجْر ومنع منه .

ويلام أو يهاجر فقط عديل لقوله اما ان يلام (**كمن يقصد به**) أى يدعى الى ان يخرج الحق من غيره لكونه اهلاً لذلك (**ولكن الجاه**) الى اخراج الحق (**النزاع والخلاف**) مثل أن تتنازع الجماعة : هل نخرجه أو لا ؟ فيخرجه ، أو يختلفوا هل يؤخرونه فيعجل به ، أو هل يضرب بكذا او عدد كذا أو فى كذا ؟ فيبادره بما أراد هو أو المضروب ، أو كل يقول : انا اضربه فيعاجل بالضرب او ينتظروا زيادة التثبت فلم ينتظر (**فان اخرجه وحده**) قبل وقوع النزاع (**فهو احق بالهجران ولو تاهل لاخراجه**) وكذا الذى اخرج منه يهاجرونه ان طاوع ، ويهاجر هو من اخرجه منه طاوع ، او لم يطاوع ، وقد مر فى احاديث أنه لا يولى فى العمل من اراده وطلبه (**ويهاجر ويلام**) باللسان وقوله : ويهاجر الخ عائد الى قوله بعد حجر ومنع (**ويؤدب بقدر النظر**) اى على قدر ما يليق به وبمرتبته وعظم ما اقدم عليه من الاخراج (**باخراجه**) متعلق بيؤدب وتعلقت فيه باءان لان الاولى بمعنى على او يجعل باخراجه بدلاً من بقدر النظر وهاء اخراجه عائدة الى الذى يهاجر ويلام ويؤدب (**من الجماعة**) الى جماعة دونها أو الى العامة ، (**او**) يؤدب (**بحبس او ضرب**) على قدر النظر (**أن تعمده**) اى تعمد اخراج الحق ممن وجب (**بعد حجر ومنع منه**) أى من اخراجه منه مطلقاً او حجْر عليه خصوصاً او حجر الى وقت كذا ، او الا بكذا ، او فى كذا ، او عدد كذا ، او تعيين مخرج أو نحو ذلك فخالف بالاخراج .

ولا ضمان عليه ولا اعـادة اخراج ويعزّر من لم يكن من الجمـاعة أن تعمـده وقصـد مخالفتها وفى اعادته ولزوم الضمـان خـلاف . . .

(**ولا ضمان عليه ولا اعادة اخراج**) على الجماعة او غيرهـا بل يكتفون بما اخرجه ذلك الرجل لانه من الجماعة ولو خالفها بذلك او خالف امامها ، والذى وجب فيه الحق بمنزلة الجماعة المذكورة ان اتفق معهم على الحجر والمنع ، فانه يهاجر من اخرج منه الحق على الحجر كما فعلت الجماعة من هجرانه ولو طاوع فى الاخراج منـه لان معصيته بالمطاوعة لا تبيح له مخالفة المسلمين فى هجرانهم الذى اخرج منه الحق ، واذا طاوع هاجروه هو ايضاً وادبوه كذلك بحبس او ضرب (**ويعزر من لم يكن من الجماعة**) بل من اهل الدنيا أو بمنزلتهم لان ذلك تعدية (**ان تعمدة**) اى ارتكب اخراج الحق ممن وجب فيه بضرب او حبس (**وقصد مخالفتها**) اى مخالفة الجماعة أو الامام او القاضى أو نحو ذلك (**وفى اعادته**) اى اعادة اخراجه اى اعادة الجماعة او القاضى والامام او نحوه اخراج الحق من أخرجوه منه (**ولزوم الضمان**) اى لزوم أرش الضرب او ما وقع ووجوبه على هؤلاء الذين اخرجوه (**خلاف**) .

وفى « الديوان » : واذا وجب الحق على رجل فأخذه الاشرار فضربوه أقل مما وجب عليه أو مقداره او أكثر منه فلينظر المسلمون فى ذلك ، فان رأوا ان يأخذوا منه الحق أخذوه ولا يشتغلوا بفعل الاشرار فى ذلك وليؤدبوهم على ذلك ، وكذلك ان ضربه العبيد أو النسـاء أو الأطفـال فليخرجوا منه الحق ولا يشتغلوا بهم وليؤدبوهم على ذلك وقد مـر كلام فى الأحكام ولا يقعد احد الى من يخرج منه الحق حتى يسـالهم عمـا يضربونه عليه فان قال الأمينان : انما يضربونه على فعـل كـذا وكـذا مما يوجب الضرب فليقعد اليهم ، وكذلك ان لـم يكن فيهم الأمنـاء فلا

ولزمته دية ان اتلف به نفسـا لا قود وينكل كمانع او قاطـع ان اخـرج حقـا ممن وجب فيه دون قاض بكضرب او حبس ويعاد ، وهلك وضمن ولو غـاب من تاهـل للاخـراج .

يقعد اليهم ، وقيل : ان كان الامنـاء فيهم فليقعد ولا يحتـاج الى سؤال ، وان أمروه بضرب رجل فلا يضربه حتى يعلم أنه فعل ما يوجب الضرب الا ان كان امام المسلمين فانه يفعـل ما يامـره به من ذلك ، ومـر كلام فى ذلك .

(ولزمته دية ان اتلف به) اى بالاخـراج (نفسـا لا قـود وينكل كمانـع أو قاطـع) الكاف نائب فاعل ينكل اى : ينكل مثل مانع الحـق أو قاطع الطريق والباغى (ان اخـرج حقـا ممن وجب فيـه دون قاض) أو امام أو جماعة أو نحـو ذلك ، (بكضرب) متعلق بأخرج (او حبس ويعـاد) اخراجه (وهـلك) مخرجه المذكـور (وضمن) ما وقـع من اخراجه من جرح أو غيره (ولو غاب من تاهـل للاخـراج) وهلك الذى فعل ما يوجب الاخراج ان ترك نفسه لاخراج المانع ونحـوه الحـق منه فان حضر فالذى أخرجه احق بالنكال والهلاك والضمان ، وذلك أن من وجب عليه الحق لا يخرج الحق من غيره اذا وجب فيه ، وأما النهى عن المنكر فلا يحط عنه على قدر طاقته ما صح عقله ، وكـذا الأمـر بالمعروف ولو كان يأتى ذلك المنكر ويترك ذلك المعروف ، قال فى « القناطر » : وأما العـدالة فاعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسـق أن يحتسب بالأمـر والنهى وربما استدلوا بالآيـات والأخبـار الواردة فى الانـكار على من يأمر بمـا لا يفعـله مثـل قوله تعالى : ﴿ أتأمـرون النـاس بالبرّ وتنسـون انفسـكم (١) ﴾ وقـوله تعـالى : ﴿ كَبُرَ مقتـا عنـد الله أن تقـولوا

---

(١) سـورة البقرة : ٤٤ .

. . . .

ما لا تفعلون (١) ﴾ ، وبما روى عن النبى ﷺ انه قال : « مررت ليلة اسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من انتم ؟ قالوا : كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه (٢) » ، وبما روى أن الله تعالى أوحى الى عيسى ابن مريم : « عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى » .

وربما استدلوا من طريق القياس أن تقويم الغير فرع الاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح فى نفسه فكيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج ؟ قال : وكل ما ذكروه خيالات ، والحق أن على الفاسق أن يامر وينهى اذ لا يشترط فى الامر والنهى العصمة عن المعاصى كلها ، فمن زعم انه لا يجوز لاحد أن يامر وينهى حتى يكون معصوماً فقد خرق الاجماع وحسم باب الأمر والنهى اذ لا عصمة للصحابة فضلا عن غيرهم ، والانبياء قد اختلفوا فى عصمتهم من الصغائر والقرآن دل على نسبة الانبياء الى المعصية والظلم لانفسهم ، وعن سعيد بن جبير : ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لم يكن فيه شىء لم يامر احد بشىء ولم ينه عن شىء ، وقد روى عن رسول الله ﷺ : « مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله ، وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله (٣) » ، قال : والتحقيق فى هذا أن الاحتساب تارة يكون بالوعظ ولا ينفع وعظ من لا يتعظ عند من علم ذلك منه ، ويكون الاحتساب تارة بالقهر والمنع فلا حجر على فاسق فى اراقة الخمر

---

(١) سورة الصف : ٢ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

. . . .

وكسر الملاهى وغيرها اذا قدر على ذلك ، وكذلك اغاثة المظلوم وقمع الظالم وغير ذلك من المنكر .

قلت : وكذا آثار التناصح بين المسلمين فان أخاك المسلم يرى عيبك وترى عيبه فينصح كل منهما الآخر فدل انه لا يسقط النهى عن العاصى ، قال : وأما الآيات والأخبار التى استدلوا بها فانكار عليهم من حيث تركهم المعروف وارتكابهم المنكر لا من حيث الأمر والنهى لأن أمرهم ونهيهم دل على قوة علمهم ، وعقاب العالم التارك أشد لأنه لا عذر له مع قوة علمه فالجاهل غير معذور فكيف العالم ، العالم ، وقوله تعالى : ﴿ تقولون ما لا تفعلون (١) ﴾ المراد به الوعد الكاذب ، وقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ انكار من حيث أنهم نسوا أنفسهم لا من حيث أنهم أمروا غيرهم لأن ذلك أدل على علمهم وأقوى فى تأكيد الحجة عليهم ، وقوله : ﴿ يا ابن مريم عظ نفسك ﴾ الحديث هو فى الاحتساب بالوعظ ، وقد سلمنا أن وعظ الفاسق قليل الجدوى ساقط القبول عند من يعرف فسقه ، ثم قوله : والا فاستحى منى لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه : لا تترك مهم نفسك وتشتغل بمهم غيرك ، كما يقال : احفظ اباك ثم أخاك والا فاستحى ا هـ .

ويجب على هؤلاء الذين وجب عليهم الحق أن يدفعوا من قصدهم بظلم بأخذ مال أو قتلهم أو من قصدهم باخراج الحق كما لا يجوز مثل أن يقتلهم بالنار أو يغرقهم أو يمثل بهم سواء قصده بما لا يجوز الامام أو القاضى أو غيرهم من علم أن ذلك لا يجوز أو من لم يعلم ، ولا يعذرون أن يسلموا أنفسهم لمن يفعل فيهم ما لا يجوز ولو جهلوا أنه

(١) سورة الصف : ٣ .

وان اعطى كالمانع حقاً لمن لـه ممن لزمه كالنفقة والديون وما يخـرج من المـال ، لم يضمن ولو لم تبلغ الحاجة الى من له النفقة ولا يخـرجه من هـو فيـه وان لزمـه النهى ودفـاع قاصـده بظلم أو بما لا يجـوز به ٠

لا يجـوز لان التسليم مقارفة ، ولا يعذر الجاهل اذا قارف وذلك فى كل ما يدرك بالعلم واما ما لا يدرك بالعلم فلا باس عليه فى التسليم بل لا يمنع نفسـه عمن اخذه بظاهر الحكم ولو علم هو فى نفسـه انه ليس ذلك عليه ، ولكن لا يعين على نفسـه الا ان كان مريـداً اخذه بذلك قد علم انه لا يجوز ذلك فانه يمنعه مثل ان يعلم انه لم يطلق او لم يقتـل أو ليس بعبد أو ليس بزوج فقامت عليه شهادة الزور او الخطا بخلاف ما علم ٠

(**وان اعطى كالمانع**) الكاف فاعل اعطى اى : وان اعطى مثل مانع الحق والقاطع (**حقاً لمن له ممن لزمه**) مما ليس ضرباً او حبسـاً او نحوهما (**كالنفقـة**) للزوجة والولى والعبد ومن متعلق باعطى أى : وان اعطى الحق من مال من عليه الحق بلا اذن منه (**والديـون**) لاصحابها ولـو لم تبلغ اليهم الحاجـة (**وما يخـرج من المـال**) كالبـاس من لزمـه الباس كعبد وزوجة (**لم يضمن ولو لم تبلغ الحاجة الى من له النفقة**) أى : وان لـم يكن من له النفقـة يموت ان لم يعطه او يصيبه ضر (**ولا يخرجه من هـو فيه**) اى : لا يخـرج الحق من وجب اخراج الحق منه سـواء اتفـق نوع الحق او اختلف (**وان لزمـه النهى**) عن المنكر والامـر بالمعروف كما مـر عن القنـاطر (**ودفاع قاصـده بظلم او**) قاصـده لاخـراج الحـق (**بما لا يجـوز به**) كاحراق وضرب على وجه او ضرب بحـديد أو ضرب

ولو اماماً أو قاضياً

حيث لم يرد الاثر بالضرب فيه من الجسد (ولو اماما او قاضياً) بان يقصد الى فعل ذلك لجهل او تعمد عصيان او أراد الامام الجائر والقاضى الجائر والله اعلم ٠

فصــــل

لا يجــوز حكم امراة وطفــل وعبــد وان فى كنفقة ودين لمــن له ذلك
ولا تباعــة لــه وزال عمن لزمــه وســقط . . . . . .

فصــــل

(لا يجوز حكم امراة وطفل وعبد) ومجنون ومشرك (وان فى كنفقة ودين لمـن له ذلك) المذكــور من النفقة والدين ونحوهما (ولا تباعة له) أى : لمن لــه ذلك المذكــور أى : ولا تبــاعة لازمة له فى أخــذ ما أخــذه بتقبيض الطفل أو المراة أو غيرهما ممن لا يجــوز حكمه ، فاذا أخــذوا لــه حقه وأعطوه اياه أو قهروا من عليه الحق فأعطى فليأخذه ولا بأس عليه ، ويجــوز كون اللام بمعنى على أى : لا تباعة عليــه بأخــذ حقــه بحــكم الطفل ونحوه ، ويجوز أن يكون المعنى أن ذمة من عليه الحــق قد برئت حين أعطى بحكم الطفل ونحوه ولا تباعة لمن له الحق عليــه ، ثم ظهر لى انه قد قال : (وزال) الحق (عمن لزمه وســقط) فبطــل الوجــه الثالث ، وانمــا كتبته قبــل أن أطلع على ان المصنف رحمه الله قــد ذكره بهذا الكلام الا أنه من الجــائز أن يصح الوجــه الثالث فيكون

ولا يشـهد بحكمهم لذى الحـق ولا يدفعهم من قصـدوه به ولا يلزمـه بـه ما لـم يلزمـه قبـل ، ولزمـه دفعـه لصاحبه . . . . . .

قد ذكر براءة ذمة من عليه الحق ثلاث مرات بقـوله : ولا تباعة له أى لا تباعة له على من لزمه وبقوله : وزال عمن لزمه ، وبقوله : وسقط .

(**ولا يشهد**) بالبناء للمفعول (**بحكمهم لذى الحق**) أى : لا يشهد الشـهود بأنه قـد حكم الحاكم لفـلان ولا بأنه قد حكم فلان مشيراً الى نحـو الطفل ممن لا يجـوز حكمه ، أو قد حكمت فلانة ، ولا بانه قـد حكمت المرأة او الطفل أو المجنـون أو نحـو ذلك ، اذ لا حـكم صحيح الا انه لا اثم عليهم ان شهدوا وذكروا اسماءهم بحيث يعلم السامع انهـم ممن لا يجـوز حكمهم ، أو ذكرهم باسم المـرأة او الطفـل ونحوهما ، وكذلك لا يشهدون انه قد حكم على من عليه الحـق ولا حكم عليه فلان أو الطفـل أو المجنـون وهكذا ، ولا باس عليهـم ان قالوا : قد وصـل فلاناً من مـال فلان كـذا وكـذا (**ولا يدفعهم من قصدوه به**) أى : بالحكم قـولاً وزجراً أو انفـاذاً بادخالهم اليـد فى ماله للاعطاء لأن الحق عليـه ولو كانوا ليسـوا أهـلا للحـكم ، مثل أن يقبضـوه أو يجـروه ليدفـع أو للحبس فلْيَحتَل بالتخلص أو يعط ولا يدفعهم (**ولا يلزمه بـه**) أى بحكمهم (**ما لم يلزمه قبل**) أى قبـل حكمهم ، أى : ان امتنع عنهم وعصاهم أو هرب عنهم أو لم يردّ لهم جـواباً لم يحكم عليـه بالحبس ولا بالضرب ولا يتبع بالضرب ولا يجبر على ردّ الجواب ولا يحكم عليه بشىء مما يحكم به على من امتنع من القاضى أو لم يرد لـه الجـواب ، ولا يبرأ منه وان رآهم يفعلون ما لا يجـوز فى ماله أو ما ليس عليـه فله دفعهم ، وان لم يكن عليه الحـق فله دفعهم ، وكلام المصنف انما هـو فيمن عليه الحق سواء علم هؤلاء به فقط أو علموا هم وغيرهم .

(**ولزمه دفعه لصاحبه**) بلا حكم من هؤلاء ، واللائق أن يقول لهم :

وان حجر على مطلوبه أو حرم عليـه ما هو له ولـم يعطه له ، أو هـو قادر على اعطـائه ماله . . . .

قد قبلت الحق فاذهبوا فانا أوصل الحق لصاحبه ، أو يعطيه للمرأة أو من لـه استخدامه ويوصله ، ولو أجبره القاضى او الامام أن يعطيه ليوصـل لصاحبه لزمه أن يعطيه وكذا الجمـاعة ولا يعطيه صاحبه ، وان أعطـاه وقد قالوا له : أعطنـا بايدينـا برىء وانما يلى القضـاء الامام او من يوليـه الامام او نصـوه ، وفى « الديوان » : وانما يولى القضـاء امـام المسلمين او من أذن له الامام ، وان جعله أحـد بغير اذن الامـام فلا يجوز الا ان جوزه الامام ، وان لم يكن الامـام فالجماعة ولا يجعـله واحـد منهم بلا اذن منهـم الا ان وكلوه على ذلك ، وليس للنسـاء ولا للعبيد ولا للمشركين ولا لأهل الكبـائر من أهـل الدعـوة والمخالفين أن يولوا قاضـيا منهم ولا من غيرهم ، وليس للأطفال والمجانين من أمر القضـاء شىء ، ولا يولوا القضـاء للمـرأة ، ولا للمشركين ، وقـد نهى النبى ﷺ عن ذلك ، وكذلك العبد والطفل والمجنون والمحدود فى القذف والشاهد بالزور ، ومر الكلام على هذا الشأن فى كتاب الأحكام ، (**وان حجـر**) صاحب الحق الطالب له (**على مطلوبه**) وهو من عليه الحق (**أو حرم عليه**) وقوله (**ما هو له**) حجر عليه أو حرم أن يمكث بلا قضاء لحقه ولفظ ما تنازعه حجّر وحرم و « ما » واقعة على الحق أى : وان منع صاحب الحق ما هو له من الحق أن يبقى عند الذى هو عليه أو حرم صاحب الحق على من عليه الحق ما هو له من الحق أن يبقى عنده ، فقدّر البدل كما رأيت بناء على جواز حذفه ، او قدّر المضاف أى : بقاء ما هو له فعلى اعمال الأول يقدر او حرمه عليه ، وعلى اعمال الثانى يقدر وان حجره (**ولم يعطه له**) ضمن يعط معنى يناول فعدّاه باللام أو زاد اللام فى المفعول الثانى شذوذاً (**أو هو قادر على أعطائه ماله**) أو حقه مما هـو غير نفس المـال بـل

عصى ، وقيـل : هلك وان لم يحجر عليـه فعلى حـاله الأول من توسيع او تضييق ، فلزوم الفقير حـرام ومطل الغنى ظلم ، وان قتـل بـاغ او قاطع بحميـة فهـل يقتل او تلزم بـه ديتـه . . . . . .

منفعة كالطريق والحريم ، او قصاص او جلب زوجـة او غير ذلك من كل حق (عصى) بهذا الامتناع عصياناً صغيراً ، او لا يدرى صغير عند الله ام كبير ؟ سواء حق بالمعاملة او التعدية او بالأمانة الا انه ان كان بالتعدية أو بالربا او الوجه المحرم فقد تقدم الهلاك قبل هذا العصيان (**وقيل : هلك**) وهو الصحيح ، ومطل الغنى ظلم ، كما ان لزوم الفقير حرام ، وتقدمت ابحاث هذا الشان فى البيوع ، فان لم يقدر على الاعطاء فلا يعص بعـدم الاعطاء ان اقر واذعن ولو سبق له كفر بتعدية مثلاً (**وان لم يحجر عليه فعلى حاله الأول من توسيع**) لفقير (**او تضييق**) على غنى ان كفر اولا فعلى كفره حتى يتوب او عصى فعلى عصيانه حتى يتوب ، وان لم يكفر ولم يعص اولا فـلا عليه كالأمانة الحلال والبيع الحلال ، وان لم يطالبه وهو قادر واخّر القضاء لم يأثم ولم يسمّ مماطلا ، وقيل : يأثم ان اخّر وكان قادراً (**فلزوم الفقير حرام ومطل الغنى ظلم**) كما مر فى البيـوع (**وان قتل**) بالبناء للمفعول (**باغ**) او مانع حق (**او قاطع**) للطريق او كل من حل دمه ممن يتكافأ دمه ودم قاتله (**بحمية**) او فتنة لا انفاذاً لحق الله او لها ولا انفاذ الحق (**فهل يقتل**) قاتله به ؟ وهو الصحيح ، لأن ذلك تعدية لا انفاذ لحق الله ، ولو قصد طرفاً منه لبطلان هـذا الطرف : ﴿ الا لله الدّينُ الخالص ﴾ (١) وهلك وان شاء الورثة فالدية (**او تلزم به**) اى : بقتله قاتله (**ديتـه**) ولا يجوز قتله فيه لأنه متأهل للقتل ببغيه او قطعه فـلا يتكافأ دمه ولو لزمت به الدية او نحو ذلك ، وعصى

---

(١) سـورة الزمر : ٣ .

أو لا دية ولا قــود ولزم الهـلاك ؟ خـلاف . . . .

القاتل بحمية او فتنة بل هلك (أو لا دية ولا قود و) لكن (لزم الهلاك ؟) القاتل لحمية أو فتنة أو اجماعاً (خلاف) وكذا فما دون القتل فما فيـه قصاص ، قيل : يقتص أو يأخذ الأرش ، وقيل : له الأرش فقط ، وقيل : لا عليه الا الهلاك وذلك فيمن حل قتله وفعل فيه ذلك حمية أو فتنة ، وكذا ان حل له شيء دون القتل ففعله بحمية أو فتنة واذا لم يتكافا دمه ودم الفاعل في القولان دون قول القتل والقصاص ، واذا فعل الانسان فعلاً يجوز له في الشرع ونوى به ما لا يجوز شرعاً عصى ان لم يكن كبيرة ، وكفر ان كان كبيرة لنيته كما في قتله البغاة فانه جائز ، فاذا قصد بقتلهم مجرد اخذ اموالهم أو الحمية مع فرقة اخرى من اصدقائه هو وهم اعداء هؤلاء الذين قتلهم فذلك حرام عليه وكفر به ، وكذا اذا قصد ما يجوز وما لا يجـوز وعليه ضمان الدية ولا يقتل ، وقيل : يعطى الدية او يقتل ، وقيل : لا دية ولا قتل ولكن عليه الكفر ، وكذا كفر على القولين الأولين ، وكذا الطاعن ومانع الحق ، واما المرتد أو المشرك ان قصد بقتله ما لا يجوز كاخذ المـال أو الحمية وقد كان ذلك المشرك حلال الدم فانه يهلك ولزمته الدية ، وقيل : لا تلزمه ، واما القتل فلا يقتل به لأن دميهما لا يتكافآن ، وكذا لو قتل عبداً حلالاً دمه وقصد بقتله ما لا يجوز فانه يهلك ولزمته قيمته ، وقيل : لا تلزمه ، واما القتل فلا يقتل به ، وذلك ان لا يقتل موحد بمشرك ولا حر بعبد ، وحكم ما دون القتل كحكم القتل ، يهلك به ، ولزم الأرش ، وقيل : لا يلزم ولا يقتص ، واما قاتل النفس اذا قتله ولى المقتول على الحمية او ما لا يجوز كاخذ ماله فليس على الولى القاتل له قتل ، ولا دية ، وعصى في قول ، وكفر في آخر .

ومن قتل من ذكرناه من البغاة والطاعن ونحوهما ولم يعلم انه يحل

. . . .

قتله شرعاً وانما الحامل له على قتله الحمية أو اخذ ماله أو مرتبته أو نحو ذلك فاشد ذنباً وهلاكاً ممن قتله عالماً بحل قتله شرعاً وحمله على قتله الحمية او نحوها مما لا يجوز واشد لزوماً للضمان ، واذا قتل شخص شخصاً متعمداً ثم علم بعد ذلك أنه قاتل وليه او مرتد أو نحوه ممن يحل قتله فلا قتل عليه ولا دية ولكن عليه الهلاك لنيته اذ تقدم بلا موجب بعلمه ، وكذا ما دون القتل ، وان لم يعلم بعد ذلك فقد وجب عليه أن يقيد نفسه لأوليائه ان يقتلوه ويتوب ، وان لم يفعل هلك فيما بينه وبين الله ولا يعذر بكونه فى نفس الأمر يحل قتله لأنه مكلف بالظاهر ، والذى ظهر له وبقى عليه حتى مات أنه قتله كما لا يحل ، وقيل : لا شيء عليه عند الله اذا وافق ، علم بعد ذلك او لم يعلم ، الا ذنب نواه ، وكذا فى الأموال والفروج اذا وافق ما حل له عند العلماء لكنه تقدم جهلا أو قصد المعصية ، وفى « الضياء »: من وطىء امرأته وهو يرى انها غير امرأته يريد الزنى أو صلى فى ثوب طاهر يرى انه نجس ، أو شرب حلالاً ويراه خمراً ، أو قتل رجلا عمداً بلا حق ثم يصح انه قتل وليه ، او سار الى الجيش مع جيش آخر يريد قتالهم ويرى أن جيشه باغون ، او اخذ شيئاً بسرقة وهو له ولا يعلمه له ، أو سرق صبياً ليبيعه يراه حراً فاذا هو مملوكه ، فكل ما علم انه له بعد ما فعل بلا علم عليه فيه التوبة والاستغفار ولا ضمان ، وان مات ولم يتب تركت ولايته .

قلت : وقيل : يبرأ منه حين فعل وان قصد ما يحل له فوافق ما لا يحل فان كان مما يجوز له التقدم اليه فلا يعصى وعليه الغرم مثل ان يجد طعاماً فى منزله وظن أنه له فاكله فتبين انه لغيره فلا اثم عليه وعليه الضمان لصاحبه بمثله او قيمته ، ومن دخل داره فوجد امرأة نائمة على فراشه فظنها زوجته فوطئها ثم علم انها غير زوجته لزمه صداقها الا ان علمت وأذعنت له ، فان ولدت لستة أشهر أو تحرك لأربعة من يوم وطئها ولم يعلم فيها قبله ،

. . . .

فان كان لها زوج قد دخل بها قبله فان الولد مشترك بينهما ، لأن الوطء لم يكن على حرام ، والوطء الذى يدرأ فيه الحد يلحق فيه الولد ، وقيل : هو للزوج لأن الفراش له ، وان لم يدخل بها الزوج فالولد للواطىء الا ان اتت به من وطئه بعد ستة اشهر ، ولا يطأها الزوج حتى تنقضى عدتها بوضع حملها ان حملت ، وان قصد ما يحل له فوافق ما لا يحل له وكان مما لا يجوز له التقدم اليه عصى ولزمه الضمان ، مثل ان يجد طعاماً فى موضع غير ملكه او فى ملكه الذى لم يحصن فياكله ، ويجوز التقدم الى كل ما قعد فيه او سلطه عليه من قعد فيه بقول الامناء : انه قعد فيها ثلاث سنين ، او بالمشاهدة له فيها ولو لم يعمرها او عرفها له بالحيازة او بالارث او وجه ملك ، ورخص بامين واحد ، وتقدم كلام فى النفقات ، فاذا استحق من يده ضمن ما أكل او ضمن من أكل من يده ، ويجوز التقدم الى ما لا ينسب لأحد كصيد البر والبحر مثل ان يجد سمكة حيث عاز الماء فياكلها ثم يتبين صاحبها فلا اثم ، ويضمن له ، وتقدم كلام على الصيد ، لما هو ملك لغيره فى الذبائح ، وكنبات الارض مما لا ينسب لأحد كحشيش البرارى ، وتقدم الكلام على هذا او نحوه فى الهبات ، والله اعلم .

باب

. . . .

باب

فى اللمز والهمز والغمز والمداهنة والمداراة

اللمز : ذكر الانسان بما يعاب به ، وفسره المصنف بانه اظهار فعل الخ ، ويأتى قريباً ويطلق على الاشارة بالعين ، والهمز : أن يعيبه باليد ، وقيل : اللمز أن يعيبه فى حضرته والهمز فى غيبته ، والرمز : الاشارة والايماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين او الفم أو اليد او اللسان ، والغمز : ان ينخسه بيده أو يطعن فيه بها ، وان يشير بالعين والجفن والحاجب . وفى « السؤالات » : الرمز بالرأس والغمز بالعينين واللمز باللسان والهمز باليد والوكز بالأصابع وكلها كبائر قد أعد الله عليها فى القرآن النار ، غير الرمز بالرأس أى اذ ذكر مجرداً عن الوعيد فى قوله تعالى : ﴿ الا رمزاً ﴾ (١) وكلها غير سائغة ولو فى الحلال فيما ذكر عيسى بن سجميمان عن أبى العباس رحمه الله ، وقيل لأعرابى : أتهمز الفارة ؟ يعنى السائل اتهمز الف الفارة ؟ فقال الاعرابى : السنور يهمزها ويعنى أن السنور يخطفها

---

(١) سورة آل عمران : ٤١ .

ذم اللمز والهمز والغمز ، فاللمز باللسان : اظهار فعل لمن جهله على ارادة التنقيص . . . .

بيده ، ويقال : وكزه ضربه ودفعه ووكزه ضربه بجمع يده ، ويقال : ضربه بجمعها على ذقنه ، وفى « الكشاف » : الوكز الدفع باطراف الأصابع ، وقيل : بجمع الكف .

(**ذم اللمز والهمز والغمز**) قال الله تعالى : ﴿ ويل لكل همزة ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مرّوا بهم يتغامزون ﴾ (٢) ، وقال الله تعالى : ﴿ ولا تلمزوا انفسكم ﴾ (٣) ، وقال الله تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطّوعين ﴾ (٤) (**فاللمز باللسان**) قيده باللسان لأنه قد يكون بالعين وكلاهما سواء فى النهى فهو متعلق باللمز ، وقال صاحب الأصل رحمه الله : لا يكون اللمز الا باللسان فالمناسب له أن يجعل باللسان خبراً أول ، وقوله اظهار خبراً ثانياً (**اظهار فعل**) او قول ولعله أراد بالفعل ما يشمله ، ومعنى اظهاره بلسانه ذكره ولو فى غير المتولى اذا كان ذلك مما لا يعنى (**لمن جهله على ارادة التنقيص**) والأولى اسقاط قوله باللسان وقوله لمن جهله فيشمل اللمز بالعين والاظهار لمن لم يجهله لتدخل اليه تنقيصه أو تذكره تنقيصه أو ليعلم انك عالم بما ينقصه ومعنى الاظهار لمن لم يجهله التصريح به ضده أو الرمز بعينه وهذا كما يقال : أخبر عمرو زيداً بكذا مع أن زيداً عالم به قبل الاخبار ومع علم عمرو بعلم زيد به وعلم المتكلم بعلم زيد ، وفى معنى الاظهار باللسان ايضاً : الاظهار باليد أو غيرها او بادامة النظر اليه قصداً

---

(١) سورة الهمزة : ١ .

(٢) سورة المطففين : ٣٠ .

(٣) سورة الحجرات : ١١ .

(٤) سورة التوبة : ٧٩ .

وان بجميل بنسبة فاعله لرثاء ، ويحاذر من همز بيد وغمز بعين ورمز برأس او حاجب ، وان فى مباح ولا عصيان بـه ، . . . . .

حتى يعلم به من يراك تديم النظر ، وان تجيء باحد حتى يراه يفعل او يقول (**وان بجميل بنسبة فاعله لرثاء**) او الشهرة او بطاعة فيهـا خلل لتقنيصه بذلك الخلل (**ويحاذر من همز**) وقوله (**بيد**) بيان وايضاح لمورد الهمز لا احتراز ، وكذا فى قوله : (**وغمز بعين ورمز برأس او حاجب وان فى مباح ولا عصيان به**) اى : بمباح فعل بيد اشارة او بعين او برأس او حاجب ، او الهاء عائدة الى احد ما ذكر اى ايًا ما فعل من همز او غمز او رمز فلا عصيان به فهن فى المباح غير سائغة لكن لا عصيان بهن فى المباح ، ومعنى كونهن غير سائغات انهن مكروهات لا ينبغين وكذا فى الطاعة ، فقد سئل النبى ﷺ : هلا اشرت الينا بقتل فلان ؟ وقال لهم : « هلا قتلتموه ؟ فقال : ما ينبغى لنبى ان تكون له خائنة الاعين » ولعله اراد ان لا يعتاد ذلك ولو جاز فى مباح او طاعة كما اشار لمتنازعين بيده الى القسمة ، واما تنقيص المتولى والموقوف فيه فكبائر ، وكذا فى المتبرأ منه لا من حيث ما يبرأ منه بل بمباح او ما لا منع له فيه على ما مر من الكلام فى غيبته ، قال الله تعالى : ﴿ لا يسخر قوم من قوم ﴾ (١) الآية ، وعنه ﷺ : « ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال : هلم هلم فيجيء بكربه وغمه ، فاذا جاء اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل يفتح له الباب فيقال : هلم هلم فما ياتيه » (٢) .

ودخل المراء فى ذلك وهو الطعن فى كلام الغير لاظهار خلل فيه فى

---

(١) سورة الحجرات : ١١ .

(٢) رواه مسلم .

. . . .

اللفظ أو المعنى أو فى قصد المتكلم مثل أن تقول : هـذا الكلام حق لكن قصدت به ما لا يجوز اذا أردت تحقيره لا النصح أو الزجر ، قال ﷺ : « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها ، ومن حسّن خلقه بنى له فى اعلاها » (١) ، وعن أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ : « ان أول ما عهد الىّ ربى ونهانى عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاةُ الرجل » (٢) ، وعن ابى هريرة عنه ﷺ : « لا يستكمل عبدٌ حقيقة الايمان حتى يذر المراء ، وان كان محقاً » (٣) وعنه ﷺ : « من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله »(٤) ؛ وقال الله تعالى : ﴿ ما يلفظُ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴾ (٥) ولا تتكلم الا ان ظهر الصلاح فى الكلام ولا تتكلم ان شككت فيه فان الكلام يجر الى حرام او مكروه غالباً والسلامة لا يعادلها شىء ، ومتى استوى الكلام وتركه فالسنة تركه ، وعنه ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت » (٦) ، قال أبو موسى : يا رسول الله اىّ المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم الناس من يده ولسانه » (٧) ، وقال عقبة بن عامر : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال :«امسك عليك لسانك وليسك بيتك وابكِ على خطيئتك»(٨)

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابو داود والترمذى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة ق : ١٨ .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه ابو داود .

(٨) رواه ابو داود .

. . . .

وعنه ﷺ : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (١) ، وقال قيس بن ساعدة أو اكثم بن صيفي للآخر : كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟ قال : اكثر من ان تحصر ، وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها ، قال : ما هى ؟ قال : حفظ اللسان .

قال الشافعى : يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها ، وقال : مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ، وانشدوا :

احفظ لسانك ايها الانسان   لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقاءه الشجعان

قال على : اذا تم العقل نقص الكلام ، قال اعرابى : رُبَّ منطق صدع جمعاً وسكوت شعّب صدعاً ، وقيل : الحكمة عشرة أجزاء تسعة فى الصمت والعاشرة فى العزلة ، وعن ابن عيينة : من حرم الخير فليصمت فان حرمها فالموت خير له ، وقال ﷺ لابى ذر : « عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان ، وعون على أمر دينك » (٢) وقال حكيم : من نطق فى غير خير فقد لغا ، ومن نظر فى غير اعتبار فقد سها ، ومن سكت فى غير فكر فقد لها ، وقيل : لو قرأت صحيفتك لاغمدت صحيفتك ، ولو رأيت ما فى ميزانك لختمت على لسانك .

وطال صمت يونس عليه السلام بعد خروجه من بطن الحوت فقيل : الا

---

(١) رواه البيهقى .

(٢) رواه الدارقطنى وابن ماجة .

* * * * * * * * * * * * * *

تتكلم ؟ فقال : الكلام صيّرنى فى بطن الحوت . وقـال حـكيم وعمر بن عبد العزيز : اذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم ، ويقال : من السكوت ما هو ابلغ من الكلام لأن السفيه اذا سكت عنه كان فى اغتمام ، وقيل لرجل : بم سادكم الأحنف ؟ فواله ما كان باكبركم سناً ولا باكثركم مالاً ؟ فقال : بقوة سلطانه على لسانه ، وقيل : الكلمة اسيرة فى وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار فى وثاقها ، واجتمع اربعة ملوك فقال ملك الفرس : ما ندمت على ما لم أقل مرة وندمت على ما قلت مراراً ، ومثله عن داود عليه السلام ، وقال قيصر : انى على رد ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت ، وقال ملك الصين : ما لم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتنى ، وقال ملك الهند : العجب لمن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرّت ، وان لم ترفع لم تنفع .

وجلس بهرام ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فقال : ما احسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ لسانه هذا ما هلك ، وقال علىّ : بكثرة الصمت تكون الهيبة ، وقال عمرو بن العاص : الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع ، وان اكثرت منه قتل ، وقال لقمان لولده : يا بنى اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر انت بحسن صمتك ، يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح : كيف انتنّ ؟ فيقلن : بخير ان تركتنا ، قال الشاعر :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان البلاء موكلٌ بالمنطق

وعنه ﷺ : « كيف يدخل احدكم الجنة مع لسانه ؟ من تكلم فليقل خيراً أو ليصمت ، وان الله تعالى عند لسان كل قائل فليتـّق ربه وليعلم ما يقول »(١)

---

(١) رواه ابن حبان .

والمداهنة وهى : اخفاء ما وجب اظهاره من قبيح وترك النهى حيث يجب

وكان أعرابى يجالس الشعبى ويكثر الصمت فقال له يوماً : مالك لا تتكلم ؟ قال : اسكت فاسلم واسمع فاعلم ، ويقال : انصت للجاهل تزدد حلماً وللعالم تزدد علماً ، ويقال لا شىء اولى بطول حبس من لسان يقصر من الصواب ويسرع الى الجواب ، وقال طاوس : لسانى سبع ان ارسلته اكلنى ، ويقال : اذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك ، وقيل لرجل : اطلت سجن لسانك ؟ فقال : انه غير مامون اذا اطلق ، وقال ﷺ فى بعض خطبه : « ايها الناس الا ادلكم على امرين خفيف مؤنتهما عظيم اجرهمالم يلق الله بمثلهما طول الصمت وحسْن الخلق » والله اعلم .

(**والمداهنة**) مبتدأ خبره قوله لعن فاعلها (**وهى اخفاء ما وجب اظهاره من قبيح وترك النهى**) برفع ترك عطفاً على اخفاء (**حيث يجب**) النهى ومعنى اخفاء ذلك : ترك التصريح لفاعله بتقبيحه أو تحريمه والسكوت كانه لم يفعله ومعنى اظهاره التصريح لفاعله بتقبيحه أو تحريمه ويجوز تقدير مضاف اى اظهار تقبيحه وخرج اخفاء ما وجب اخفاؤه كالستر على من تاب وعدم التعرض له بما فعل لانه تاب قبل ان يتعرض له ، والمراد اخفاء تقبيحه عن فاعله بمعنى عدم تقبيحه عليه أو تحريمه فخرج اخفاءه من غير فاعله فانه واجب ان كان ذكره بحيث يكون غيبة أو نميمة وحرام ان كان ذلك القبيح لخذ مال أو قتل نفس أو ضرب او فعل فى الجسد او نحو ذلك ، كنكاح فاسد وولاية فاسق أمر الامامة أو ما دونها فانه يجب الاخبار ومباح فى غير ذلك ، وهذا الحد غير جامع لانه لا يشمل ترك المنع من الفعل مثل أن يقدر على اهراق خمر أو منع ولده أو طفله أو غيره فاقتصر على النهى ، فان ذلك مداهنة ، والجواب انه أراد التعريف على

. . . .

طريق السلف حيث لا يشترطون فيه ان يكون جامعاً مانعاً او اراد بالنهى : النهى كامل وهو الابطال المطلق بحسب الطاقة والحال فانك اذا نهيت فقد أبطلت العمل المحرم اى أظهرت بطلان جوازه فعل او لم يفعل ، واذا نهيت وأهرقت او منعت او فعلت مثل ذلك فقد ابطلت ، وفى هذا الجواب تكلّف لكن له قرينة تدل له ، وهى قوله : اذا وجب منع الفساد ، وقال السيد : المداهنة ان يرى منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظاً لجناب مرتكبه أو جناب غيره أو لقلة مبالاته بالدين ، وفى « كنز الاسرار » : المداهنة مقابلة الناس بما يحبون من القول ، قال الله تعالى : ﴿ ودّوا لو تدهن فيدهنون ﴾ (١) اى : ودوا لو اثنيت على احوالهم وعبادتهم ويثنون على أحوالك وعبادتك ، وذلك حرام ، وكذا شكر الظالم على ظلمه والمبتدع على بدعته والمبطل على باطله فان ذلك تكثير للظلم وتقرير له ، وقد تباح المداهنة وذلك اذا اتقى بها شر ظالم اذا شكره بالكلمة الخفيفة فانه ما من أحد الا وفيه صفة شكر ولو اخس الناس ، قال ابو موسى الاشعرى : انا لنتبسم فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم ، وقد تكون المداهنة واجبة وذلك اذا كان يتوصل بها الى دفع المحرم الذى لا يدفع الا بها وتكون مندوبة اذا كانت وسيلة الى مندوب ومكروهة اذا كانت وسيلة الى مكروه .

ويقال : المداهنة بذل الدين لأجل الدنيا والمداراة بذل الدنيا لأجل الدين ، والمداراة حلال ، وقال القسطلانى فى المواهب وشرح الهمزية : المداراة بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا ، وفى « القناطر » : المداراة مأمور بها لدفع شر الاشرار وتاليفهم لجز المنافع وكفاية العار وطلب الثار ، قال ابو عبيدة :

---

(١) سورة القلم : ٩ .

• • • • • • • • • • • • • •

لا تكرهوا غوغاءكم فانها ممدة لهياهكم ومطفئة لنيرانكم ، وقال عمرو بن العاص : أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار ، ويقال : لا يستقيم على اخلاقهم بوجه يسلم لك معه دينك ، وقد روى عن بعض مخالقة الناس على اخلاقهم بوجه يسلم لك معه دينك ، وقد روى عن بعض الانبياء انه قال : « يا رب دلنى على عمل يحبنى به الناس واسلم فيما بينى وبينك » قال : « خالق الناس على اخلاقهم : أهل الدنيا باخلاق الدنيا وأهل الآخرة باخلاق الآخرة » واذا سقمت المداراة صارت مداهنة والمداهنــة ، مــداراة الناس على وجه يذهب معه فيه دينك وبعد المداراة لا تثق بعدوك ، وان العداوة اذا استحكمت صارت طبعاً لا تزول ، وانما يدفع بالتالف اظهارها كالنار يدفع بالمــاء احراقها ويستفاد بها انضاجها واحراقها بالطبع لا يزول : قــال الشــاعر :

واذا عجزت عن العدو فداره وامزح له ان المزاح وفــــاق
فالنــار بالمــاء الذى هــو ضــدها تعطى النضاج وطبعها الاحراق

وقال غيره :

اذا بســط العــدو اليك كفـّا ولم تسطع لهــا دفعاً ومنعا
فقبـّلها وعــد لهــا الليالى فان امكنتها يوماً فقطعا

وتطلق المداراة ايضاً على مطلق دفع ما أراد دفعــه او جلب ما اراد جلبه ، اذ فيه دفع ما يكرهه من عدم ما يجلب كما تراه فى عبارة المصنف بعدو المداراة مهموز الالف بعد الراء لانه من الدرء بمعنى الدفع ، وكما تكون المداراة بالاعطاء تكون بالاخذ كما يأتى فى كلام المصنف .

(لعن فاعلها اذ وجب منع الفساد والمنكر) قالوا : ان المداهنين تنزل عليهم اللعنة ، وكان حبر من بنى اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء يعظهم ويذكّرهم بايام الله فرأى بعض بنيه يوماً وقد غمز بعض النساء فقال له : مهلاً يا بنى فسقط من سريره وانقطع نخاعه وهو الخيط الأبيض الذى فى جوف الفقار وأسقطت امرأته وقتل بنوه فأوحى الله عز وجل الى نبى زمانه ان أخبر فلاناً الحبر انى لا أخرج من صلبه صديقاً أبداً ما كان من غضبه لى الا ان قال مهلاً يا بنى ، وفى « القناطر » : انه روى عن أبى عائشة انه قال : دعا الحجاج بفقهاء أهل الكوفة وأهل البصرة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصرى آخر من دخل فقال الحجاج : مرحباً يا أبا سعيد الى الى ، ثم اتى بكرسىّ فجعل الى جنب سريره فجعل الحجاج يذاكرنا اذ ذكرنا علياً فنال منه ونلنا منه مقاربة له وخوفاً من شره ، والحسن ساكت عاضّ على ابهاميه ، فقال له الحجاج : يا أبا سعيد مالى اراك ساكتاً : قال : وما عسيت ان أقول ؛ قال : أخبرنى برأيك فى أبى تراب ، قال : سمعت الله يقول : ﴿ وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ﴾ (١) ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ (٢) فعلىّ ممن هدى الله من أهل الايمان فأقول : هو ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته وأحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان يحصرها عليه ولا يحول بينه وبينها ، ويقال : انه كان لعلى هناة فالله حسيبه ، قال : فسمر وجه الحجاج وتغيّر وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا ، قال عامر الشعبى : فأخذت بيد الحسن وقلت اغضبت الأمير وأوغرت صدره ، قال : اليك عنى يا عامر يقول

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

. . . .

الناس : عامر الشعبى عالم اهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقربه فى رايه ، ويحك يا عامر هلاّ اتقيت الله ان سئلت فصدقت او سكتّ فسلمت قال عامر ، يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم بما فيها ، فان الحسن : فذلك اعظم فى الحجة واشد فى التباعة .

قال : وبعث الحجاج الى الحسن فاتاه فقال له : انت الذى تقول : قاتلهم الله قاتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ، قال : نعم ، قال : ما حملك على هذا ؟ قال : ما اخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيّننّهُ للناس ولا يكتمونه قال : يا حسن امسك لسانك واياك ان يبلغنى عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك .

وذكر ايضا عن عمر بن هبيرة عامل يزيد بن معاوية على الكوفة انه دعا فقهاء الكوفة والبصرة والمدينة والشام وقراءها فجعل يسالهم فكلم عامراً الشعبى فجعل لا يساله عن شيء الا وجد له فيه علما ثم اقبل على الحسن البصرى فساله ثم قال : هما هذان رجل اهل الكوفة يعنى الشعبى ، ورجل اهل البصرة يعنى الحسن ، وأمر الحاجب فاخرج الناس فخلا بالشعبى والحسن فاقبل على الشعبى فقال : يا ابا عمرو انى امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ، وقد بلغنى عن العصابة شيء آخذ به عليهم فامنع طائفة من عطاياهم فاضعه فى بيت المال ، ومن نيتى ان اردّه عليهم فيبلغ امير المؤمنين ذلك فيكتب لى ان لا أرده فلا استطيع ردّ أمره ولا انفاذ كتابه ، وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل على فى هذا تباعة وفى اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت ، قال الشعبى : فقلت : اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطىء ويصيب ، فسرّ بقولى واعجبه ، ورايت البشرى فى وجهه قال : فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال : ما تقول يا ابا سعيد ؟ قال : قد سمعت قول الامير انه يقول : انه أميرُ امير المؤمنين على العراق

. . . .

وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمك حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم ، وحق الرعية لازم لك ، ويحق عليك أن تحيطهم بالنصيحة ، وانى سمعت عبد الرحمن بن حمزة القريشى صاحب النبى ﷺ يقول : « من استرعى رعية فلم يحفظها بالنصيحة حرم عليه الله الجنة (١) » وتقول انما قبضت من عطاياهم ارادة اصلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا الى الطاعة فيبلغ امير المؤمنين انى قبضتها على ذلك النحو فيكتب الى ان لا أرده فلا استطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه ، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين ، والله أحق أن يطاع ، ولا طاعة فى معصية الله ، فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فما وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به ، وما وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه ، يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك ، وتقدم على ربك وتنزل عن عملك ، يا ابن هبيرة ان الله يمنعك من يزيد ، وان يزيد لا يمنعك من الله ، وان امر الله فوق كل امر ، وانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ، وانى احذرك بأس الله الذى لا يرد عن المجرمين ، قال ابن هبيرة : اربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر امير المؤمنين فانه صاحب العلم والحلم وصاحب الفضل ، وانما ولاه أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته ، قال الحسن : يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط ، وعصا بعصا ، والله بالمرصاد . يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك ، وقام ابن هبيرة وقد سمر وجهه وتغير لونه فقال الشعبى : يا أبا سعيد اغضبت الأمير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته ،

---

(١) رواه مسلم .

. . . .

فقال : اليك عنى يا عامر ، قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى اليه ، وكنا أهلاً ان يفعل بنا ذلك ، فما رايت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربى بين المقرف يعنى الهجان ، وما شهدنا مشهداً الا فاز علينا ، وقال لله تعالى وقلنا مقاربة لهواهم .

قال ابو بكر الاندلسى الطرطوشى : لما احتاج المنصور بن أبى عامر ملك الاندلس ان يأخذ ارضاً محبسة ويعاوض عنها خيراً منها ، أحضر الفقهاء فى قصره فافتوا بانه لا يجوز ، فغضب السلطان وارسل اليهم رجلاً من الوزراء مشهوراً بالحدّة والعجلة فقال لهم : يقول لكم الأمير يا مشيخة السوء يا مستحلّين أموال الناس ظلماً يا شهداء الزور وآخذى الرشا وملقنى الخصوم وملقّحى الشرور وملبّسى الامور تباً لكم ولرايكم فهو أعزه الله واقف على فسوقكم قديماً وخيانتكم الامانات ، مغضٍ عليكم صابر حتى احتاج الى دقة نظركم فى حاجة مرة واحدة فى دهره فلم تسعفوا ارادته ما كان هذا ظنه فيكم ، والله لا يبقى رضاكم وليكشفن ستوركم وليناصحنّ الاسلام فيكم ، وافحش عليهم بهذا ونحوه ، فأجابه شيخ منهم ضعيف الثقة فقال : نتوب الى الله مما قاله امير المؤمنين ونساله الاقالة فرد عليهم زعيم القوم محمد بن ابراهيم وكان جلداً صارماً فقال للمتكلم : ممن تتوب يا شيخ السوء : نحن براءة من متابك ، ثم اقبل على الوزير فقال : يا وزير بئس المبلغ انت ، وكل ما نسبته الينا عن امير المؤمنين فهو صفتكم معاشر خَدَمَته ، فانتم الذين تاكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم وتاخذون الرشا وتبغون فى الأرض بغير الحق فاما نحن فليست هذه صفتنا ولا كرامة ولا ينسبها الينا الا متهم فى الديانة فنحن اعلام الهدى وسرج الظلماء ، بنا يتحصن الاسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الأحكام ، وبنا تقوم الفرائض وتثبت الحقوق

. . . .

وتحقن الدماء ، وتستحل الفروج ، فهلا اذ عتب علينـا أمير المؤمنين بشيء لا ذنب فيه علينـا وقال بالغيظ بعض ما قال وأتيت لابلاغنـا سالت باهون وعرضت بانه كاره ففهمنا منك وأجبنـاك بما يصلح به الجواب فكنت كتمت على السلطان ولم تفتش مره فتقمن أن امير المؤمنين لا يتمادى على ذلك الرأى فينا ولا يعتقد هذا المعتقد فى صفتنا وأنه سيراجع بصيرته فى آثارنا وتعزيرنا ، فلو كنا عنده على الحالة التى وصفتها والعياذ بالله من ذلك لبطل عنه كل ما صنعه وعقده من أول الخـلافة الى هذا الوقت ، فما يثبت لـه كتاب من حرب ولا سلم ، ولا شراء ولا بيـع ، ولا صدقة ولا حبس ، ولا هبة ولا عتق ، الى غير ذلك الا بشـهادتنا هذا ما عنـدنا والسـلام ، ثم قاموا منصرفين ، فلم يكادوا يبلغـون باب القصر الا والرسـل تناديهم ارجعوا فادخلوا القصر فتلقاهم الوزراء بالاعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا عما كان من صاحبهم وقالوا لهم : أمير المؤمنين يعتذر اليكم عمـا فرط ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزغته وحمـله على الجفـاء عليكم ويعلمكم أنه نادم على ما كان مستبصر فى تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد أمـر لـكل واحـد منكم بكسوة وصـلة فادعوا لـه وانصرفوا غالبين لا يمسسهم سـوء .

قال الطرطوشى : وروى أن رجلا قال لعبيد الله العمرى : هذا هارون الرشـيد فى الطواف قد أخلى له المسعى فقال له : لا جزاك الله عنى خيراً كلفتنى أمراً كنت عنه غنياً ، ثم جـاء اليه فقال له : يا هـارون ، فلمـا نظـر اليه قال له : لبيـك يا عم ، فقال : كم هاهنـا من خلق ؟ قال لا يحصيهم الا الله ، قال : اعلم أيهـا الرجـل أن كل واحـد منهم يسأل عن خاصـة نفسه وأنت وحدك تسـئل عنهم كلهم انظر كيف تكون ، قال : فبكى هارون الرشـيد وجلس فجعلوا يعطونه منديلا للدموع ثم قال له : والله ان الرجل يسرع فى ماله نفسـه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع فى مال المسلمين ، فيقال : أن هارون الرشيد كان يقـول بعد ذلك انى

. . . .

لأحب ان احج كل عام وما يمنعنى من ذلك الا عبَيْد الله العمرى ، قال ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقرا ﴿ والفجر وليال عشر ـ حتى بلغ ـ ان ربك لبا لمرصاد (١) ﴾ لمن فعل مثل فعلهم فاتق الله يا أمير المؤمنين فان ببابك نيرانا تتاجج لا يعمل فيهـا بكتاب الله ولا بسـنة رسوله ﷺ وأنت مسئول عما اجْترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، أما والله لو علم عمالك أنـه لا يرضيك منهـم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريده ، فقال له سليمان بن مجالد : اسكت فقد غمَمْت أمير المؤمنين ، فقال له عمرو : ويلك يا ابن مجـالد اما كفاك أن أخرت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحـول بينه وبين من أراد نصحه ، اتق الله يا أمير المؤمنين هؤلاء اتخذوك سلّماً الى شهواتهم فانت كالماسك بالقـرن وغيرك يحلب ، وان هؤلاء لن يغنوا عنـك من الله شـيئا .

قال : قال الأوزاعى للمنصور فى بعض كلامه : يا أمير المؤمنين علمت أنه كان بيد رسـول الله ﷺ جريدة يابسـة يستَاك بهـا ويردع المنافقين فأتاه جبريل فقال : « يا محمد هذه الجريدة بيدك قد ملأت قلوبهم رُعْباً » فكيف بمن سـفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم ان المغفـور له ما تقـدم من ذنبه وما تأخـر ، دعا الى القصاص من نفسـه لخدشـة خدشها اعرابياً من غير عمْد ، فقال له جبريل :« ان الله تعالى لم يبعثك جبّاراً تكسْر قرون رعيتك » يا أمير المؤمنين لو ان ذنوباً من النـار صُبّ على ما فى الأرض لأحرقه فكيف بمن يتجرعه ، ولـو أن حلقـة من سـلاسل جهنم

(١) سـورة الفجر : الآيات من ١ ـ الى ـ ١٣ .

. . . .

وُضعت على جبال الدنيا لذابت فكيف بمن يسلك فيها أو يرفعها على عاتقه .

قال سفيان الثورى : ولما حج المهدى قال : لابد لى من سفيان ، فوضع الرصد حول البيت فاخذونى بليل فلما مثلت بين يديه أدنانى فقال لى : نستشيرك فى امرنا فما أمرتنا من شىء صرنا اليه وما نهيتنا عن شىء انتهينا عنه ، فقلت له : كم انفقت فى سفرك هذا ؟ قال : لا ادرى تنفق امناء ووكلاء ، قلت : فما عذرك غداً اذا وقفت بين يدى الله تعالى فسالك عن ذلك ؟ لكن لما حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لغلامه : كم انفقت فى سفرنا هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً : قال ويحك اجحفنا بيت مال المسلمين ، وقام اعرابى بين يدى سليمان بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين انى مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته ، قال : هات يا اعرابى ، قال : انى سأطلق لسانى بما خرست به الألسن فى حق الله وحق امامتك ، انك قد اكتنفتك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فأعظم الناس غبناً يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : أما أنت فقد نصحت وأرجو الله سبحانه أن يعيننا على ما قلدنا ، وقد جردت لسانك وهو سيفك ، قال : أجل يا أمير المؤمنين هو لك لا عليك .

وقال مالك بن أنس : بعث الى ابو جعفر المنصور والى ابن طاوس ، فدخلنا عليه ، فاذا هو جالس على فرش وبين يديه انطاع قد بسطت وجلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق فأومأ الينا أن اجلسا فجلسنا فاطرق عنا طويلا ثم التفت الى ابن طاوس فقال : حدثنى عن

. . . .

ابيــك ، قال : نعم سمعت ابى يقول : قال النبى ﷺ : « ان اشــد الناس عــذابا يوم القيامة رجــل اشركه الله فى ملكه فادخــل عليــه الجــور فى حكمه » فامسك أبو جعفر ساعة ، قال مالك : فضممت ثيابى ان يصيبنى دمــه فامسك ساعة حتى اسودّ ما بينى وبينه ثم قال : يا [بن] طاوس ناولنى هذه الدواة ، فأمسك عنه ، فقال : ما منعك ان تناولنيها ، قال : اخشى أن تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها ، فلما سـمع ذلك قال : قوما عنى ، قال ابن طاوس : ذلك ما كنــا نبغى منــذ اليوم ، قال مالك : فمازلت أعرف لابن طاوس فضله .

وبينما الحجاج جالس فى الحجر اذ دخــل رجــل من اهل الـيَمَن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه فقال : اذا فرغ من طوافه ائتنى به فأتى به فقال : من أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال أفبَلَك علم بمحمد بن يوســف ؟ قال : نعــم ، قال : فاخبرنى عنــه ، قال : لقــد تركتــه أبيض سمينا طويلا عريضا ، قال : ويلك ليس عن هذا اســالك ، فقال : فعمّ ؟ قال : عن ســيرته وطعمته ، قال : اجــور الســيرة واخبث المطعــم واعتى العتــاة على الله تعالى فى أحكامه ، فغضب الحجــاج فقال : ويلك أما علمت انه أخى ؟ قال : بلى ، قال : فانت اما علمت أن الله ربى والله هــو امنــع لى منــك لأخيــك ؟

قال الأصمعى حدثنى رجــل من أهل المدينــة قال : سمعت محمد بن ابراهيم يقول : شهدت أبا جعفر بالمدينــة وهو ينظر فيما بين رجــل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش ، فقالوا لجعفر : اجعــل بيننــا ابن أبى ذؤيب ، فقال أبو جعفر لابن أبى ذؤيب : ما تقــول فى بنى فلان ؟ قال : أشرار من أهل بيت اشرار ، قالوا : سلْه يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد وكان عامله على المدينة ، فقال : ما تقــول فى الحسن

. . . .

ابن زيد ؟ قال : ياخذ بالاحنة ويقضى بالهوى ، قال الحسن وهو حاضر والله لو ساله أمير المؤمنين عن نفسه لرماه بداهية ، قال : ما تقول فيّ ؟ قال : اعفنى ، قال : لابد أن تقول ، قال : لا تعدل فى الرعية ولا تقسم بالتسوية ، قال : فتغير وجه ابى جعفر ، فقام ابراهيم بن محمد ابن على صاحب الموصل فقال : طهرنى بدمه يا أمير المؤمنين ، فقال ابن ابى ذؤيب : اقعد يا بنى فليس فى دم رجل يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له طهور .

ودخل ابو النصر سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل الخليفة فقال له : يا أبا النصر انه تاتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بداً من انفاذها فما ترى ؟ قال : قد اتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فايهما اتبعت كنت من أهله . وروى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل : انما الخطبة بعدها ، فقال له مروان : اترك ذلك يا فلان ، فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال ﷺ : « من رآى منكم منكراً فليغيره بيده ان قدر والا فبلسانه والا فبقلبه » .

وفى « القناطر » عن « الغزالى » ان المهدى لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ فى الطواف نحى له الناس عن البيت فوثب اليه عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه فقال له : انظر ما تصنع من جعلك بهذا احق ممن أتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبين البيت ؟ فنظر فى وجهه وكان يعرفه من مواليهم فقال : عبد الله بن مرزوق ؟ قال نعم فاخذ فجىء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة تشنع عليه فى العامة فجعله فى اصطبل الدواب ليسوس الدواب ، وضموا اليه فرساً

. . . .

عضوضاً سيّء الخلق ليعقره فليتّه الله ثم انهم صيروه في بيت وأخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل البقل فاذن له المهدى فقال : من اخرجك ؟ قال : الذى حبسنى ، فضج المهدى ثم صاح وقال : ما اخلق بنا أن نقتلك ، فرفع اليه عبد الله رأسه يضحك ويقول : لو كنت تملك حياة أو موتاً ، ومازال محبوساً حتى مات المهدى ثم خلوا عنه فرجع الى مكة وقد جعل على نفسه نذراً ان خلصه الله من ايديهم أن ينحر مائة بدنة ، فكان يعمل في ذلك حتى نحرها .

وتنزه هارون المدعو بالرشيد بالدوير ومعه سليمان بن أبى جعفر الهاشمى فقال له هارون : قد كانت لك جارية تغنى فتحسن ، فحثه على مجيئها فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها ، فقال لها : ما شانك ؟ فقالت : ليس هذا عودى ، فقال للخادم ، ائتها به ، فجاء به ، فوافق شيخاً يلقط النوى فقال له : الطريق يا شيخ ، فرفع راسه فرأى العود فاخذه وضرب به الأرض ، فاخذه الخادم ومر به على صاحب الربع فقال له : احتفظ بهذا فانه طلبة أمير المؤمنين ، فقال له صاحب الربع : ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين ؟ فقال : اسمع ما اقول لك ، ثم دخل على هارون الرشيد فاعاد عليه ما فعل ، فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه ، فقال له سليمان ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ؟ ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به في دجلة ، قال : لا ، ولكن نبعث اليه نناظره أولاً ، فجاء الرسول فقال : احب أمير المؤمنين قال : نعم ، قال له : اركب ، قال : لا ، فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر ، فقيل لهارون : قد جاء الشيخ ، فقال للندماء : أى شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل : أو نقوم الى مجلس آخر اصلح ؟ فقاموا الى مجلس آخر صاغرين ليس فيه منكر ، ثم أمر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذى فيه النوى ، فقال له الخادم ، اخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين ، فقال : من هذا عشائى الليلة ، فقال : نحن نعشيك ،

قال : لا حاجة لى فى عشائك ، فقال له هارون : أى شىء تريد ، فقال : فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال : لا أطرحه فدخل فسلم فجلس ، و [قال] : لا سلام على من اذن لى فى الدخول ولم يستأذن ، فقال له هارون : يا شيخ ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وأى شىء صنعت ؟ واستحيى هارون أن يقول كسرت العود ، فلما أكثر عليه قال : انى سمعت آباءك واجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر : ﴿ ان الله يامر بالعدل والاحسان ﴾ الى آخرها ، ورأيت منكراً فغيّرته ، قال : فغيره والله ما قال الا هذا ، فلما خرج أعطى رجلا بدرة وقال له: اتبعه فان رأيته يقول : قلت لامير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا ، وان رأيته لا يكلم أحداً فاعطه البدرة ، ولما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فى الأرض يعالجها ولا يكلم أحداً ، فقال له : قال لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة ، فقال له : قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها ، وقال عند اخراج النواة :

أرى الدنيا لمن هى فى يديه ... هموماً كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت لديه

وفى التقوى من الدنيا بلاغ ... ورزق المرء مبعوث اليه

(**ولا يدارى مسلم**) لا يعطى أمراً دنيوياً كمالاً ليترك معصية بل ينهى وينصح لأنه من حيث أنه مسلم لا يناسب المداراة لأنه يقبل الحق ، فمداراته خطأ من مداريه وفعل للشىء فى غير موضعه ومداراته خيانة له (**أن فعل منقصاً أو مدنساً**) من كبيرة أو صغيرة أو ما لا ينبغى أو ما يكره أو ما يخاف أن يوصل الى بعض ما ذكر كمواضع التهم

ومخالطة الأرذال والسفهاء والقعود معهم فى مجالسهم والأكل فى السوق والطريق . ومن آداب أصحابنا النهى عن الأكل فى السوق والطريق وقدام الناس ، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « الأكل فى السوق دناءة » ، والتدنيس أعظم من التنقيص ولو اكتفى بأحدهما لكان أولى ، ولعله أراد بالمنقص ما ليس بمعصية وبالمدنس المعصية كبيرة أو صغيرة ، وليس فعل الكبيرة معارضة لتسميته مسلما لأنها تسمية بما كان عليه (**فيترك نهيه**) عطف على قوله يدارى عطف مفصل على مجمل ، وهو فى حيز النفى وكأنه قال : فلا يترك نهيه ، ويجوز نصب يترك على أنه فى جواب النفى ، (**ويلام تاركه**) أى تارك النهى للمسلم عما ينقصه أو يدنسه (**لخوف منه**) أى لخوف صادر من التارك ، أى : كان الخوف منه فترك النهى للمسلم الفاعل للمنقص أو المدنس ويجوز تعليقه بخوف فترجع الهاء للمسلم أو الهاء عائد الى المسلم الفاعل للمنقص (**وان على غيره**) أو غير التارك ، وانما يلام مع أنه ترك خوفا على نفسه أو على غيره لأن ذلك الخوف ضعيف ، لأن المسلم ولو صدر منه ما ينقصه أو يدنسه لا يصر عليه ولا يبالغ فى تعدى الحدود لا يقتل ناهيه أو غيره على النهى ولا يضربه ولا يجحف ماله ولا يفعل به فعلا يطرح جاهه به بالكلية كالزنى به وجره بحبل يقاد به ، وهكذا تأولت كلام المصنف رحمه الله . والذى ذكره الشيخ أحمد رحمه الله هو أن اللوم يتوجه على الفاعل لما يدنسه أو ينقصه اذا تركوا نهيه خوفا منه عليهم أو على غيرهم وأنهم ان تركوا نهيه بتضييع منهم فاللوم عليهم ولا يلام هو الا ان فعل فعلا يستحق عليه اللوم ، يعنى فتركوا نهيه لذلك الفعل المانع لهم من أن ينهوه على الفعل الأول ، ولا يلزم الأمر أو النهى اذا كان يوصله الى القتل أو قطع طرفه أو المثلة به أو الضرب المؤلم وان أمر أو نهى مع ذلك فأحسن لأن فيه رفع الدين وتعظيمه وتشجيع الناس على ذلك وكسر جاه الفاسق ، وقد ورد فى الحديث أن ذلك أفضل الجهاد فلا يقال استبقاء نفسه أفضل ، ولعل ذلك اذا رجا أن لا يقتله أو كان فعله يؤثر ولو أدى الى القتل مثل أن يهرق خمره

• • • • • • • • • • • • • •

أو عنده شهادة يؤديها او لبّس على الناس أمر الدين فاوضحه أو نحو ذلك مما له فائدة تفعل ، والا فلا ، مثل ان يعلم انه يشرب هذه الخمر ويقتله ان نهاه ولا يطمع أن يهرقها ، ولا يلزمه الأمر أو النهى ايضاً اذا كان يوصله الى ان تنهب داره أو يجحف بماله أو تسلب ثيابه ، فان أمر أو نهى مع ذلك فهو افضل اذا فدى دينه بدنياه ، ولا يلزم أيضاً اذا كان يوصله الى طرح جاهه بالكلية ، مثل ان يجرّ بحبل فى عنقه أو يسودّ وجهه لأن المروءة مأمور بحفظها شرعاً ، وأما ان خاف زوال بعض المال أو فضلات الجاه فلا يسقط عنه الأمر والنهى مثل ان ينسب للرياء أو الجهل أو الفسق أو النفاق أو يغتاب أو يواجه بغير ذلك ، قال الله تعالى عن لقمان : ﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ﴾ وهذا شأن الأمر والنهى يثاب عليهما ، فلو تركا لذلك لم يبق لأمر أو نهى وجوب ، ولا يلزم الأمر أو النهى اذا كان يؤدى الى ان تضرب أولاده أو أرحامه أو تنهب أموالهم ، وأما ان يشتموا فلا يترك لشتمهم ولا يلزم اذا كان يوصل الى زوال بعض ما يؤدى الى موته كاخذ زاده او لباسه ، ولا يجوز اذا كان يؤدى الى ان يقهر الى أن يزنى به أو يزنى بغيره ، واذا كان يؤدى الى منكر أعظم فالأولى تركه .

واعلم ان ترك النهى عن المنكر الذى هو كبيرة لابد ان يكون كبيرة ، وأما ترك النهى عن الصغيرة أو ما لا يدرى أصغير ام كبير فهو كذلك صغير أو لا يدرى اصغير او كبير ، وقيل : كبيرة أيضاً لورود الآيات والأحاديث وتعظيم امر تارك الأمر أو النهى على الاطلاق ، ومن لم ينه غير المكلف كالصبى والمجنون فقيل : عصى ، وقيل : لا .

واعلم ان الأمر بالمعروف الذى الكلام فى وجوبه هو الأمر بما هو معروف واجب كالصلاة الواجبة والزكاة وصوم رمضان ونفقة من يجب

• • • • • • • • • • • • • • •

نفقته ، وأما المعروف الذى لا يجب فلا يجب الأمر به ، وذكر الشيخ احمد رحمه الله فى كتاب « الألواح » : أن شيخاً رحمه الله اوصى اهل تجديت بعشر خصال من يكنّ فيه فقد فارق الاسلام : الاكل فى الدين ، والمداهنة فى الدين ، وايثار الدنيا على الدين ، وسوء الظن ، وسوء الصحبة ، وسوء الخلق ، وحب الشرف ، وحب الرياسة ، وحب المحمدة ، وتقليد الرجال .

وذكر الشيخ اسماعيل رحمه الله عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « لا تقفن على رجل يقتل او يضرب ظلماً فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » ، وقال ﷺ : « لا ينبغى لامرىء يشهد مقاماً فيه منكر الا ان يتكلم بالحق فانه لن يقدم اجله ولن يؤخره ولن يحرم رزقاً هو له » فمن علم منكراً فى موضع ولا يقدر على انكاره لم يجز له أن يحضر اليه الا لضرورة ولذلك اعتزل قوم حضور المجامع لمنكرات فيها لا يقدرون أن يزيلوها ، وجاوزوا السباع ورضوا باكل البقول فراراً بدينهم ، قال الله تعالى : ﴿ ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ﴾ (١) وكانت الملائكة تصافحهم ويسألون السحاب والسباع اين مرت فتجيبهم . وعن أبى هريرة عنه ﷺ : « من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ، ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها » يعنى ، والله أعلم ، ان يحضر لحاجة ويتفق وقوعها ولا يستطيع انكارها لا ان يحضر قصداً لا لما لابد منه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قيل : يا رسول الله اتهلك قرية وفيها الصالحون ؟ قال : « نعم » ، قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : « بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله عز وجل » ، وعن جابر بن عبد الله : أوحى الله الى ملك من الملائكة « أن اقلّب مدينة كذا على اهلها » قال : « يا ربنا ان فيها عبدك فلان ولم يعصك طرفة عين » قال :

---

(١) سورة الذاريات : ٥١ .

وجـاز لخوف من قطيعة ولابتغاء دعوته وصلته ونحو ذلك مالم يداره على محـــرم

«اقلبها عليه وعليهم فانه لم يتغير وجهه لى قط» ، وعن عائشة رضى الله عنهـا عن النبى ﷺ : « ان الله تعالى عذب أهل قرية فيهـا ثمانية عشر الفا من خيارهم وستون الفا من أشرارهم فقال : يارب هؤلاء الأشرار فما بـال الأخيـار ؟ فقال : انهم لم يغضبوا لغضبى وآكلوهم وشاربوهم » ، وعن بلال بن سعيد : ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها وان أظهرت ولم تغيّر اضرت بالعامة ، قال الله تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا بـه انجينا الذين ينهون عن السـوء ﴾ ، وقال كعـب الأحبـار لأبى مسـلم الخولانى : كيف منزلتك فى قومك ؟ قال : حسـنة ، قال : ان التـوراة تقـول : ان الرجـل اذا امر بالمعـروف ونهى عن المنكر سـاءت منزلته عند قومه ، قال أبو مسـلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم .

والأمر والنهى على الكفاية ، فمن قدر أن ينكر بيده فليفعل كاهراق الخمـر وقتل الخنزير والحبس على الحق ، ومن لم يقدر بيـده فبلسانه ومن لم يقـدر فبقلبه .

(**وجـاز**) ترك نهى المسـلم (**لخـوف من قطيعة ولابتغـاء دعـوته وصلته ونحـو ذلك**) كتعليمه العلم وكتعلمه (**ما لم يداره على محـرم**) وهو المعصية ولو صغيرة ، وذلك مثل أن يتركوا نهيه عن قول آخـذ بـه وهم كارهـون ، أو عن مكروه وكل ما لا يكون ذنباً بحيث لو نهـوه لظهر له بأمارة ما أنهم يريدون شقاقه ، أو يريدون حمية ، أو نحـو ذلك ، وأما المحـرم فيجـب نهى فاعله ولـو أباً أو أماً أو زوجـاً أو سـيداً أو معلماً او سلطاناً ، ولكن نهـى الـوالدين بالوعظ والنصـح باللطف لا بتعنيف أو ضرب أو اظهار أنه برىء منهما أو يحبس كما لا يقيم الحـد على أبيـه أو أمه ، وكما لا يلى قتله وكما لا يقتل بولده ولا يقتص منـه والـده ،

. . . .

وكـذا نهى الزوجة لزوجها والمملوك لسيده . وسئل الحسن عن نهى الولد لوالده فقال : يعظه ما لم يغضب عليه ، فاذا غضب سكت عنه ، واما السلطان فينهى والقصد الانتهاء ، فلينظر الناهى الوجـه الـذى ينهى به . وعن ابن مسعود : جاهدوا الكفار بأيديكم فان لـم تستطيعوا الا ان تكفهروا فى وجوههم فافعلوا ، ولا يجـوز أن يبـحث عن المنكر فان اخبره عدلان بلا بحث فله الدخـول بلا اذن لتغييره ان كان يخفى باستئذانه أو لا يؤذن له .

ونقش فى خاتم لقمان : الستر لمـا عاينت أحسن من اذاعة ما ظننت ، واذا علمت ان فاعل المنكر ينتهى بتلطف فلين به ليحصل له العلم مثل ان يـراه لا يحسن الصـلاة فيقول له : كنـا جهـالاً مثلك فعلّمنا العلماء ، ولا يولـد الانســان عالماً ، ثم يقـول له : افعـل كـذا وكـذا .

وأما الخطأ فى غير الدين فلا ترده عليه فيستفيد ويعاديك الا ان علمت انه يغتنم العلم ، ومن يفعـل المنكر وهو عالم به أو أصر فليخـوف بالله تعالى وتورد عليه الآيات والأخبار فى ذلك ، ومن استهزأ بالحـق والوعظ فليغلظ عليه بالقـول مثل ان يقـول له : يا فاسق يا جاهل يا عـدو الله ، ونحـو ذلك مما هو له اهل ، لا بما ليس فيـه ، وان خاف من ذلك اقتصر عن النهى واظهـار الغضب والاستحقار لـه لمعصيته والاكفهرار فى وجهـه والهجران ، ومن قدر على الانكار باليد فليفعل كاراقة الخمـر وكسر الملاهى وخلع الحـرير عن بدنه ومنعه من الجلوس واخراجه من المسـجد ان كان جنباً بالجـر ، فان كان يخـرج وحده أو ينزع الحـرير وحـده فلا يفعـلْ هـو ، واذا فعل ذلك كما يجـوز فليقتصر على القدر فلا يجـره برجـله أو يقبضه من لحيته الا ان لم يقـدر الا بجـره من رجله ، ويجـوز تهـديد فاعل المنكر بما يجـوز أن يفعل به لا بما لا يجـوز مثل أن يقـول : لأنهبن دارك ، أو لأضربن ولدك ، لأنه ان قاله عن عـزم فحـرام ، أو عن غـيرْ

ولفاعل بر قصد به ربه ان يأخذ من الناس ما بأيديهم ان أعطوه له على ذلك . . . .

عزم فكذب ، ويجوز الضرب باليد والرِّجْل او بالعصا او بالسلاح بقدر الحاجة ان قدر على ذلك ، واحتاج اليه مثل أن يقبض على امرأة أو مال غيره أو خمر او مزمار ، وله أن يقول : خلّ ذلك أو لأضربنّك ، وله ضربه بلا قصد قتل ولا شيء عليه ان أدى الى قتله ، وسواء حق الآدمى وحق الله ، وان احتاج الى الأعوان فليستعن بالمسلمين او من لا يخرج عن رأيه الذى هو حق ، ولا يتقابل الصفّان وذلك غير كبير فى رضى الله تعالى ، وليجتنب فى الأمر والنهى الكبر والعجب بنفسه والرفعة والرياء فان ذلك منكر ، وسبب لأن لا يقبل عنه أمره ونهيه (**ولفاعل بر قصد**) هو (به) بالبر (ربه) اى الله تعالى (**أن يأخذ من الناس ما بأيديهم ان أعطوه له على ذلك**) ولو اكثر مما فعل اى : لأجل ذلك البر قصدوا التقرب الى الله تعالى او قصدوا أن يحبهم أو قصدوا التفرغ للبر واشتغاله به ، وأن لا ينقطع عنه أو غير ذلك اذا كان هو يعمل البر لله لا ليعطى فله أخذ ذلك سواء عطية الأحياء بلا حبس أو عطيتهم بالحبس ، أو عطية الأموات بالحبس والوصايا وغير ذلك ، مثل ان يحبس مال على المؤذن أو الامام أو المعلم أو التلاميذ ، فاذا كان عامل البر يعمله لله فله أخذ ما أعطيه ولو قصد المعطى وجها لا يحل ، واشار بقوله : ان أعطوه له على ذلك الى مفهوم الأولى فانه ان أعطوه لغير ذلك البرّ من الوجه المباح فأولى انه يجوز له قبضه ، وأما ان عمل ليعطى فذلك حرام ولا يحل له أخذ ما أعطى وتوبته أن يرده لمعطيه أو وارثه ان مات أو لفقير او فقراء ان لم يعرفه أو أيس منه .

وبات أبو محمد يمن فى « تمنكرت » فجعل اهل المنزل يخرجون عنه حتى بقى وحده وكان معه رجل غريب ، ولما خرج أهل المنزل بدأ فى القراءة ، وكانت له نغمة وكان حسن الصوت ، ولما سمع أهل

. . . .

« تمنكرت » قراءته جاءوه بالطعـام فابى ان ياكله وقال لصاحبه : ان أردت ان تأكل فكل فلو كانوا يطعمون فى الله لأطعمونا أو"لا" ، وانما لم ياكـل أبو محمد مع أنه قصـد بقراءته وجـه الله احتياطاً وتنزهاً .

والوجه الذى لا يجـوز قصده لمن يعطى لفاعل البر ان يقصـد بعطائه غير وجـه الله مما لا يجـوز مثل أن يقصـد التمتع بسماع صـوت قراءته او اذانه أو ان يكون فى بلده او قبيلته هذا القـارىء او هذا المؤذن أو نحـو ذلك مما ليس تقرباً الى الله ، أو قصـداً الى ابقـاء الدين وظهـوره ، ومن ذلك أن يقصـد بعطائه ان لا ينهـاه او أن يميل اليه فى فتواه أو قضـائه ويعرف ذلك بالدلائل والقرائن ، وقد قال ﷺ : « من أشراط الساعة : بيـع الحكم ، وقطيعة الرحم ، والاستخفاف بالدم ، وكثرة الشرط ، وأن يتخذوا القرآن مزامير يقدمون أحـدهم ليس باقراهـم ولا أفضـل الا ليغنيهم بـه غنـاء » (١) ، وأمر رسـول الله ﷺ بعض عمـاله أو بعض اصحابه أن يتخـذ مؤذناً لا ياخـذ على آذانه أجراً ، وتقـدم كلام فى هذا الشأن فى الاجارات ، قال الشيخ أحمد : كل ما أعطى على تعليم العلم فلا يحـل لـه ، وكذا على خصـال الطاعات مثل الأذان ، وعلى أن يجتهد فى طلب العلم أو أن ينزع قطاطى شعر رأسـه أو أن يفعل شيئاً من الطاعات أو على أن يحج به ، وقيل : ان لم يرد بهبته ما ذكرنا فلا باس بهـا ، وأن ذكـره وحـرم الأكل على الانسان بالدين أعطى له على عمله أو عمل غيره أو حرمة دينة ، وقد روى : انه ﷺ استعمل رجلاً" فجـاء فقال : هذا لى وهذا لى وهذا لكم ، فغضب رسول الله ﷺ فقال : « ما بالُ الرجـل نستعمله على عمل من أعمالنا فيقـول : هذا لكم وهذا اهدى لنـا افلا قعـد فى بيت أبيـه

---

(١) رواه الترمذى .

. . . .

وأمه وينظر هل يهدى له » (١) . قال أبو بكر الطرطوشى : قال مالك : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشاطر العمال فيأخذ نصف أموالهم ، وشاطر أبا هريرة وقال : من أين لك هذا المال ؟ فقال أبو هريرة : دواب تناتجت ، وتجارة تداركت ، فقال : أدِّ الشطر ، وذلك أنه ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن لهم قبلها . وروى مالك عن ابن عمر : أنه اشترى هو وعبيد الله ابلاً فبعث بها الى الحمى فرعت ، فقال عمر : رعيها فى الحمى فشاطرهما ، وشاطر سعد بن أبى وقاص حين قدم من الكوفة ، وذلك ان العامل يعطى لأجل قوته بالامام والمسلمين فهو كالمضارب للمسلمين ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يامر اذا قدم عليه العمال أن يدخلوا نهاراً ولا يدخلوا ليلا كيلا يجتنحوا شيئاً من الأموال ، يعنى انهم يتوهمون أن ما يعطون يكون لهم .

وقال عتاب بن أسيد : والله ما أصبت فى عملى الذى ولاّنى رسول الله ﷺ الا ثوبَيْن معلقين كسوتهما مولاى كيسان . وروى : أن على ابن أبى طالب استعمل أبا مسعود الأنصارى على السواد فرجع الى داره وقد امتلأت ، فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : كذلك يعملون بالرجل اذا استعمل ، قال : كل هؤلاء يريدون أن ياكلوا فى امارتى !! فرجع الى علىّ فقال : لا حاجة لى فى العمل .

قال الشيخ اسماعيل رحمه الله : قال بعض السلف : انما جاء فساد الدين والدنيا من اربعة : عالم فاجر ، وعابد جاهل ، وطالب الدنيا بالدين ، وسلطان جائر ، ويعنى بالدنيا ما يشمل مالها وغيره كالامارة

---

(١) الحديث فى رجل استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمل يدعى : « ابن اللتبية » رواه ابو داود .

. . . .

والجـاه ، قال الشاعر :

وهـل افسـد الدين الا الملو   ك واحبـار سـوء ورهبانهـا

وقال الاوزاعى : اشـتكت النواويس ما تجـد من نتن جيف الكفار ، فاوحى الله تعالى اليهـا : « بطـون علماء السـوء انتن مما تجـدن » ، وانصرف الحسن من مجلسه فحمل اليه رجـل من خراسـان كيماً فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من رقيق البز ، فقال : يا أبا سعيد هـذه نفقة وهذه كسوة ، فقال : عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسى هـذا وقبـل من الناس مثل هـذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له ، وعنـه ﷺ : « علماء هذه الامة رجـلان ، رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخـذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً ، فذلك الـذى يصـلى عليه طير الهواء وحيتان البحـار ودواب الأرض والكرام الكاتبون ، يقدم على الله تعالى يوم لقيـامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ، ورجـل آتاه الله علماً فى الدنيـا فضنّ به على عباد الله ولخـذ به طمعاً واشـترى به ثمناً ياتى يوم القيـامة ملجماً بلجـام من النـار ينادى عليه منـاد على رؤوس الخلائق : هذا فلان بن فلان آتاه الله تعالى علماً فضن به على عبـاد الله ولخـذ بـه طمعاً واشـترى به ثمنـاً فيعذب حتى يفـرغ من حسـاب النـاس » .

واشد من هـذا ما روى أن رجـلا كان يخـدم موسى فجعـل يقـول : حدثنى موسى فاتخذ بذلك مالا كثيراً ففقده موسى عليه السـلام فجعل يسأل عنـه فلا يحسّ له اثراً حتى جاءه رجـل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبـل أسـود ، وفى رواية : جاءه بارنب فى عنقها سلسلة ، فقال له موسى : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم هو هذا الخنزير أو هذه الأرنب ، فقال : « يارب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله بما أصـابه هذا » ، فأوحى الله عز وجل

ولزمه ان كان على عوض ان يفى لهم به والا لزمته تباعة وجازت مداراة مضر بمباح ويدفع بما قدر عليه

اليه : « لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ، ولكنى لخبرك بم صنعت به هذا ، انه كان يطلب الدنيا بالدين » ، وعنه ﷺ : « من طلب علما مما يبتغى به وجه الله على أن يصيب به عرضا من الدنيا لم يجد ريح غرف الجنة يوم القيامة » .

(**ولزمه**) أى : مطلق الآخذ (**ان كان**) الاعطاء له (**على عوض**) يعوضه لمعطيه (**أن يفى**) فاعل لزم (**لهم**) أى لمعطيه (**به**) أى بالعوض (**والا لزمته تباعة**) تباعة ما وصله وتباعة خلف الوعد وهى عليه ولو رَدّ ما وصله وسواء فيما أعطوه وفى العوض المال والعناء وفضل الجاه ولم يذكره الشيخ لدخوله فى العناء لأن من له جاه ينفع بكلامه او كلامه ومشيه والكلام عناء ، وقوله : يفى ، هو من الوفاء ولا همزة بعد يائه ، وان وجد فى نسخة يفىء بهمزة بعدها فهو من الفىء بمعنى الرجوع ، والمعنى أن يرجع اليهم بعوض ما أعطوه ، وتقدم الكلام على هبة الثواب فى محله ، وعن جابر بن زيد رحمه الله : ترك المكافاة من التطفيف أى : فيما جعل له على المكافاة (**وجازت مداراة**) انسان بهمزة فوق الألف لا بالألف مقروءة لأن الهمزة المتحركة لا تقلب الفا (**مضر**) فى الدين أو فى الدنيا (**بمباح**) من مال وكلام وعناء سائر البدن وبمكروه لا بمعصية (**ويدفع بما قدر عليه**) وسواء فى الذى داروه أن يجوز له ما يفعل لكنه مضرة على غيره أو لا يجوز مثل أن يكون له نخل أو أرض أو غيرهما فى الحكم ويعلموا أن ذلك ليس له فى نفس الأمر ، ومثل أن تكون المرأة زوجة له فى ظاهر الأمر وليست زوجة له فى نفس الأمر بالكلية أو لانفساخ النكاح ، وكذا فى العتق ، ومثل أن يأخذ بقول ضعيف أو محجور عليه فيدارى على ترك ذلك ، ومثل المخالف يريد الحكم

. . . .

علينـا بما يجـوز فى مذهبه ولا يجـوز عندنا كما وجـد فى بعض كتبهم غير المعتبرة من جـواز نزع مساجدنا وجعلها لهم وقتلهم لنـا ومنـع بيـع الطعـام ، ولا يوجـد ذلك فى القرآن والسـنة ولا فى كتب سلفهم ، ولا فى كتبهم المعتبرة ، وكمـا اذا قهرونا أن نصـلى خلفهم وهم يدخـلون فيهـا ما يفسـدها أو يصلوها بنجس أو بلا وضـوء ، أو طلبـوا منـا أن نعطيهم الزكاة فللمسلمين نصرهم الله أن يدارئوهم على ذلك بمالهـم وكلامهم وبما قدروا عليه ، ولو اسقط المصنف قوله : ويدفـع بما قـدر عليه لا غنى عنه قوله : بمباح مع ما قبله ، وكأنه ذكره تلويحـا الى أن لهم أن يبلغـوا طاقتهم فى الدفع بما ذكـرنا من المـال وغيره ، أو تلويحاً الى انه يجـوز لهم قتاله على الحـق ولو ضعفوا ، وكان ابو تغلى رجـلا جبـاراً سمع قراءة العزابة فى غـار اجلو الشرقى فقال : ما هذه البدعة ؟ فوصـل قوله أبا عبد الله محمد بن بكر فاستعمل قصعة من طعـام طيب ومنـادل حسانا وبطة مملوءة زيتـاً فارسـلها اليـه فقال له : امسكها هى لك ، فجلس غدا فى موضعه فسمع قراءتهم فقال ما فى هذه البـلاد الا كلام ابن بكر ومن كره فهذا فى قلبه ، لرمـح فى يده .

والرشوة لرفع ظلم أو دفع جور جائزة ، قال جابر بن زيد رحمه الله : ما نفعنـا فى أيام زياد الا الرشـا ، وعن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه : الرشـوة تفقأ عين العليم وتصيد الحكيم ، والله بعبـاده خبير ، وكان أبو زكرياء بن أبى مسـور لا يدخـل جبـار جـربة الا أكل طعامه قبـل الناس ، ويطعم مثل ذلك للعـزابة ، وكان يقـول : من زرعـه وحصـده ودرسـه ودراه وطحنه وطبخه واطعمه للمسـودة اتقـاء لشرهم خـير ممن فعل ذلك وأطعمه للمسلمين ، يعنى فى الثواب لعظم حفظ الدين ، ودفـع ضر أشرف أو ظلم وقع ، وكان يقـول : خبزى مرفوع للجبـابرة وقال حكيم : الرشـوة رشـاء الحاجة ، شبهها بحبل تجبذ به الحاجة ، قال الطرطوشى : ومما قلته فى الرشوة :

ولا تحل على ظلم الغير ولا على شهادة بزور أو حكم بجور لطالب حقه وكذا لحاكم علم بذلك حيث لا يحكم بعلمه . . . .

واكرم من يدم الباب شخص ثقيل الحمل مشغول اليدين
ينوء اذا مشى نفساً ونفثاً وينطح بابه بالركبتين
واكرم شافع يمشى عليها ابو المنقوش فوق الصفحتين

قال : ومما قلته ايضاً :

اذا كنت فى حاجة مرسلا وانت بانجازها مقدم
فارسل باكمه خلاته به صمم وعمى وبكم
ودع عنك كل رسول سوى رسول يقال له الدرهم

(**ولا تحل**) المداراة أى : مطلق المعالجة (**على ظلم الغير**) فى ماله أو بدنه أو عرضه وسواء الظلم بالبدن أو باللسان او بالمال وسواء يداريه بماله أو بدنه أو لسانه (**ولا على شهادة بزور**) هى داخلة فى الظلم وخصها بالذكر لعظم شانها ، وذلك أن ينفعه بشىء على أن يظلم غيره أو يشهد عليه بزُور أو أن يكتب شهادة الزور أو على أن يتركه يظلم أو يزور ، ولا يجوز ذلك للمعطى ولا للاخذ أو يشهدوا بما هو فى نفس الأمر حق الا انه لا علم لهم به .

(**أو**) على (**حكم بجور لطالب حقه**) وقد علم الطالب أن الحق له وان لم يعلم أو علم انه ليس له فبالأولى انه لا تجوز المداراة على أن يحكم له به ، (**وكذا**) لا تجوز لك المداراة (**لحاكم علم بذلك**) الحق أنه لك (**حيث لا يحكم بعلمه**) وكل ذلك الاعطاء دعاء الى ما هو معصية وهو

. . . .

شهادة الزور والحكم به والحكم لعلم الحاكم ، وإن اخذ شيئا كان رشوة لانه أخذ على حكم لا يجوز وذلك أن يعلم ان الحق لك ولا بينة لك سواه ، أو لك معه شاهد آخر فاما أن يؤديا شهادتهما عند حاكم آخر فهذا جائز ، واما أن يحكم لك بعلمه حيث لا يجوز أن يحكم بعلمه فهذا لا يجوز له ، ولا يجوز لك ان تداريه على ان يحكم لك بعلمه ولا يجـوز له أخذ ما تعطيه على ذلك ففي « الديوان » : كما مر في محله ، واما ان أعطى الأجرة على ان يشهد له بالزور أو يحكم له بالجور فلا يجوز له ولا للشاهد والحاكم ، ولو علم ان الحق له ، لأن الشاهد او الحاكم لم يعلم أن الحق له فذلك من الحاكم والشاهد جور وزُور" ومن صاحب الحق باطل ، ودخول في صورة الجور والزور ، لأن ذلك في الظاهر جور وزور ولو علم صاحب الحق أن له الحق ولو علم الحاكم أنه له فلا يحكم لـه أيضاً به اذ لا يحـكم بعلمه ولا يحل لهما ذلك ، ولا أخذ شيء على ذلك ، وفي حكم ذلك ان يحكم لـه بشهود لا تجوز فلا يحل له ذلك ولا اخذ شيء عليه ولا يجوز لصاحب الحق أن يدعوه لذلك أو يعطيه على ذلك كشهادة عبيد له أو مشركين أو ابويه ولو علم هو والحاكم أن الحق له ، وان كانت له بينة صحيحة فاعطى مالاً للحاكم على ان يحكم له بها وهي جائزة أيضاً عند الحاكم فلا يجوز للحاكم أخذ مال على ذلك ، ويجوز لصاحب الحق اعطاؤه ان كان ما يعطى كحقه أو أقل ، وان كان أكثر فتضييع" للمال منهي عنه الا لهم مباح مثل أن يحتاج الى عين ذلك الحق أو يبرّ يمينه ، وقد مر ان الذي لا يجـوز للحاكم أن يحكم به من علمه هو ما علمه' قبل أن يكون قاضياً أو بعد ان كان قاضياً علم في منزله أو غير منزله ، وانما يحكم بما علمه في مجلس قضائه ، وقيل : يحكم بما علمه في منزله الذي يقضي فيه ومعنى مجلس القضاء : الموضع الذي يجلس فيـه للقضاء بين الناس ، وقيل : الموضع الذي تحاكما اليـه فيه وان استمسكت امراة برجـل على نفقة وقـد علم الحاكم انها محرمته

ونشـــاهد فى موضـع لا يشـهد به . . . .

او حرمت عليه بوجه ما فلا يثبت الخصومة بينهما وليغلظ عليهما ويهددهما ويرفعهما الى غيره ، وان لم يعلم ذلك فلا يغلظ ولا يهدد ولينصحهما بمـا عنده وكذا فى الاستمساك بالارث ممن لا ارث لهما منه أو استمساكه بالارث ممن لا ارث له منها لوقوع ثلاث تطليقات أو غير ذلك ، وكذا فى استمساكه بها فى زوجية باطلة وكذا فى سائر الأمور ، وكذا فى غير الزوجين ، وكذا اذا اعتق مملوكا فاستمسك أحدهما بالآخر كالنفقة والخدمة ، وان علم أن هذا ابن فلان ولا بيّنة رفعهما لغيره .

(و) كذا لا يجوز لك المداراة (لشاهد فى موضع لا يشهد به) أى فى صورة لا يشهد بها مثل ان يبيع شخص شيئا لآخر او يهبه له ثم قـام عليه من نازعه فيه ولم يكن له من يشهد لـه بالبيع أو الهبة الا بائعه أو واهبه ، فلا يجوز له ان يعطيه الأجرة ليشهد له على البيع أو الهبة لأن الحاكم اذا علم بذلك لا يحكم بشهادته ولو شهد بالحق ، ولا يأخذ الأجرة على ذلك .

ومرّ عن « الديوان » انه لا تجوز شهادة المرء على ما باع ولا على ما وهب ولا على ما اصدق ولا ما استأجر به الأجير ، وما أعطاه فى الحقوق كلها وكل ما اشبه ذلك ، وسواء ماله ومال من ولى أمره اذا علم الحـاكم بذلك ، وان لم يعلم وقضى بشهادته فلا ضمان على الشاهد ، ولكن لا يشهد بذلك وبالأولى انـه لا يضمن الحاكم ، وكذا لا تجوز شهادة الرجل المقارض والأجير لصاحب المال فيما فى أيديهما وتجوز فى غير ذلك ولا شهادة الشريك فيما اشتركه وجازت فى غيره وفى غير مال كالنكاح والعفو وموجب الضرب أو الحبس ، وكذلك لا يداريه ان يتكلم بالشهادة حيث له الاخبار .

وجوزت مداراة حاكم للحكم بما علم وشاهد للشهادة به ورخص وان لم يعلما ولكن لا يؤمرا بحكم بجور وشهادة بزور . . . . . .

(**وجوزت مداراة حاكم للحكم بما علم**) مطلقا لانه حق (**وشاهد للشهادة به**) أى بما علم انه حق ولو فى الصور التى لا يشهد بها ولا يجوز للحاكم اخذ الاجرة على ذلك وكذا الشاهد لانه اكل بالدين ولو جاز لطالب الحق اعطاؤها ، (**ورخص**) لمن علم أن الحق له ان يدارى الحاكم والشاهد أن يحكم له ويشهد له به وكذا بل اولى ان طاوعه ان يحكم له أو يشهد لـه بلا اجرة ، (**وان لم يعلما**) أى الحاكم والشاهد ان الحق له لكن لا يحل لهما ذلك ، ولا اخـذ الاجرة على ذلك لان ذلك باطل وجور وزور عندهما ولو كان حقا للمحكوم لـه فى نفس الامر (**ولكن لا يؤمرا**) أى لا يؤمر الحاكم والشاهد اى لا يامرهما صاحب الحق (**بحكم بجور**) هذا عائد الى الحاكم (**وشهادة بزور**) هذا عائد الى الشاهد لان ذلك أمر بمنكر لا يقل . احكم لى بجور او اشهد لى بزور او احكم لى بكذا أو اشهد لى بكذا ، ولم يصح عندك ، بل يقول للحاكم : احـكم لى فان الحق لى ، وأعطيك كذا ؛ ويقول للشاهد : اشهد لى بكذا فان الحق لى واعطيك كذا ، وليس هذا الكلام ولا اكبر منه يسيغ للحاكم ولا للشاهد أن يحكم ويشهد ، ولا ان يأخذا ما أعطاهما على ذلك ، وانما أفرد الشاهد مع ان الواحـد لا تجوز شهادته ليشمل ما اذا جازت فيه شهادة الواحد ولان الكلام مع هذا الشاهد ، ويفصل ذلك مع شاهد آخر وأيهما فرضته قبلته العبارة ، وليشمل ما اذا كان عنده شاهد يجوز له ان يشهد فيتكلف شاهد آخر والاعطاء على ترك الحكم بعد وقوعه والشهادة بعد وقوعها وترك ايقاع الحكم من أول والشهادة من أول كالاعطاء على الحكم والشهادة حيث جاز وحيث لا يجوز ،

وجازت على طاعة ولو فرضا ولابن على تعلم او عمل نافع له وان لدنياه

أو بلا مال ولا تؤخــذ اجرة على طاعة ورخص بطيب نفس معطيهــا •

وحيث يجوز القبض وحيث لا يجوز وفاقاً وخلافاً رايته •

قال : (**وجازت**) اى المداراة (**على**) كل (**طاعة**) فرضاً كانت او نفلاً ثم (**ولو فرضا**) بمعنى انه يجوز له ان يعطى مالاً لمن يعمــل فرضا او نفلاً بأن يقول : صم او صل أعطك كذا او خذه وصل وكذا العناء وكل نفع ، وكذا تجوز المداراة على ترك المعصية كبيرة او صغيرة ولم يذكره لدخوله فى الطاعة فان ترك المعصية لعلة كونها معصية طاعة فاذا داراه على فعل ما هو طاعة ففعله فصورة فعله طاعة ، واذا داراه على ترك معصية لانها معصية فتركها فصورة تركه اياها طاعة ، نعم اذا لم يظهر له التعليل بانها معصية ولم يعلم العلة مريد المعصية لم يكن تركها بصورة الطاعة •

(و) جازت مداراة الأبوين (**لابن**) أو بنت أو أراد المصنف وصاحب الأصل مطلق الولد ولا عدالة فى ذلك ، ومثل الولد فى ذلك سائر الأقارب ، وكذا الأباعد ، ويغنى عن ذلك كله ما تقدم وما يعلم من جواز المداراة ايضاً على المباح (**على تعلم او عمل نافع له وان لدنياه**) غياً بالدنيا لأن الاصل الجلب للدين ولو غياً بالدين لجاز باعتبار ان الاعطاء للدين داع الى الأكل بالدين أو يقدر ان كان لدينه وان كان لدنياه (**او بلا مال**) وجه التغيى به ان المعتاد الغالب المداراة بالمال (**ولا تؤخذ اجرة على طاعة**) ولو جاز اعطاؤها •

(**ورخص**) فى اخذها (**بطيب نفس معطيها**) بشرط أن لا ينوى

باخذها التعويض على الطاعة والاكل بالدين ولو نوى المعطى التعويض على الطاعة والاكل بالدين وهذا محطّ كلام المصنف ، والقول الأول ان هذا القصد من المعطى يفسد على الآخذ ما يأخذ ولو صفى نيته .

وفى « الأثر » : اجتمع وائل والمعتمر بن عمارة وجماعة الى الربيع فسألوه أن يخرج الى الموسم فقال : لا أقدر ما عندى ما أحتمل به ، قال : فمشوا الى رجل من المسلمين يقال له : النضر بن ميمون ، وكان من تجار الصين ، وكان موسراً فاعلموه بقوله فاتاه باربعين ديناراً ، فقال له : حج بها فلم يقبلها منه ، وكان به خاصاً ، فجاء وائل والمعتمر فقالا له : سبحان الله يا أبا عمرو تعلم حاجـة الناس اليك وكنت اعتللت بانك لا تجـد ما تتحمل به فلما جاءك الله بما ترى تتسع فيه أبيت ان تقبل ، فقال : انه قال لى خذها على ان تحج بها ولست اقبلها على شرط ، قالا فاتيا النضر فاعلماه بما ذكره من قوله فقال : والله ما علمت انه يكره ذلك فالآن خذاها أنتما وادفعاها اليه فأبى ان يقبلها بعد ذلك .

والاصل فى هذا أن ما علق لسبب فهو الى ما علق اليه ، قال الشيخ احمد : ان وهب له شيئاً على ان يفطر به او يشترى به لحماً او يغسل به ثوبه فليجعله فى شرطه والاّ فتباعة عليه ، وقيل بطلت هبته ، وقيل : جازت ويطل الشرط فله أن يفعل بـه ما شاء .

(و) جازت المداراة (**على اخذ حقوق**) كالزكاة والكفارة ودينار الفراش وثمن المبيع والأرش مما لا يعرف ربه وغير ذلك من حقوق الخالق والمخلوق تعطيه مالاً او تنفعه بشىء على ان يقبل منك او من غيرك الزكاة والكفارة او غيرها ، ويجوز له اخذ ما تعطيه على ذلك او تنفعه ويأخذ الزكاة ونحوها سواء كان لك ذلك او لغيرك الا انه لا تدارى من مال غيرك الا برضاه ، (**واعطائها**) مثل ان تعطيه مالاً ولا يحل له الأخذ ، أو تنفعه

بشىء على أن يعطيك او يعطى غيرك زكاة او كفارة او نحوهما ، سواء كانت الزكاة أو نحوها له او لغيره ولا تعطيه مالاً أو تنفعه على ذلك من غيرك الا برضاه ، ولكن لا يحسن له طلب الزكاة والحقوق لنفسه أو لمن يلى امره فضلاً عن ان يعطى فيها مالاً او ينفع فيها ، واما ان يعطيه مالاً او ينفعه على ان يعطى الحقوق هكذا أو الزكاة او غيرها هكذا ولم يقصد أن يعطيه فلا كراهة .

(ولزم الوفاء) باخذ ما أعطى له شىء على أخذه وباعطاء ما أعطى له شىء على اعطائه (والاّ) يف بالاخذ او الاعطاء (فـ) ـعليه (تباعة) فيما اخذه على اخذ الحقوق ولم ياخذها ، أو اعطائها ولم يعطها ، والنفع كالاعطاء ، وغير الحقوق كالحقوق ، مثل اللقطة ودية المجهول وما لا يعرف له رب ، او ايس منه ان أعطى له مال على ان يقبل ذلك أو يعطيه سواء كان بيده فيعطيه أو جعل له امره بيده ليعطيه الفقراء .

(ولا رد) عليه لمعطيه (فى الحكم) ان لم يف ولو لزمه الردّ بينه وبين الله تعالى ، ولا يجوز له من اوّل الامر ان لم يكن فى نيته ان يفى ، وان اخذ على ان لا يفى ثم أراد الوفاء لم يجز له بل يرده لأنه اخذ كما لا يحل ، وأجيز له أن يمسكه ويفى ، وظاهر كلامه انه ان أوفى له صح له ما اعطاه على عمل الطاعة ولو فيما بينه وبين الله ، وهذا ترخيص كما رخص أن تقبل ما أعطيت على طاعة اذا نويت انت انك تعمل ولو لم يعطك .

(وجاز) لمعطيه ان يمسك ما رد اليه ان رده اليه (برضى) منه بأن يرد لمن أعطاه بلا حكم ولو ثقل عليه الرد وكرهه ، ومعنى رضاه بالرد :

ومنع حيث اعطى بطيب نفس وجاز اخذ عطية بمداراة معط ان خيفت قطيعته او ضر يصل منه ان لم تقبل عليه او من غيره ممن • •

انه اراد الرد بلا جبر من الحاكم او بلا حكم وليس المراد انه طابت نفسه بالرد لانه لا يشترط طيبها اذ لا يجوز له الا ان يرد لانه لم يف بالشرط •

(**ومنع**) أى ومنع بعض العلماء المعطى بكسر الطاء ان يرد اليه المعطى بفتحها ويقبل بل ان رد اليه فلا يقبل ولو لم يف المعطى بالفتح (**حيث اعطى**) بالبناء للمفعول وهذه الحيثية تعليلية اى لانه اعطاه ذلك المعطى (**بطيب نفس**) وذلك امضاء لعطيته وابطال لشرطه ، ووجهه انه أعطاه فى تقوية الدين لان اعطاءه الحقوق او اخذها انفاذ للحكم الشرعى فعطيته له ليعطى الحقوق او يأخذها هبة لوجه الله فلا يرجع فيها ولو اعطاه ليعطيه هو بان قال : خذ هذا لتعطينى الحقوق لان طلبه لنفسه لا يخرج الحق عن كونه حقاً لله الا انه ضعيف اذ طلب لنفسه ، والصحيح الاول لانه لم يعط على تقوية الدين هكذا بل بشرط ، والمؤمنون على شروطهم ، ثم انه لا يجوز للمعطى بالفتح ان يمسك ذلك بل يطرحه لمعطيه أو يوصى له به او يعطيه الا عند مجيز العطية مع ابطال الشرط ، فله امساكه ، وان أعطيته على ان يعطيه لغيرك او لك على نفسه فى حقوق لزمته فالحكم كما ذكره المصنف وذكرته ، فى ذلك كله من الخلاف وجواز الرد ومنعه ، ويجوز حمل كلام المصنف على ذلك كله ايضاً فانك اذا اعطيته ليؤدى على نفسه فقد أوصلته الى اداء الحقوق الواجبة عليه بلين ، لكن ان قصدت أن يرد اليك قضاء منه لدينك عليه ففيه ضعف •

(**وجاز اخذ عطية بمداراة معط ان خيفت قطيعته او ضر يصل منه ان لم تقبل**) عطيته (**عليه**) أى عنه (**او**) خيف ضر او قطيعة (**من غيره ممن**

يتقى ضره وكذا فيما لا يجوز اخذها من معطيها وان خيف من قبل غيره

يتقى ضره) أى جاز لك ان تأخذ عطية من ان أعطاك ولم تقبل منه قطعك أو وصلك ضر منه أو من غيره ممن يعظم ضره فيتأهل لأن لا يتقى فيكون ذلك الأخذ مداراة ، فالمداراة كما تكون بالاعطاء تكون بالأخذ ، وسواء فى ذلك قريبك أو صاحبك أو جارك أو غيرهم أو الأجنب ، وسواء الضر فى الدين أو فى الدنيا فى عرض أو مال أو بدن ، وانما قال : جاز لأنه لا يجب اذ يجوز له ان لا يقبل وان قاتله على القبض قاتله ، وان توجه لافساد ماله فله القتال ، وان لم يقاتل على مال فلا بأس ، وعبّر باتقاء الضر عن عظم الضر لأنه يلزم من عظمه اتقاؤه وان ضعف ضره بحيث يحتمل لم يتأكد القبض ، وكذا ضر المعطى وانما اخبر بجواز ذلك لأنه قد يتوهم انك اذا كرهت عطية احد لم تحل لك ، ولم تدخل ملكك ان قبضتها مع انه ليس كذلك ، وذلك لغير حرمة أو ريبة ، واما الحرام والريبة فلا يحل لك اخذهما بمداراة بالأخذ أو بدونها .

(وكذا فيما لا يجوز اخذها) متعلق بقوله : لا يجوز **(من معطيها)** التشبيه عائد الى انه سواء اكان الخوف من معطيها أم من غيره كما قال **(وان خيف)** ضر أو قطيعة **(من قبل غيره)** وليس تغيّبا بل التقدير ان خيف منه أو من غيره هذا هنا ، وفى الكلام حذف تقديره : وكذا فيما لا يجوز اخذها له من معطيها لا يجوز اخذها لخوف ، وان خيف من قبل غيره ، والتى لا يجوز اخذها هى عطية الحرام والريبة والأكل بالدين والرشوة والعطية على الزنى ، ونحو ذلك ، فكما استوى الخوف من المعطى وخوف من غيره فى المسألة السابقة كذلك يستويان فى مسألة جواز قبول العطية مداراة بالقبول كذلك استوى الخوف من المعطى والخوف من غيره فى مسألة عدم جواز قبول عطية غير جائزة الأخذ لحرمة أو ربا أو على ما لا يجوز

وجاز مناولتها وتبليغها لآخذهـا فيما جاز فيـه اعطاؤهـا لمعطيها ولو حرم اخذها على آخذها وتؤخذ . . . .

عليه كالاكل بالدين وغير ذلك ، وقوله : له متعلق بيجوز ، وكل عطية لا تجوز فلا يجوز اخذها لمن علم انها كذا مما لا يجوز ، ولا لمن ظن أنها كذا مما لا يجوز ، وان ظن فاخذها فهي عليه تباعة ولو جهل انها لا تجوز اذا كان عدم جوازها مما يدرك بالعلم مثل أن يظن أنه اعطاه على المداراة او اعطاه على الرشوة أو على وجه وهو وجه حرام ، فلا يحل له أخذها ولو جهل حرمة ذلك (**وجاز مناولتها**) أى مناولة عطية المداراة بقبضها وحفظها وبيعها وقبض ثمنها والشراء بـه وشرائها لتعطى وجمعها ممن يعطيها وغير ذلك ، (**وتبليغها لآخذها**) وأخذ الأجرة على المناولة المذكورة والتبليغ لآخذها (**فيما جاز فيه اعطاؤها لمعطيها**) مداراة على نفسـه (**ولو حرم اخذها على آخذها**) لأنه كما يجوز اعطاء الانسان اياها من ماله يجوز اخذها ممن يعطيها فيبلغها ، واذا أشكل الأمر رجعوا للجبار القاهر وعملوا بما قال اذ لم يقدروا على منعه وان ردهم لمن هو دونه ولو موحداً ولم يقدروا على الانصاف من هذا الذى هو دونه فهو كالجبار الأول ولو لم يعدل .

(**وتؤخذ**) أى يأخذها المسلمون أو غيرهم قهراً وجبراً ، وقد أشار بعض المشايخ الى الجبار كيف يفعل بهم فيعطونه وذلك انه قال : احبس ماشيتهم على الرعى ، وذلك نظراً لمصلحتهم ، وذلك أنهم كل يوم مر ولم يعطوا ضاعف عليهم الجائر ، وقال قائد المعز بن باديس لأبى زكرياء بن أبى مسور : على ماذا يقدر بنوير لسن ؟ فقال أبو زكرياء : على دينارين فتدم فاعطاهما من عنده ، وفى الدليل والبرهان أن دية العاقلة فى الكتمان لا يلزمك منها شىء ان لم يحكمها الحاكم ، وكذا النوائب لا يلزمك منهـا

وان من مال يتيم او غائب او ارمل ان استقامت على حق لدفع عن أنفسهم واموالهم . . . .

شيء ان لم يطلبوك بها ، وان طلبوك بها لزمك أن تعطى ، وان استثناك الجائر فلا عليك .

قلت : قدم قائد المعز بن باديس الى نهب « جربة » فاعتزل أبو زكرياء ابن يراسن فى الجامع ولم يصبه شيء وقد علم به وأخذ المال من اهل جربة ولم يأخذ منه شيئا بل أمره ان يعتزل هو وعشيرته ، فاعتزل الى المسجد الكبير ، قال فى « الدليل والبرهان » : وأما كل ما يحدثه الناس فى بلادهم من الأسوار والخنادق والحصون فعليك ، وان لم يطالبوك فلا شى عليك ، ويتأخذ الناس عليها كلهم ، وتؤخذ منهم كلهم (**وان من مال يتيم**) أو يتيمة أو مجنون أو مجنونة أو غائب أو غائبة أو أخرس أصم أو خرساء صماء (**او غائب أو**) انسان (**أرمل**) اى فقير محتاج ذكراً كان أو انثى ، وتقدم كلام على ذلك فى الهبات والحقوق .

قال ابن السكيت : الأرامل المساكين رجالاً كانوا أو نساء (**ان استقامت على حق لدفع عن انفسهم واموالهم**) أو عن انفسهم وعن اموالهم بان قهرهم جائر عليها ولم يجدوا عنها بداً ودخلوا فيها بالعدل على الأموال أن كانت على الأموال ، وعلى الأنفس ان كانت عليها ، وعليهما ان كانت عليهما ، وحرم على من تسبب بالزامها جمعها وتناولها ، ولزمه كل مـا اعطوا ، وأنما جاز أن تؤخذ من هـؤلاء لأنها حفظ لأموالهم او ابدانهم أو لهما ، فكيف يلزم غيرهم أن يعطى عنهم ؟ أو كيف يتركون الى ضيعة الأموال أو الأنفس ؟ فاذا كانت على الأموال ولا مال لأحدهم فلا عطاء

وجازت فيها معاملة ما كانت بايدى جامعيهـا قبـــل ان تدفع لآخذيهـا

وكره ترك مـداراة لأحـد على ماله او مـا بيـده بأمانة أو وكالة ٠ ٠

عليه ، وان كانت على الانفس اعطى من لا مـال له ، وينظر فى ذلك الى كـلام الجـائر ان قـال : الزمتها على الأمـوال او على الانفس أو على ذلك كله ٠

(**وجازت فيها معاملة**) بشرائها وتبديلها وغير ذلك (**ما كانت بايدى جامعيها قبل ان تدفع لآخذيها**) وهم الظلمة واعوانهم ووكلاؤهم وخلائفهم ، واذا دفعت لآخذيها فلا تجوز معاملتهم لهم فيها ولا قبولها بالهبة او غيرها ولا حفظها ولا اخذها الا على الحفظ لاصحابها ان طمعوا فى ذلك ، وان أخذوها على الرد فلم يقدروا لزمنهم ، وفى بعض كتب المالكية ما هو نص فيما ذكرت ونصه : ما تقول فيما يباع فى اسواق مصر مما يكون عليهم من القبالات ؛ اتشترى منه شيئا ؟ قـال : لا وكل شىء كان بقبالة فى مصر او سائر البلاد فلا ارى لاحد ان يشتريه ، واراه حراما الا ترى قول ابن القاسم : ومصر قد خبثت لانها قد صارت قبالات كلها ، قال مالك واصحابه : لا يكون هذا الا مع امير جائر لا يترك الناس يفعلون فى مالهم ما شاءوا ا هـ ٠

قلت : وان حل ذلك فى دين مشرك أو غيره كصغرى فخلاف فى جواز معاملته فيه ، وقد مر فى محله ٠

(**وكره ترك مداراة لأحد على ماله او ما بيده بأمانة أو وكالة**) ، ولا

ويضمن ما تلف بتركه وقيل : لا ولا يناول ماله ولا مـا بيده لمن لا يدارى عليه ولا يعطى عليـه خفارة ٠

يضمن ما اعطى عليه منه مداراة وان أعطى من ماله أدرك عليه ان اشهد على الادراك ، أو ما الرهن والوديعة واللقطة ومال القراض والعارية والكراء ونحو ذلك فذلك داخل فى الأمانة ، والحاصل أنه يشمل لفظ الأمانة كل ما بيده لغيره اذا لم يكن فى ضمانه ، واذا كانوا لا يجدون ما لهم الا بمداراة باكثر منها او بمثلها فلا يكره تركها بل يكره المداراة باكثر الا ان كانت حاجتهم فى نفس مالهم أكثر فلا كراهة (**ويضمن ما تلف**) من الأمانات التى عنده (**بتركه**) للمداراة عنها باقل منها ويضمنها كلها لا خصوص ما يبقى منها لو دارى عنها (**وقيل : لا**) يضمن (**ولا يناول ماله ولا ما بيده لمن لا يدارى عليه**) مريد أخذه (**ولا يعطى عليه خفارة**) اى ما يجعل لجائر على أن يمنع اموالهم ممن يأخذها أو أنفسهم من قتل أو ضرب أو حبس ، وتقدم الكلام عليها ، ومن امر غيره أن يعطى عنه المداراة جاز أن يعطيها عنه ويدركها ، وان اعطى على ما بيده من الأمانات من ماله أدرك على أصحابها ، وله أن يأخذ منها بنفسه ، ومن اعطى مال ليس أمانة عنده لوجه الله او على أن لا يدرك او مهملاً فلا يدرك على صاحبه ، وان أعطى على أن يدرك أدرك فيما بينه وبين الله ، وان اشهد على الادراك ادرك فى الحكم ايضاً ، وقيل : يدرك فيه ايضاً ولو بلا اشهاد ، ويصدق فى قوله : اعطيت على الادراك ، وقيل : ايضاً اذا أعطى مهملاً أدرك ، وتقدم فى الحمالة ان من اعطى عن احد ما عليه من دين بلا أمر منه فانه قيل : يدرك وقيل : لا وتقدم فى الجنائز انه ان كفن أحـــداً من ماله أدرك فيما بينه

. . . .

وبين الله ، وان أشهد على الادراك ادرك فى الحكم أيضاً ، وله الأخذ فيما بينه وبين الله من مال الميت ، ومرّ وتقدم أن من نجى من العدو أمانة أو عارية أو نحوهما بالفداء يدرك فيما بينه وبين الله ، ويعد فى الحكم متبرعاً الا ان اشهد على الادراك فيدرك .

خاتمـــة

خاتمـــة

روى : « لا حنث على مغصوب » واجاز عزان فى التقية ما يجوز حال الاضطرار ، ومن اكره على وطء امراة فعلية عقرها ، والكفر ان فعل لا الحد ، ومن اكره على عمل فى مغصوب مما يزيد به فتويته الحل والندم وان ضر فيه صاحبه أو غيره ضمن ، ومن حبس فى مغصوب تيمم بترابه واستجمر به ، وقيل : لا وان خاف من جبار حبساً يموت به لنحو عطش أو يتلف عضوه فله تصويب الكفر بلسانه فقط ، وان خاف اخذ ماله ويبقى ما يقوته وعياله ويرجع الى كفاية فلا يصوبه ، واجاز بعضهم تنجية النفس من القتل بشرب الخمر وأكل الميتة والخنزير وفيه بحث مذكور فى « الشامل » وان طلبه بمال فله ان يفدى بالوديعة ويضمنها لربها ان كان يقتله لأن على المسلم ان يفديه بماله ، وكذا على غير المسلم .

ويجوز التقية على انتقاص منزلته وشتم عرضه ، وقيل : لا ، وللامام التقية ، وقيل : لا ، ومن اجبر على سكنى منزل فله سـكنه وأن يجعـل فيه كل ما يحتـاج اليه أو يحفظه من كتب ومال وغيره ولا ضمان عليه بل على مجبره .

قلت : بل لزمه الا ان غرم المجبر له ، أن ياذن فيه ، ومن قال لمـن لـه جاه عند جائر : كلّمه فى خراجى أعطكه او اكثر او اقل ، فلا يحل لـه أن يأخـذ ، وانما نهى عن المنكر او دفع المنكر .

. . . .

ويجوز أن يعين الكافر فى امتخراج العطاء استبقاء على الرعية ، قيل : ولا يدفع عن مال اليتيم أو الغائب ببعضه قبل ان يغصب لأن الله قادر على ان يزيله .

ولأهل البلد أن يطلبوا الاحسان من الجائر أو عامله لا ان يطلبوه أن يبدله بأقل جوراً منه ولا بأحد معين ، فاذا أجابهم الى ما هو أصلح فلا يمتنعوا منه ، ويجوز ان يقولوا : ولاية فلان أحب الينا من غيره ، وكره بعضهم الانتقال الى بلاد الشرك بالأهل والتجر ، ولم يحرم ذلك حتى يتخذه وطناً ، ومن ذكره جائر بسوء وتكلم أحد بما يقوى غضبه ضمن ، وقيل : لا اذ لم يقصد اغراء والله أعلم واحكم .

باب

هلك راج لعاص على عصيانه ثوابا أو نجاة . . . .

باب

في الرجاء للعاصى

(هلك راج لعاص) عصيانا كبيراً (على عصيانه ثواباً) أخروياً (أو نجاة) من نار الآخرة هالك نفاق ، وعلى بمعنى مع ، أو على أصلها ، والمعنى لعاص مصرّ على عصيانه او ثابت عليه ، وذلك أن يعلم منه كبيرة ويرجو له مع ذلك خير الآخرة على عمل من الخير يعمله أو لا على عمل ، أو يرجو له النجاة من عذاب الآخرة ، فالمراد بالثواب ما من شأنه أن يكون ثوابا للمطيع فرجاه للعاصى هكذا ، أو رجاه له على عمل يعمله ، وأما ان أراد أن للعاصى ثوابا لأجل عصيانه أو نجاة لأجله فذلك شرك ، وان أراد معصية مخصوصة فان اتفقوا على أنها معصية أو نصّ عليها في القرآن أو في المتواتر فشرك أيضاً ، وإلا فنفاق ، وكلام المصنف محتمل لذلك بجعل « على » للتعليل وتعليقها براج فيشمل

أو انقلاعاً من كفر لمنصوص على كفره وموته عليه ولا يرجى خير لهالك

على عصيان شهر به أو يتمنى له وان لم ينص عليه . . . . .

الهلاك الشرك والنفاق ، ويشمل العصيان المعصية الصغيرة والكبيرة على التفصيل المذكور .

وان رجا له خير الدنيا أو النجاة من ضرها لا لمعصيته فلا بأس ، أطلق او اراد الاستدراج ، وان رجا له احدهما لانه عاص ويرى أن المعصية توجب الثواب بذلك بدون قصد استدراج فنفاق ، وان رجا خير الآخرة أو النجاة من ضرها لمنصوص عليه أو مجمع عليه فمشرك (**أو انقلاعا**) أى أوراج انقلاعا اى وراج انقلاعاً أى توبة (**من كفر لمنصوص على كفره و**) على (**موته عليه**) اى على الكفر ، وهذا الكفر شرك لانه رجا لمنصوص على شقائه ، وذلك ان ينص القرآن أو التواتر أو الاجماع على أنه كافر هكذا ، ولا دليل على توبته ، أو ينص ذلك على انه مات كافراً ، فمن رجا انه مات تائبا فهالك هلاك شرك .

(**ولا يرجى خير لهالك**) اى ميت (**على عصيان**) متعلق بهالك أو نعت آخر ، أى : لمكلف ميت مصر او ثابت على عصيان ، واجاز سيبويه نعت الوصف ، وقوله : (**شهر به**) نعت عصيان كما اذا لم يشهر بل عاينه أو قامت به البينة (**أو يتمنى له**) هو فى حيز النفى ، أى ولا يتمنى له ، أو يقدر أن المعنى أيما وقع من رجاء له أو تمنّ لم يجز (**وان لم ينص عليه**) وهذه المسألة تغنى عنها الاولى ، لأن الأولى فى الحى والميت وكانه أراد بالأولى الحى فصور هذه فى الميت ، أو لعله فرض الأولى فى المنصوص عليه ، وعلى هذا فمعنى قوله : وان لم ينص الخ والحال أنه لم ينص ، ومعنى قولهم فى صاحب الكبيرة : هو من أهل النار ، عندى أنه بحسب ما ظهر لى أنه من اهلها لا الجزم بأنه منهم .

وجـاز فيه الشـك انه عند الله على خلاف ما عندنا لا الظن وان لخير ، ولا يتمنى له ولا يجب ورخص لذى كفر وعصـيان بما يستحق بـه ثوابا من الله كالدعـاء له بذلك كخصلة من الايمان لا بالقبـول والنجـاة من الذنـوب . . . .

(وجـاز فيك الشـك انه عنـد الله على خـلاف ما عندنا لا الظن) لأن الظن : ترجيح احد الوجهين الممكنين ، الشـك : ان لا يرجح احدهما على الاخر ثم يجـر الظن **(وان لخـير)** وهو ان يكون صالحا ولا سيما الحسـن لكونه سعيدا عند الله **(ولا يتمنى لـه)** ذلك الخـير الذى هو أن يكون صالحا ولا سيما كونه سعيدا ، **(ولا يحب)** الخير المذكـور ولا سيما حب كونه سعيدا ، **(ورخص)** فيهـا اى فى حب الخير وتمنيـه **(لـذى كفـر وعصيان)** أراد بالكفر الشرك وبالعصـيان كبيرة النفاق **(بما يستحق بـه ثوابا)** اخرويا **(من الله)** لو كان موفيا **(كالدعـاء له بذلك)** اى بما يستحق به ثوابا اخرويا لو كان موفيا بدين الله تعالى ، وسـواء فى ذلك خصلة واحـدة او اثنتـان أو ثلاثة فاكثر لانـه يستحق الجنـة بخصـال كثيرة ولو فرائض مع بقاء واحـدة أو اثنتين فصاعداً ، مثل أن يتمنى له أن يكون يصلى أو يحسن الصـلاة أو يزكى أو يصوم رمضـان او يحب لـه ذلك .

وكذلك يجوز لك أن تدعو لـه بترك معاص معـدودة كالربا والزنى والسرقة ، وأما أن يتمنى أو يحب لـه أن ياتى بالفرائض كلهـا أو ياتى بما لـم يات به فيكون موفياً فلا ، فلو كان يؤدى الفرائض كلهـا الا واحدة لم يجز له تمنيها له او حبهـا لـه ، وكـذا فريضتان أو ثلاثة فصـاعداً **(كخصلة من الايمان)** أراد بالايمـان الأعمـال مطلقا ما يسمى توحيداً وما دونه ، والتشبيه يدخل الخصلتين فصاعداً حتى ينتهى الى حـد يدخل به الجنـة ، فكيف كما مثلت لك ؟ ويدخـل التشبيه أيضاً ترك المعاصى **(لا بالقبـول والنجاة من الذنوب)** اى من المـوت عليهـا ، وأما النجـاة

ويجب حب العذاب الآجل له ويجزى قصد صنف منه لا أن يكره له غــيره
ولـزم أيضاً أن لا يحب له المنـافع الاخروية لا أن تكره له . . .

منهــا من أول فذلك طلب للعصمة كعصمة الملائكة لا يجـوز ولو لمتولى .

(**ويجب حب العذاب الآجل**) عذاب الآخرة (**لــه**) أى لـذى شرك أو عصـيان كبـير لأن ذلك من البراءة ، وهى واجبة ، (**ويجزى قصد صنف منــه**) مثـل أن يحـرق أو يدخـل الزمهـرير أو يبعـث منكوسـاً أو يعطى كتابه بشماله أو من [وراء] ظهره أو يحاسـب حساباً عسيراً ، أو يعذب فى قبره سوى الضمة التى تضم المؤمن والكافر ، وذلك على القول بان الكافر يعذب فى قبره ، وقد يقال : عذاب القبر ان دعى به لـم يجـز عن البراءة ، وانــه يجـوز الدعــاء بعدمه للمتبرأ منــه لحديث جعـل الجريدة على قبر الذى ينم وقبر الذى لا يستبرىء من البـول ليخفف عذابهما ، وان تولى بعض الكافر متصـلا او منفصـلا حيا أو ميتـاً فقـد كفـر ، وان تبرأ من بعض المتولى متصـلا أو منفصلا حيا او ميتـاً فقـد كفـر ، ومن قال للمتولى : رحم الله اصبعك فى الجنة او غيرها من ابعاضه فلا يجزئه الا فى الوجه ، وقيل : فى الرأس ، وكذلك فى الطـلاق والنكاح (**لا أن يكره له غــيره**) أى غير الصنف المذكـور ، بل يقصـده بصنف منه ذاهلا عن غيره فى حقه أو غير عالم لغيره ولو حضر بباله ، وان كره لــه صـنا لم يجـز له ذلك ولم يؤد البراءة حـق الأداء بل ذلك نقض للبراءة الصادرة منه ، مثـل أن يحب لـه الزمهـرير دون الاحـراق أو بالعكس ولا يجزئه أن يحب له المضار الدنيوية .

(**ولزم ايضا أن لا يحب له المنافع الأخروية**) أى اذا أحبت له فقـد كفـر المحب لها (**لا أن تكره له**) أى : لا يلزم أن تكره له بل يجـوز ذهوله

الا ان خطرت على باله ولا يقال لمن لا كبيرة معه : انه من العاصين ويدعى

لطايع بخير أخروى ويحب له . . . .

(الا ان خطرت على بالـه) بان يقـع فى بالـه التردد هـل يستحقها او هل تحب له او هل يجـوز حبهـا له ؟ أو سـال عن شىء من ذلك ، أو سـمع ذكـره أو رآه مكتـوباً فـلا يجـوز حينئذ الا أن يكرههـا له ، ولا يشـك انه يصيب خيراً فى الآخـرة والا كفر ، ويحتمل دخـول السؤال فى قوله : خطرت اى وقعت فى باله بلا سؤال او بسؤال او نحـوه ، وعندى انه لا كفـر بما جهـله من ذلك العقـاب ولـو خطـر له مثل أن يجهل الزمهرير أو عذاب القبر لهم فيخطر بباله فلم يثبته لهم اذ لم يعلم أنهـم يعذّبون به ، لكن ان جهل ذلك وكرهه لهم او صـوّب نافيه أو تبرأ من مثبته لهم لاثبـاته كفر ، ولا يجـوز له ان يكره منافع الآخـرة لمن وقف فيه (ولا يقال لمن لا كبيرة معه) من المتولى والموقوف فيه الفاعلين لصغيرة أو ذنب لا يدرى ما هو صغير أم كبير : (انه من العاصين) او أهل المعصية لأن هذين اللفظين يطلقان عرفاً على المصرين وأصحاب الكبائر ولأنهمـا يفهمان المبالغة فى المعصية فيتوهم السامع الكبيرة ، وهذا أولى مما قيـل أن صاحب الأصل منع ان يقال من أهل المعصية ، لأن المعصية تشمل الكبيرة والصغيرة ، لأنه لو أراد ذلك لقـال : لا يقال انه عاص أو عصى فيفهم منـه بالأولى أنه لا يجـوز من العاصين أو من أهـل المعصية ، وما يقـال ان اسم الفاعل لا يطلق على من فعل مرة غير مسـلم ، ومع ذلك فالأحـوط أن لا يقـال ذلك ايضاً ، لكن ان قاله أعنى قال : عصى أو عاص ، لم يبرأ من القائل لاحتمال كلامه الصغيرة .

(ويدعى لطايع) لله عز وجل موف بفرائضه (بخير أخروى ويحب له

ويتمنى ويرجى وجوباً على كل مكلف كوجوب كره ضرها في عامة المطيعين

ويجزى قصد صنف من خير . . . .

ويتمنى) لـه (**ويرجى**) له (**وجـوبا**) أى : دعـاء وحبـا وتمنيـاً ورجاء ذوات وجوب (**على كل مكلف**) لأن ذلك من الولاية وهى واجبة ، والفاعل الذى ناب عنه المفعـول فى يدعى ويحب ويتمنى ويرجى هـو المكلف ، فاظهره فى قوله : على كل مكلف ، لزيادة البيـان ، ولو أسقط قـوله : على كل مكلف ، لكان معلوما لأن محـــل الوجـــوب المكلـف (**كوجوب كـره ضرها**) أى ضرر الآخرة المدلول عليها بقوله : أخروى ، وفى نسخة : كوجوب كره اضدادها أى أضداد الدعـاء بخير اخروى وحبه وتمنيه ورجائه ، اى : يجب عليه أن يكره عدم الدعـاء والحب والتمنى والرجـاء ، وفيه نظر ، لأن مثل هذا لا يجب مطلقاً بـل اذا خطـر بلا سؤال أو بسؤال أو غيره وجب ، والا اجـزاه ايقاع الدعـاء وما ذكـر مع الذهـول عن كره عدم ذلك ولعـله أراد بالأضـداد الدعـاء بالشر الأخروى وفيه النظر المذكـور (**فى عامة المطيعين**) أى يجب ذلك ، وكره ضر الآخـرة للمطيع الخاص فى جملة المطيعين أى كما يجب فى ولايـة الجملة كما تقول : أكرم زيداً فى جمـلة الناس ، تريد : أكـرم جمـلة الناس وأكرم زيداً منهم ، وقوله فى عامة المطيعين : نعت لمنعوت مطيع أو لمطيع على قول سيبويه بجواز نعت الوصف ، أو أراد ولايـة الجملة (**ويجـزى قصد صنف من خير**) أخروى مثل أن تقول : اللهم حاسـبه حساباً يسـيراً أو حاسب المسلمين حساباً يسـيراً أو شـفع فيهم أو فيـه نبيـك محمد ﷺ أو وفقهم لرضاك أو اسعدهم فى الآخـرة أو اجعلهـم فائزين ، وكذا فى الخاص ، وذلك فى ولاية الجملة أو ولاية المنصوص عليهم تعبد نثاب عليه ، أو تزاد لهم الدرجات بذلك لأن لهم ذلك قطعاً فلا يرجى لهم رجاء بل يقطع ، وفى ولاية الأشخاص غير المنصوص عليهم سعى فى

بلا كـره غيره ولا يجوز حب تلذذ بأكل أو شرب أو نكاح لملك كالدعـاء لـه بـه . . . .

حصـول الخير لهم ونشـاب على ذلك (بلا كـره غيره) اى غـير ذلك الصنف له أو لهم بل ذهل عن غيره ذهولاً أو عن نسـبته اليه أو اليهم او لعدم علمه به مما يجـوز له جهله من صفات الجنـة كتزوج الحـوراء العيناء فيها ، وان كره غيره كفر ولو بجهـل ، وكذا ان تبرأ من مثبتـه أو صوّب نافيه أو فعـل ما يشـبه هذا من الاقترافات ولا يجـزئه فى الولاية حبّ الـخير الدنيوى لمتولاه ، ولا كراهة شر الآخـرة له من غـير أن يستشعر له خيرها ولا يكفى فى الولاية الدعـاء بعدم عـذاب القبر لحديث : غرز الجـريدة .

(ولا يجـوز حب تلذذ بأكل أو شرب) أو نـوم (أو نكاح) أو نحو ذلك مما لا توصـف بـه الملائكة (لمَلَك) بفتـح الميم واللام خصـوصا ولا عموماً (كالدعـاء لـه به) أى بمـا ذكـر ، وكـذا نحوه وكالتمنى والرجـاء لـه بذلك ، فـان الخطـأ فى صفة الملائكة شرك ، وقيـل : لا يحكم بكفره الا ان عمّ ، وذلك أن ولاية الملائكة جملة توحيـد من لم يتولهم أشرك وكذا ولايـة المخصوص منهم اذا علمه كجبريل وميكائيل ، ومما لا يوصفون به التعب والراحـة والبـول والغائط واللحـم والـدم والعظم والشعر والشحم والعطش والـرى والجـوع وضـده ، والشهوة والذكورة والانوثة والجنـون والطفولية والبلوغ الا شـهوة العبـادة لله عز وجل فانهم أبداً مشتهون له ويصلـّون لما ورد فى الحديث : « ان جبريل عليه السلام صلـّى بالنبى ﷺ والنبى ﷺ يصلى بأصحابه » (١) ويحجّون

---

(١) رواه مسلم .

ولا يحب لمسلم مـا لا يوافق طبعـه ولا يدعى لـه بـه وهلك من أحب

لما ثبت فى الحديث انهم قالوا لآدم عليه السلام : « حَجَجْنا هذا البيت قبلك بألفى عام » ويصومون ، ولعل صومهم عبادة لا تقدم لها اجسامهم فى نفسها ولو أنهم لا تلحقهم مشقة ، الا ترى انه يقال : أمر جبريل بالاسراع فى كذا فأسرع حتى انكسرت له ريشة ، فجسمه لم يطق وهو لم تلحقه مشقة أو° لا تلحقهم مشقة الا° فى عبادة تسمّى صوماً ، وانمـا ولاية الملائكـة بالترحم لا بالاستغفار ، ولا بالدعاء بالجنة للتلذذ فيها كتلذذ الآدمى ، وان دعا لهم بزيادة العبادة والدوام عليها فذلك ولاية : وكذا ان دعا لهم بدخول الجنة لا ليتلذذوا فيها بل ليكونوا فى رضى الله ، لأنه ليس فيهـا مسخوط عليه ، فهو جائز اذا لم يوهم السامع التلذذ بما يتلذذ به الآدمى من نحو أكل وشرب ، ويخص جبريل عليـه السلام ، ولا يعذر فى جهله ولا فى ترك ولايته كما لا يعذر فى جملة الملائكة ، ورخص ان لا يلزمه ذلك حتى تقوم الحجة به أو بالجملة ، واما غير جبريل من الأفراد فحتى تقوم به الحجة اجماعاً .

(ولا يحب لمسلم ما لا يوافق طبعه ولا يدعى له به) ولا يرجاه ولا يتمناه ، سواء فى ذلك جملة المسلمين والأشخاص ، وذلك مثل ما هو مكروه او معصية أو يكون سبباً لعجزهم او كسلهم عن العبادة ، ومثل أن يكونوا مغلوبين او جاهلين فذلك كلـه لا يجـوز الدعاء به ولا الرجاء ولا التمنى ولا الحب له .

(وهلك) هلاك نفاق (من أحبّ) نفعاً اخروياً لذوى وقوف عنده

او دعى بنفع اخروى او ضر كذلك لذى وقوف عنده ٠

(**او دعى بنفع اخروى أو ضر كذلك**) اى اخروى (**لذى وقوف عنده**) وفى الدعاء له بشر" الدنيا قولان هل هو براءة يكفر بها أم" لا ؟ وهلك من حيث انه ظلم ، ولا يكره للموقوف فيه نفع الآخرة ولا ضرها ، والتمنى الرجاء كذلك لا يجوزان ، والله أعلم ٠

باب

باب

في وجوب الخوف والرجاء

الخوف هنا الاشفاق من عذاب الله عز وجل ، وضده الأمن ، والرجاء الطمع وضده اليأس ، وهما يثبتان في القلب بعدم الأمن فيه والخوف زاجر عن المعصية للعقاب عليها ، والرجاء داع الى الطاعة للثواب عليها ، وذكر الغزالي : أن الخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن المكروه يناله والخشية نحوه ، لكن تقتضي ضرباً من الاستعظام والمهابة ، وضد الخوف : الجراة ولكن قد يقابل بالأمن لأن الآمن يجترىء على الله سبحانه وتعالى .

ومقدمات الخوف أربع :

الأولى : ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين لهم عليك مظالم وانت مرتهن لم يتبين لك الخلاص .

والثانية : ذكر شدة عقوبة الله تعالى التي لا طاقة لك بها .

والثالثة : ذكر ضعف نفسك عن احتمالها .

والرابعة : ذكر قدرة الله عليك متى شاء وكيف شاء ، والرجاء : ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله تعالى واستراحته الى سعة رحمة الله عز وجل ، وهذا من جملة الخواطر غير معذور للعبد ؛ ورجاء هو معذور وهو تذكر فضل الله تعالى وسعة رحمته ، والمراد التذكر على سبيل الاسترواح وضده الاياس وهو تذكر فوات رحمة الله تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية ، وهذا الرجاء فرض اذ لا سبيل للامتناع من الاياس الا هو ، وكذا الخوف فرض لانه لا سبيل للامتناع من الأمن الا هو .

ومقدمات الرجاء اربع :

الأولى : ذكر سوابق فضله اليك من غير قدم أو شفيع .

والثانية : ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته بحسب فضله وكرمه دون استحقاق بالفعل ، اذ لو كان على حسب الفعل لكان اقل شيء واصغر امر .

الثالثة : تذكر انه يعطى على القليل كثيراً .

الرابعة : ذكر سعة رحمته وسبقه لغضبه وانه الرحمن الرحيم الغنى الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين .

(لزم المكلف الخوف والرجاء) الخوف من غضب الله وعقابه والرجاء لرضى الله وثوابه (بلا حدّ) يعلمه المكلف فيزول عنه الخوف فيكون فى امْن منْ غضب الله وعقابه ، أو يزول عنه الرجاء فييأس من رضاه وثوابه ،

(و) لهما حد (يعلمه الله) اذا وصله المكلف بكسبه كان فى أمن أو فى اياس فى نفس الامر وهو طبق لما علمه منه فى الأزل لا يخالفه ، فباعتبار الازل السعيد فى الأمن والشقى فى الاياس وما زاد على ذلك الحد فهو واجب أيضا لأنه لا يدرى هل وصل الحد ؟ واخفى ذلك ليجتهدوا كما أخفيت ليلة القدر وساعة الاجابة فى الجمعة ، وقيل : الساعة الأخيرة ، والموت وقيام الساعة والذنب الذى يسخط به على العبد والحسنة التى يرضى بها عنه ليجتهدوا فى ترك ما يترك كله ، وفعل الطاعة ، وكذلك أخفى ايضا حدّ برّ الوالدين ولو رضيا عنه لامكان ان يرضيا عنه قبل بلوغ حده ، وكذلك أخفى حد التوبة واخفى حد الوزن ، وأول البلوغ ، وأول وقت الصلاة ، وعن جعفر الصادق : ان الله تعالى خبّأ ثلاثا فى ثلاث : رضاه فى طاعته ، فلا تحقروا منها شيئاً فلعل رضاه فيه ، وغضبه فى معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه ، وخبّأ وليّه فى عباده فلا تحقروا منهم أحداً فلعله ولى الله .

وكذلك أخفى الصلاة الوسطى ، واسمه الأعظم ، وقيام الساعة ، ووقت الموت ، ويجوز أن يكون المعنى بلا غاية يبلغها المكلف فى خوفه ورجائه فيكون قد بلغ ما أوجب الله عليه فيهما ، وانما لم يجعل لهما حداً يعلمه المكلف ليجتهد فى الطاعة وينزجر عن المعاصى أبداً فذلك أصلح له وأوفر فى ثوابه ونجاته ، وانما كان يذكر الخوف والرجاء معاً فى الأحاديث والآثار مع أن ذكر احدهما يكفى لانه لو اقتصر على الخوف لتوهم الخوف الغالب أو الاياس اذ قد يتيقن الانسان بمكره فيطلق عليه الخوف بمعنى انه كرهه ، وتوقع حضوره ، ولو اقتصر على ذكر الرجاء لتوهم الرجاء الغالب او الأمن اذ قد يتيقن الانسان محبوباً فيطلق عليه الرجاء بمعنى انه يحبه ويتمنى وقوعه ، والا فالخوف فيه طرف من الرجاء ، والرجاء فيه طرف من الخوف ،

. . . .

فعليك ايها المكلف بقطع هذه العقبة فى تمام الاحتياط والتحرز وجد الرعاية فانها عقبة دقيقة المسالك خطرة الطريق ، وذلك ان طريقها بين طريقين مَخوفيْن مهلكين ، طريق الأمن وطريق الاياس .

وطريق الخوف والرجاء هو طريق العدل بين الطريقين الجائرين ، فان غلب الرجاء عليك حتى فقدت الخوف البتة وقعت فى طريق الأمن : ﴿ ولا يامن مَكْر الله الا القَوْمُ الخاسرون ﴾ (١) وان غلب الخوف حتى فقدت الرجاء وقعت فى طريق الاياس : ﴿ ولا ييأس من رَوْح الله الا القوم الكافرون ﴾ (٢) فان ركبت طريقاً بين الخوف والرجاء فهو الطريق العدل المستقيم الذى هو سبيل أولياء الله واصفيائه الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنـا خاشعين ﴾ (٣) فهذه ثلاث طرق : طريق الأمن والجرأة ، وطريق الاياس والقنوط ، وطريق الخوف والرجاء ممتد بينهما ، فان ملْت يميناً أو شمالاً بقدم وقعت فى الهلاك وهلكت مع الهالكين ، فلا تنظر الى سعة الرحمـة فقط فتامن ، ولا الى عظم الهيبة والمناقشة فتقنط ، بل خذ منهما معاً فتركب طريق الخوف والرجـاء ، قـال الله تعـالى : ﴿ يدعـون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ (٤) الآية .

ولا يتأتى سلوك هذه الطريق باجتناب المحبوب عند النفس واكتساب

---

(١) سـورة الأعراف : ٩٩ .

(٢) سـورة يوسف : ٨٧ .

(٣) سـورة الأنبياء : ٩٠ .

(٤) سـورة السجدة : ٣٦ .

الطاعة الثقيلة الا بالتحفظ بثلاثة اصول : الاول : ذكر قول الله تعالى فى الترهيب والترغيب ، والثانى : ذكر افعاله فى العفو والاخذ ، والثالث : ذكر جزائه فى المعاد من الثواب والعقاب ، فالترهيب والترغيب كقوله : ﴿ يا عباد فاتقون ـ افحسبتم انما خلقناكم عبثا ﴾ الاية ، ﴿ ايحسب الانسان ان يترك سدى ـ ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ـ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ـ وقدمنا الى ما عملوا من عمل ﴾ الاية ، وقوله تعالى : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ الاية ، ﴿ ومن يغفر الذنوب الا الله ـ غافر الذنب وقابل التوب ـ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ـ كتب ربكم على نفسه الرحمة ـ الاية ـ ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء ـ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ .

وقد يجمع بين الترهيب والترغيب فى آية واحدة تخويفاً فى تامين وتحريكا فى تسكين ، فتكون الطريق عدلاً فلا يذهب العبد فى امن او اياس كقوله تعالى : ﴿ نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم ـ ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ـ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول ـ ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ـ من خشى الرحمن ﴾ فلم يقل الجبار او المنتقم ، واما افعاله مع الخلق فكما روى أن ابليس لعنه الله عبد الله سبحانه وتعالى ثمانين الف عام ولم يترك فيل : موضع قدم الا وسجد فيه لله سجدة ثم ترك له امراً واحداً فطرده من بابه وضرب وجهه بعبادة ثمانين ألف سنة ولعنه الى يوم الدين وأعد له عذاب ابد الابدين وكما طرد آدم عليه السلام صفيه ونبيه الذى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى جواره فأكل اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودى « أن لا يجاورنى من عصانى » وأمر الملائكة الذين حملوا سريره ان يزجروه من سماء الى سماء حتى

أوقعوه الى الأرض ، وكما أن نوحا لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها ﴿ رب ان ابنى من اهلى ﴾ (١) فنودى ﴿ فلا تسالن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين ﴾ (١) وكذا مع غيره من الانبياء ، وكما ان بلعام كان بحيث اذا نظر رأى العرش ومال الى الدنيا ميلة واحدة فسلب المعرفة وجعل كالكلب المطرود ، قال الله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذى ﴾ (١) الخ ، وكان فى اول امره يكون فى مجلسه اثنا عشرة الف محبرة للمتعلمين يكتبون عنه ، وكما ان يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة فى غير موضعها فسجنه فى بطن الحوت فى قعر البحر اربعين يوما وهو ينادى : ﴿ لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ﴾ (٤) فسمعت الملائكة صوته وقالت : الهنا وسيدنا صوت معروف فى موضع مجهول ، فقال تعالى : « ذلك عبدى يونس » فشفعت فيه الملائكة ثم بعد ذلك غير أسمه فقال : ﴿ وذا النون اذ ذهب مغاضبا ﴾ (٥) ثم ذكر نعمته عليه وقال : ﴿ لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ (٦) وقال : ﴿ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴾ (٧) وكما قال لرسول الله ﷺ : ﴿ فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعلمون بصير ﴾ (٨) وكان ﷺ يقول : « شيبتنى هود واخواتها » وقال الله تعالى : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ الى أن من الله الرحمن الرحيم بالغفران فقال :

(١) ســورة هــود : ٤٥ .
(٢) ســورة هــود : ٤٦ .
(٣) ســورة الأعراف : ١٧٥ .
(٤) ســورة الأنبياء : ٨٧ .
(٥) ســورة الأنبياء : ٨٧ .
(٦) ســورة القلم : ٤٩ .
(٧) ســورة الصافات : ١٤٤ .
(٨) ســورة هــود : ١١٢ .

. . . .

﴿ ووضعنا عنك وزْرَكَ الذى انقض ظهْرك ﴾ (١) وقال : ﴿ انا فتحْنا لك فتحاً مبيناً ﴾ (٢) الآية ، وكان يصلى حتى ورمتْ قدماه فيقولون له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخّر ؟ فقال : « افلا اكون عبداً شكورا » (٣) .

وذلك من جانب الترهيب ، واما الرجاء فانه لا احد يعرف غاية رحمة الله أو يحسن وصفها ، فانه الذى يذهب كفْر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة ، قال الله تعالى : ﴿ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ (٤) وانظر الى سَحَرَة فرعون قالوا : آمنا عن صدق قلوبهم فقبلهم وعفا عنهم ، والى أصحاب الكهف : ﴿ قالوا ربنا رب السماوات والأرض ﴾ (٥) فاكرمهم حتى اكرم كلْباً تبعهم ، وذكره فى القرآن ويكون معهم فى الجنة كما كان معهم فى الدنيا ، والى ما رُوى ان الله سبحانه وتعالى قال لموسى عليه السلام فى قارون : « استغاث بك ولم تغثْهُ فوعزّتى لو استغاث بى لأغثْتهُ ولعفوْتُ عنه » وقال ﷺ : « الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » (٦) وعنه ﷺ : « ان الله عز وجل مائة رحمة فواحدة قسمها بين الجن والانس والبهائم فيها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وأخّر منها تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة مع التى فى الدنيا » (٦) فمن أعطانا النعم الظاهرة والباطنة من هذه النعمة الواحدة وبدانا بالاحسان حقيق بان يتم الاحسان فيجعل لنا من التسع والتسعين الحظ

---

(١) سورة الانشراح : ٣ .

(٢) سورة الفتح : ١ .

(٣) رواه ابو داود والترمذى .

(٤) سورة الانفال : ٣٨ .

(٥) سورة الكهف : ١٤ .

(٦) رواه مسلم .

الوافر ، نسال الله ان لا يخيب امالنا ، واما المعاد فكما قال ابن شبرمة : دخلت مع الشعبى على مريض نعوده وعنده رجل يلقنه : لا اله الا الله ، فقال له الشعبى : ارفق به ، فتكلم المريض فقال : ان تلقنى أو لا تلقنى فانى لا ادعهـا ، ثم قرا : ﴿ والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بهـا وأهلها ﴾ (١) ، فقال : الحمد لله الذى نجى صاحبها .

وكما روى أن الفضيل دخل على تلميذ له محتضر وجلس عند رأسه وقرأ سورة « يس » فقال : يا أستاذ لا تقرأ هذه ، فسكت ثم قال له : قل لا اله الا الله ، فقال : لا اقولها انى منها برىء ، ومات على ذلك ، فدخل الفضيل بيته يبكى أربعين يوماً لم يخرج من البيت ، ثم رآه بعد ذلك فى النوم وهو يسحب الى جهنم ، فقال له : باى شىء نزع الله منك المعرفة وكنت أعلم تلاميذى ؟ فقال : بالنميمة بين أصحابى ، وبحسدى لهم ، وبالخمر كانت لى علة فجئت الى الطبيب وسالته عنها فقال : اشرب كل سنة قدحاً من خمر فان لم تفعل تقم بك العلة ، فكنت اشربه .

(**وقد يتفاضل العباد فيهما**) بعض الخلق اعظم خوفاً من بعض ، والملائكة أشد خوفاً وبعدهم الانبياء ، ولعل المراد بالتفاضل أن يكون خوفه ورجاؤه أعظم من خوف غيره ورجائه ، والا فكونُ الخوف او الرجاء اعظم لا يجوز على المشهور ، الا ان جاز كون خوف الملائكة او الانبياء اعظم ، وليس الأولياء الذين يموتون خوفاً باشد خوفاً افضل منهم ولا باشد خوفاً ، ولكن قوّى الله قلوب الانبياء وخوّفهم خوف عقاب ، قال الله تعالى عن

(١) سـورة الفتح : ٢٦ .

ابراهيم عليه السلام : ﴿ واجْنبْنى وبنىّ أن نعبدَ الأصنام ﴾ (١) ورجاؤهم رجاء ثواب ، قال الله تعالى : ﴿ والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ــ الى أن قال : واجْعلنى من ورثة جنّة النعيم ﴾ (٢) لأن الخوف والرجاء عبادة تعبد الله بها المكلفين كالصلاة والصوم ولزمـا المكلف ، ولو علم انه من أهل الجنة أو من أهل النار أعاذنا الله منها ، ولكون الخوف والرجاء عبادة كالصلاة كلف بها من علم مصيره كالأنبياء وبعض الصحابة ، والمناسب لهذا أن يكون خوف الأنبياء ونحوهم خوف اجلال ، وقد قيل : خوفهم خوف اجلال ورجاء رحمة ، وقيل : خوف ملامة وطول حساب ، ويجوز أن يكونوا أوّلاً خائفين خوف عقاب ثم اذا وصلوا الحد المعلوم عند الله تعالى أخبرهم انهم من أهل الجنة فيخافون بعد ذلك خوف اجلال ، ولعل معنى قول الشيخ أحمد : ولا يعملون فيهما الا الواجب أن العباد ولو تفاضلوا فى الخوف والرجاء وبلغ أحد فيهما ما بلغ فانه لا يخرج عن الحد الواجب لأنهما واجبان عليه ما دام حياً ، ولا يظهر له حد ينتهى اليه فيها أبداً فى الوجوب ، وذلك بتقديم الميم على اللام ، وأما بتأخيرها فلعل الأصل لا يعلمون فيهما حدّ الواجب فحرّفه ناسخٌ .

(وبلا ميْل لا يأس أو أمن) قال الغزالى فى كتاب له سماه «العقبات»: لقد قيل ان من غلب عليه الرجاء صار مرجياً ، ومن غلب عليـه الخوف صار حر ورياً ، ولعل قائل ذلك أراد بالحرورى : أهل حروراء الذين هم من الصفرية لا أصحابنا رضى الله عنهم ، لأنا لا نقول : كل ذنب أو كل كبيرة شرك كما تقوله الصفرية ، قال : والمراد أن لا ينفرد المكلف بأحدهما والا فان الرجـاء الحقيقى لا ينفك عن الخوف الحقيقى ، والخوف الحقيقى

---

(١) سـورة ابراهيم : ٣٥ .

(٢) سـورة الشعراء : ٨٢ ــ ٨٥ .

وموجبات الرجاء : الفروض ، والخوف : الذنوب وجهل المصير معهما وهلك من رجح وان فى حـال لا يعلم لنفسـه ذنبا او فى حـال معصية • •

لا ينفك عن الرجاء الحقيقى ، ولذلك قيل : الرجاء كله لأهل الخوف الا الأمن ، والخوف كله لأهل الرجـاء الا الايأس •

(**وموجبات الرجاء : الفروض**) أو مع التنفل يرجو قبولها والثواب عليها ؛ (**و**) موجبات (**الخوف : الذنوب**) يخاف العقاب عليها وبطلان أعماله الصالحة بها ، وذلك على اطلاقه ، وقيل : ان الفرائض التى ليست محدودة كبر الآباء والندم على الذنوب وجهل الصغائر توجب الخوف ان يعاقب ان لم يات بالحـد الواجب ، ويثاب ان اتى به ، والمعصية التى لا يدرى ما هى يخاف ان تكون كبيرة فيعاقب او صغيرة فتغفر له ان اجتنب الكبائر (**وجهل المصير**) يخاف ان يموت مصراً او غير مقبول التوبة فيصير الى النار (**معهما**) اى : مع النوعين نوع الذنوب ونوع الفروض ، لا يدرى لعله لم يصل الحد الواجب فى أداء الفرض أو فى التوبة ، او الضمير عائد الى الخوف والرجاء ، قال فى « القواعد » : ويثبتان ايضا بجهل المصير وعاقبة الخاتمة ، وبجهل قبول التوبة اذا تاب من ذنب اقترفه ، يعنى يثبت الرجاء والخوف •

(**وهلك من رجّح**) الخوف او الرجاء هلاك نفاق (**وان فى حـال لا يعلم لنفسه ذنبا او فى حال معصية**) يخاف الموت عليها ، والعقاب عليها ، ويرجو الانقلاع والتوفيق للأعمال الصالحات فيثاب عليها ، وعلى ما سبق تلك المعصية من العبادة •

(ورخص) ان لا يهلك (ما لم ينعر من احدهما) اى : الخوف والرجاء لكن اذا انعرى من احدهما لم يبق اسم الآخر ، فاذا لم يكن خوف لم يبق رجاء بل امن ، واذا لم يكن رجاء لم يبق خوف بل اياس ، وعن بعض العلماء : اذا احتضر المؤمن فالأولى ان يميل الى الرجاء كما قال حذيفة عند احتضاره : اللهم انك امرتنا ان نعدل بين الخوف والرجاء فالآن الرجاء فيك امثل ، قال لقمان لابنه : يا بنى كن ذا قلبين ، قلب تخاف الله به خوفا لا يخالطه تقنيط ، وقلب ترجو الله به رجاء لا يخالطه تغرير ، وعن رسول الله ﷺ : « لو وُزِنَ خوف المؤمن ورجاؤه بميزان طريس — اى محكم — ما زاد احدهما على الآخر » (١) وقال الغزالى فى « العقبات »: العبد اذا كان قويا صحيحا فالخوف اولى به ، واذا مرض وضعف ولا سيما من اشرف على الآخرة ، فالرجاء اولى به لما روى ان الله تعالى يقول : « انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى » فيصير رجاؤهم اولى فى ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم من الصحة والقوة والامكان ، ولذلك يقال لهم : ﴿ الا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ (٢) وان قلت اليئست قد جاءت الاخبار الكثيرة فى حسن الظن بالله عز وجل والترغيب فى ذلك ؟ فاعلم ان من حسن الظن بالله الحذر من معصيته ، والخوف من عقابه ، والاجتهاد فى خدمته ، واعلم ان ها هنا اصلا اصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من الناس وهو الفرق بين الرجاء والامنية ، فالرجاء يكون على اصل والامنية على غير اصل ، مثاله ان يزرع [احد] ويجتهد ببذر فيقول : ارجو ان يحصل لى منه مائة قفيز فذلك رجاؤه ، وآخر لا يزرع واذا جاء وقت الحصاد

---

(١) رواه البيهقى .

(٢) سورة فصلت : ٣٠ .

. . . .

قال : ارجو أن يحصل لى مائة قفيز ، فيقال : من اين لك هـذا الرجاء ولم تقدّم اسبابه ؟ فكذلك من اجتهد فى العبادة لله عز وجل وترك المعاصى فانه يقول : أرجو ان يتقبل الله عز وجل هذا اليسير ، ويتم هذا التقصير ، ويعظم الثواب ، ويعفو عن الزلل ، واحسن الظن به ، فهذا منه رجاء ، واما ان ترك الطاعة وعصى ولم يبال بالوعيد وقال : أرجو الجنة والنجاة من النار فذلك امنية لا حاصل لها سمّاها رجاء وحسن ظن ، وذلك خطأ وضلال كما قال ﷺ : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتّبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) وفى ذلك يقول الحسن البصرى : ان قوماً الفتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة ، يقول احدهم : انى أحسن الظن بربى وكذب ، لو احسن الظن به لأحسن العمل له ، وقرأ : ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ﴾ (٢) الآية ؛ وفسر القرطبى حسن الظن بالله ان يطمع فى مغفرة الله وينبغى أن يكون ذلك غالبا عليه عند الموت ، وعن ابن عباس : اذا رايتم بالرجل الموت فبشّروه ليلقى رب وهو حسن الظن بالله ، وتحقيق ذلك عندى أن لا يميل للخوف ، وان مال للرجاء عند الموت جاز ، وروى عنه ﷺ : « ثمن الجنة حسن الظن بالله » (٣) ، قال بعضهم : رأيت ابا ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه فقلت له : يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب ، وقال : هل رايت ما يدل على القنوط : ﴿ ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٤) فأبكانى قوله ، واذا بلغ المكلف الحد الذى يؤدى به ما عليه فى نفس الأمر عند الله من الخوف والرجاء وجاوز احدهما الى الآخر فلا يعصى بذلك لأنه

---

(١) رواه مسلم وابو داود .

(٢) سـورة فصلت : ٢٢ .

(٣) رواه الترمذى وابن حبان .

(٤) سـورة الاعراف : ٥٦ .

لا يعلم انه قد بلغ الحد الذى يؤدى به .

(و) الخوف والرجاء هما (**أمران متغايران يجتمعان وقد يرتفعان**) أى : يزولان معاً كالآيس وكامن المكر فان كلاً منهما غير خائف ولا راج بل جازم ، وكالذاهل والنائم والمجنون فان هؤلاء لا خائفون ولا راجون (**أو**) يزول (**أحدهما**) ويبقى الآخر وينظر كيف يخاف ولا يرجو ، أو يرجو ولا يخاف ، فانهما متلازمان ، أو لو لم يخف لما قيل رجا ولو لم يرج لما قيل خاف ، وتقدم كلام فى ذلك ، وأراد بالمتغايرين الخلافين كالضحك والكلام ، فان الخلافين يجتمعان ويرتفعان ويوجد كل منهما دون الآخر ، فالتقابل بين الخوف والرجاء تقابل التضاد *

قال السنوسى : أنواع المنافاة أربعة : تنافى النقيضين ، وتنافى العدم والملكة اى بضم الميم واسكان اللام ، وهى الوجـود ، وتنافى الضدين ، وتنافى المتضايفين ، فكل نوع من هذه الأنواع لا يمكن فيـه الاجتماع بين الطرفين ، أما النقيضان فهما ثبوت أمر ونفيه كثبوت الحركة ونفيها ، وأما العدم والملكة : فهما ثبوت أمر ونفيه عمّا من شأنه أن يتصف به كالبصر والعمى ، فالبصر وجودى والعمى عدمه ، عما من شأنه أن يتصف به ، فلا يقال فى الحائط : أعمى ، وبهذا فارق هذا النوع النقيضين ، فان كلاً من النوعين ثبوت أمر ونفيه ، لكن النفى فى تقابل العدم والملكة مقيد بنفى الملكة عما من شأنه أن يتصف بها ، وفى النقيضين لا يتقيد بذلك ، وأمـا الضدان فهما الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ، ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ، كالبياض والسواد ، والمراد بغاية الخلاف التنافى بينهما بحيث لا يصح اجتماعهما ، بخلاف البياض مع الحركة فانهما أمران وجوديان مختلفان فى الحقيقة ، لكن ليس بينهما غاية الخلاف التى هى التنافى لصحة اجتماعهما اذ يمكن ان يكون المحل الواحد متحركاً أبيض ،

واما المتضايفان فهما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخـلاف ، ويتوقف احدهما على تعقل الاخر كالابوة والبنوة ، والمراد بالوجود فى المتضايفين ان كلا منهما ليس معناه عدم كذا لانهما وجوديان فى الخارج ، اذ معلوم عند المحققين ان الابوة والبنوة امران لا وجود لهما فى الخـارج عن الذهن ، واهل الاصـول يجعلون اقسـام المنافاة اثنين فقط : تنافى النقيضين ، وتنافى الضدين ، ويجعلون العدم والملكة داخلين فى النقيضين ، والمتضايفين داخلين فى الضدين ، ولهذا يقولون : المعلومات منحصرات فى اربعة : المثلين ، والضدين ، والخلافين ، والنقيضين ، لان المعلومين ان امكن اجتماعهما فهما الخلافان ، وان لم يمكن ولم يمكن ارتفاعهما فهما النقيضان ، وان امكن مع ذلك ارتفاعهما فاما ان يختلفا فى الحقيقة ام لا : الاول الضدان والثانى المثلان ، فخرج من هذا ان القسم الاول من هـذه الاقسام الخلافان ، وهما يجتمعان ويرتفعان كالكلام والقعود ، والثانى : النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كوجود زيد وعدمه ، والثالث : الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالحركة والسكون فانهما لا يجتمعان وقد يرتفعان بعدم محلهما ، والرابع المثلان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالبياض والسواد ، واحتج من قال ان المثلين لا يجتمعان بأن المحل لو قبل المثلين لجاز وجود احدهما فى المحل مع انتفاء الاخر فيخلفه ضده فيجتمع الضدان .

(**وحرم**) على المكلف (**الخوف للمسلمين**) هكذا (**والرجاء للكافرين**) هكذا لأن المسلمين عند الله ما لهم الا الجنة ، والكافرين عنده تعالى ما لهم الا النار ، لقوله تعالى فى القرآن من ان للمؤمنين الجنة وللكافرين النار : ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى ﴾ (١) الآية ،

(١) سـورة السجدة : ١٩ .

كالمنصوص عليه من كل ولا يلزم خوف لذوى وقوف ولا رجاء ولا يخاف لطفل مطلقاً ويرجى لولد مسلم ومن رجا لطفل غيره لا يعصى به • •

والنار وعدها الله الذين كفروا ﴾ ونحو ذلك (**كالمنصوص عليه من كل**) من النوعين نوع المسلمين ونوع الكافرين فانه يحرم على المكلف الخوف لمن نص عليه انه مسلم ، ويحرم الرجاء لمن نص عليه انه كافر وسواء فى ذلك النص بالاسم الموضوع له او بالصفة وحدها نحو : ﴿ وقال الذى آمن ﴾ (١) ومثل : ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا ﴾ (٢) الآية ، ويجوز ان يخاف على المسلم غير المنصوص عليه أن يكون معه فيما بينه وبين الله ما يستوجب به النار ، او أن ينتقل عما كان عليه من الايمان والوفاء •

(**ولا يلزم خوف لذوى وقوف ولا رجاء**) فان خاف له ورجا فلا اثم عليـه ما لم يجب له الثواب أو العقاب (**ولا يخاف لطفل مطلقاً**) طفل الموقوف فيه أو طفل الكافر وطفل المسلم ، ومن زعم أن اطفال الكافرين فى النار أو يختبرون يوم القيامة فانه يخاف عليهم ، ويجوز ان يريد بالاطلاق : الاحتراز عن أن يخاف أن يبلغوا ويكفروا ، (**ويرجى لولد مسلم**) مات الطفل أو حيى ولكن ان حيى فله الخوف لجواز ان يبلغ ، بل ان مات غير بالغ امكن الخوف من حيث ان اباه بالغ يخاف لـه ، وليس ذلك ان تخاف النار لطفل مات •

(**ومن رجا لطفل غيره**) اى : غـير المسلم ويخاف ان يبلغ فيكفر (**لا يعصى به**) على القول بأن اطفال الكفار فى الولاية ، بل ان رجالهم ولم يحب لهم الثواب فلا باس مطلقاً كما مر فى الموقوف فيه ، سواء قلنـا

---

(١) سـورة غافر : ٣٧ •

(٢) سـورة الكهف : ٦٥ •

وقيل بالوقف ، وجاز خوف من مضار الدنيا ورجاء منافعها ما لم يسأ

الظن بالله تعالى أو يحتم وقوعها او عدمه وان من انسان ما لم ينفيا

بالوقوف فى أطفالهم أو بالبراءة ، وكذا ان خيف ولم يجب لهم العقاب (**وقيل : بالوقف**) فى عصيان الراجى له (**وجاز خوف من مضار الدنيا ورجاء منافعها**) وذلك لنفسه او لغيره ، ولا يجب ذلك ، فان رجا وخاف باستواء او بترجيح أو أعرض عن الخوف والرجاء اصلاً فى المضار والمنافع الدنيوية فلا اثم عليه ، وان اشتد خوفه من مضار الدنيا حتى أساء الظن بالله تعالى أو جزم بعدم المنافع فأساء الظن به او جزم بوقوع المضار فاساء الظن به تعالى او اشتد رجاؤه المنافع فحتم وقوعها ولم يستشعر أنه يمكن ان لا يوقعها الله كفر ، كما اشار اليه بقوله : (**ما لم يسأ**) بالبناء للمفعول وهمزة الالف بهمزة ساكنة ، او هو بالف بدل من الهمزة الاخيرة فى اساء بعد حذف الالف قبلها لالتقاء الساكنين (**الظن بالله تعالى**) مثل ان يقول : لعل الله لا يفى لى بما ضمن لى من الرزق او نحو ذلك ، ومثل ان يقول : لعل الله لا يفى لى بما ضمن لى من كفاية المضار .

(**او يحتم وقوعها**) اى : وقوع المضار او المنافع الدنيوية (**او عدمه**) اى : عدم الوقوع وذلك اساءة للظن بالله تعالى ، وذلك أن يظن الله تعالى لا يرزقه او لا يعافيه من مرضه أو نحو ذلك ، فان الواجب أن يقول لنفسه : ان المصائب لا تدوم ، وسواء فى ذلك خوف مضار الدنيا ورجاء منافعها لنفسه أو لغيره ، ويجوز ان يخاف من مخلوق ضر الدنيا ويرجو منه نفعها كما قال : (**وان من انسان**) فقوله : وان من انسان غاية لقوله : وجاز خوف من مضار الخ ، اى : ولو كان المضار او المنافع من انسان أو ولو كان خوفه من انسان ، لمضاره ورجائه منه لمنافعه فانه لا ضير عليه بالخوف من مخلوق او برجاء مخلوق (**ما لم ينفيا**)

عن الله ويلام على تقصير فيما لزمه ويمدح على الجميل والاحسان ما لم يعتقد نفيهما عنه أيضاً ولا يثق بما في يده او غيره دون موالاة ولا بحرمته او قدرته

بالبناء للمفعول والالف عائد الى نوعى مضار الدنيا ومنافع الاخرة ، (**عن الله**) وان نفاهما عن الله تعالى هلك شركاً لانه لا نفع ولا ضر الا من الله تعالى ، اما بلاء جرى على يد مخلوق أو يجرى على يد مخلوق ، قال بعض العارفين : من يعتقد الضر من المخلوق ككلب ضرب بحجر فاقبل على الحجر يعضه ، ومن يعتقد الاحسان من المخلوق كدابة يرسل اليها مالكاً علفاً وتحب الرسول دونه ، وليس التائه من تاه في البرية بل من تاه عن الهدى بطلب العز من الناس ، ولا يطلبه من الله ، فان العز هو العز عند الله سبحانه ، ومن اخطأ الطريق لم يزده سيره الا بعداً ، فاذا قلت : لا اله الا الله طالبتك الله بحقها ، وهو ان لا تنسب الاشياء الا إليه ، (**ويلام**) الانسان (**على تقصير فيما لزمه**) أو اكد في حقه او ينبغى (**ويمدح على الجميل**) الكسبى والطبعى (**والاحسان**) ولا باس بذلك اللوم او المدح (**ما لم يعتقد نفيهما**) اى نفى الجميل والاحسان (**عنه**) اى : عن الله (**أيضاً**) فان نفاهما عنه تعالى كفر كفر شرك لانه لا يحدث شيء الا وهو من الله ومخلوق الله تعالى ما كان لمخلوق فيه كسب وما لم يكن له فيه كسب .

(**ولا يثق بما في يده او**) يد (**غيره دون موالاة ولا بحرمته او قدرته**) ولا بمخلوق يجلب له ما يجب ، وقوله : دون موالاة ، زيادة بيان لقوله : ولا يثق بما في يده او غيره ، لان من استوثق بشيء لا يتصور أن يكون قد استوثق أيضاً فيه بالله ، واذا استوثق بالله زالت الثقة كلها بغيره ، ولو تقين وجود الشيء بالوحى مثلاً فانما الذى يوجده هو الله تبارك وتعالى ، فمن استوثق بما في يده واعرض عن كون الله قادراً ان يزيله وان يثبته فقد توكل على غير الله ، أو ان أيقن أنه من الله على اثباته

الا ان تيقن ان ذلك من عند الله وانه المعطى له ولو شـاء لأذاله عنه .

وازالته فقد توكل على الله تبارك وتعالى كما قال : (**الا ان تيقن أن ذلك من عند الله وانه المعطى له ولو شـاء لأزاله عنه**) فيبقى انه وثق بمـا فى يده ، بمعنى انه مال اليه ، ولا باس لانه قد ايقن انه لو شاء الله لأزاله وان ظن أن ذلك من قبل المخلوق استقلالاً به أو أنكر أن يكون من قبل الله تعالى اوشك انه من الله تعالى او غيره فقد اشرك ، ويقال : الثقة بما فى اليد من ضعف اليقين ، والثقة بالموجود سوء ظن بالمعبود .

تنبيهـــــات

الاول : الخوف والرجاء جناحات بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ، ومطيّتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤ'د ، كما ان الخوف سوط زاجر لعامة المؤمنين عن المعصية ، والرجاءُ داع الى الطاعة ، والرجاء من مقدمات السالكين وانما يسمّى مقاماً ما ثبت ودام ، وما كان عارضاً سريع الزوال يسمى حالاً ، والمنتظر اذا كان محبوباً يحصل من انتظاره لذة للقلب ، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظاره ما هو محبوب عنده ، فان كان الانتظار لحصول اسبابه الكثيرة فرجاء صادق ، والا فكاذب ، واسم الغرور احق بــه ، ولا يطلق اسم الخوف والرجاء الا فيما يتردد فيه ، والاسباب : الاعمال الصالحـة ، والاحتراز عما يفسدها ، والتوبة عمـا صدر ، ومن كره المعصية وتسوءه والحسنة تسرّه ويذم بنفسه ويشتهى التوبة فحقيق برجاء التوفيق ؛ لان ذلك يفضى الى التوبة بل هو اصلها وطرف منها ، قال الله سبحانه وتعالى فيمن ترك الاسباب : ﴿ فخلف منْ بعْدهمْ خلفٌ اضاعوا الصّلاة ﴾ (١) الآية ، وقـال : ﴿ فخلف منْ بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب ﴾ (٢) الآية ، وقال عن الكافر : ﴿ ولئنْ رددتُ الى ربّى ﴾ (٣) الآية ، فمن انهمك فى المعاصى ولا يعزم على التوبة

---

(١) ســـورة مريم : ٥٩ .
(٢) ســـورة الاعراف : ١٦٩ .
(٣) ســـورة الكهف : ٣٦ .

فرجاؤه كرجاء من لم يزرع ، أو زرع فى سبْخة ان يحصد ، أو كرجاء من زرع ولم يتعهده بسقى ولا تنقية ، قال ﷺ « الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) ، وانما الرجاء الحقيق بعد تاكد الأسباب ، قال الله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرْجون رحمة الله ﴾ (٢) أى : يستحقون الرجاء ، فان رجاء العفو والتوبة والقرب من الرحمن ببذر النار بلا ندامة من اعظم الاغترار :

ترجـو النّجاةَ ولم تَسْلكْ مسالكها

انّ السفينة لا تجْرى على اليَبَس

والله اعلم .

التنبيه الثانى : اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف ، لأن أقرب العباد الى الله أحبهم له ، والحب يغلب بالرجاء ، الا ترى ان من يخدم السلطان باختياره لحبّه السلطان أحب الى السلطان ممن يخدمه قهْراً ولذلك قـال الله تعالى : ﴿ لا تقْنطوا من رحمة الله ﴾ (٣) ، وفى رواية : قال الله عز وجل ليعقوب : « أتدرى لم فرّقْتُ بينك وبين يوسف ؟ لأنك قلت : أخاف أن يأكله الذئب ولم ترْجنى ، ونظرت الى غفلة أخوته ولم تنظر الى حفْظى » وقال ﷺ : « لا يموتنّ أحدكم الا وهو يحْسنُ الظنّ بالله تعالى » (٤) ، وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى فلْيظنّ بى ما شاء » (٥) ، ودخل ﷺ على رجل وهو فى النزع فقال : « كيف تجدك ؟ » فقال : أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) سورة البقرة : ٢١٧ .
(٣) سورة الزمر : ٥٣ .
(٤) رواه البيهقى .
(٥) رواه مسلم .

رحمة ربى ، فقال ﷺ : « ما اجتمعا فى قلبْ عبدْ فى هـذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وأمّنه مما يخاف » (١) ، وقال علىّ لرجل أخرجـه الخوف الى القنوط : يا هذا أياسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك ؟ وقال سفيان : من اذْنَبَ ذنباً فعلم ان الله تعالى قدّره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبهُ لان الله عيّر قوما فقال : ﴿ وذلكم ظنكمْ الذى ظننْتم ﴾ (٢) الآية ، وقال : ﴿ وظننتْم ظنْ السّوء وكنْتم قوْماً بوراً ﴾ (٣) ، وعنه ﷺ : « ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك اذا رأيت المنكر ان تغيّره ؟ فان لقنه الله حجته قال : رب رجوْتك وخفْتُ الناس ، فيقول الله تعالى : قد غفرْتُ لك (٤) ، وذلك اذا لاحت له أمارة عـدم القدرة على الانكار ، وسبب غفرانه قوله : رجوتك .

وروى قومنا : ان رجلا كان يداين الناس فيتسامح للغنى ويتجاوز عن المعسر ، ولقى الله ولم يعمل خيراً قط فقال الله عز وجـل : « من أحق بذلك منّا ؟ » فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه ان يعفو عنه مع افلاسـه عن الطاعات ، وهذا قد ختم بالتوبة ومات قبل العمل فكانت مسامحته ومجاوزته سبباً لقبول توبته ولصدقها فاثبت عليهـا ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ ان الذين يتلون كتاب الله ـ الى قوله تعالى ـ يرجـون تجـارة لن تبـور ﴾ (٥) ، ولـمّا قال ﷺ : « لو تعلمـون ما أعلـم لضحكتم قليـلا ولبكيتم كثيراً ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم » ، هبط جبريل عليه السـلام فقال : ان ربك يقـول لك : « لم تقنط عبادى ؟ » فخـرج عليهم ﷺ ورجاهم وشوقهم ، وفى

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سـورة فصلت : ٢٣ .
(٣) سـورة الفتح : ١٢ .
(٤) رواه ابو داود .
(٥) سـورة فاطر : ٢٩ .

الخبر : « ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام : أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى خلقى فقال : يارب وكيف أحببك الى خلقك ؟ قال : اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل » (١) وروى قومنا : أن ابان بن أبر عياش رؤى بعد موته فى النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجاء فقال : اوقفنى الله تعالى بين يديه فقال : يا شيخ ما حملك على ذلك ؟ فقلت : اردت ان احببك الى خلقك ، فقال : قد غفرت لك ، وان يحيى بن اكثم رئى فى المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : اوقفنى الله تعالى يديه وقال : يا شيخ السوء فعلت وفعلت ، فاخذنى من الرعب ما يعلم الله ، ثم قلت : يارب ما هكذا حدثت عنك ، فقال : وما حدثت عنى ؟ فقلت : حثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن انس عن نبيك ﷺ عن جبريل انك قلت : « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء » وكنت لظن بك أن لا تعذبنى ، فقال عز وجل : صدق جبريل وصدق نبيى وصدق أنس وصدق الزهرى وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت ، قال : فالبست ومشى بين يدى الولدان الى الجنة فقلت : يالها من فرحة .

وكان رجل من بنى اسرائيل يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى يوم القيامة : اليوم أؤيسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها ، وقال ﷺ : « لا يعلم وسع رحمة ربى الا هو » (٢) .

التنبيه الثالث : يداوى بالرجاء نفسه من واظب على الطاعة حتى أضر بنفسه وأهله لغلبة الخوف ، ومن غلب عليه الاياس فترك العمل ، وأما العاصى المغرور المتمنى فأدوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة فى حقه ، فالرجاء كالعسل شفاء لمن غلبت عليه البرودة ، سم لمن غلبت عليه

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه ابن ماجة .

الحرارة ، والعالم طبيب يجعل الدواء حيث ينفع ، فالدواء بالرجاء بتذكر النعم وأخبار الرجاء وآياته وآثاره ، فتذكر النعم أن يتذكر أن الله تبارك وتعالى أعدّ له فى الدنيا كل ما يحتاج اليه فى الحياة وهو الطعام والشراب واللباس والمركوب والآلات كالأصابع والأظافير وزينه بتقويس الحاجبين ، واختلاف ألوان العينين ، وحمرة الشفتين ، وهيأ له أسباب السعادة ، فمن أنعم علينا وبالغ حتى انعم بما لا نحتاج اليه لزوماً كالتقويس واختلاف الألوان المذكورين وأدام وأكثر حتى انا لنكره الموت ولو تيقنا أن لا نعذب لما ألفنا من النعم فى الدنيا حقيق بأن يلطف بنا فى أمر الدين ستوصل الى نعم الآخرة ، وأما الآيات فمنها آية التداين فى البقرة ، كان بعض يراها أقوى أسباب الرجاء ، فقيل له : وما فيها من الرجاء ؟ فقال : الدنيا كلها قليل ، ورزق الانسان منها قليل ، والدين قليل ، من رزقه فانظر كيف أنزل فيه أطول آية ليهدى عباده الى طريق الاحتياط فى حفظ دينهم فكيف لا يحفظ دينهم الذى لا عوض لهم منه ؟ وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ (١) الآية ، وفى قراءة رسول الله ﷺ : « ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم » ، وقال : ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ (٢) وقال : ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ (٣) ، ولم يزل رسول الله ﷺ يسأل فى أمته حتى قيل له : أما ترضى وقد انزلت عليك هذه الآية : ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ ؟

وكان أبو جعفر محمد بن على يقول : انتم أهل العراق تقولون : أرجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا ﴾

---

(١) سورة الزمر : ٥٣ .
(٢) سورة الشورى : ٥ .
(٣) سورة الرعد : ٦ .

الآية ، ونحن اهل البيت نقول : ارجى آية فى كتاب الله قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ (١) ، قالوا : لا يرضى محمد واحداً من أمته فى النار ، وهذا من كلام قومنا ، وروى قومنا عن ابى موسى عنه ﷺ : « أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجّل عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن ، فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجل من اهل الكتاب فقيل : هذا فداؤك من النار » (٢) ، وفى رواية : « يؤتى كل رجل من هذه الأمة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقال : هذا فداؤك من النار فيلقى فيها » (٣) يعنى أمة الاجابة الى الايمان والعمل الصالح يقبل منا اليسير ويعفو عن الكثير ، ومعلوم ان الكافر مغبون بأخذ المؤمن داره فى الجنة وأخذه دار المؤمن فى النار ، وأكثر اهل الجنة من هذه الأمة ، وعنه ﷺ : « الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار » (٤) أى : حظ الموفى منها لأن البلايا تكفر الذنوب ، وروى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ﴾ (٥) ان الله تعالى أوحى الى نبيه ﷺ : « انى أجعل حساب أمتك اليك ، قال : يارب اذاً انت خيرٌ لهم منى ، فقال : اذا لا نخزيك فيهم » ، وروى عن انس ان رسول الله ﷺ سال ربه فى ذنوب أمته فقال : « يا رب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساوئهم غيرى » ، فاوحى الله تعالى اليه : « هم أمتك وهم عبادى وانا أرحم بهم منك ، لا أجعل حسابهم الى غيرى لئلا تنظر الى مساوئهم انت ولا غيرك » (٦) ، وقال ﷺ : « حياتى خير لكم وموتى خير لكم ، اما حياتى فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرائع ، وأما مماتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه ، وما رأيت منها سيئاً استغفرت الله

---

(١) سورة الضحى : ٤ .

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه ابو داود .

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة التحريم : ٧ .

(٦) رواه ابو داود .

لكم » (١) ، وقال ﷺ يوماً : « يا كريم العفو » فقال جبريل عليه السلام : « أتدرى ما تفسير يا كريم العفو ؟ هو ان عفا عن السيئات برحمته بدّلها حسنات بكرمه » (٢) ، وسمع رسول الله ﷺ رجلا يقول : اللهم انى أسألك تمام النعمة فقال : « وهل تدرى ما تمام النعمة ؟ » قال : لا ، قال : « دخول الجنة » (٣) .

فقال العلماء : قد أتم الله علينا نعمته برضاه للاسلام لنا ، قال الله تعالى : ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ (٤) . وفى الخبر : « اذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر يقول الله عز وجل لملائكته : انظروا الى عبدى اذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ، اشهدكم أنى قد غفرت له » ، وفى الخبر : « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرنى ورجانى » ، وفى الخبر : « لو لقينى عبدى بقراب الأرض ذنوباً للقيته بقراب الأرض مغفرة » ، وفى الحديث : « ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات ، فان تاب واستغفر لم يكتب عليه ، والا كتبها سيئة » ، وفى رواية : « فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه : « ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشرة ، وارفع له تسع حسنات فتلقى له هذه السيئة » ، وعن أنس من حديث رسول الله ﷺ انه قال : « اذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه » فقال اعرابى : فان تاب منه ؟ قال : « محيى عنه » قال : فان عاد ؟ قال ﷺ : « يكتب عليه » قال الأعرابى : وان تاب ؟ قال : « محيى من صحيفته » قال : الى متى ؟ قال : « ان الله عز وجل لا يمل من المغفرة حتى يمل

---

(١) رواه ابو داود .
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) سورة المائدة : ٣ .

العبـد من الاستغفار ، فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها ، فاذا عملها كتبت عشر حسـنات ثم يضاعفها الله الى سبع مائة ضعف ، فاذا هم بخطيئة لم تكتب عليه ، واذا عملها كتبت خطيئة واحـدة ووراءها حسن عفو الله عز وجـل » .

وجاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله انى لا أصوم الا شهراً لا ازيد ، ولا أصلى الا الخمس لا ازيد ، وليس لله فى مالى صدقـة ولا حج ولا تطوّع ، أين أنا اذا مت ؟ فتبسّم رسول الله ﷺ فقال : « نعم معى فى الجنة اذا حفظت قلبك من اثنين : الغلّ والحسد ، ولسانك من اثنين : الغيبة والكذب ، وعينيك من اثنين : النظر الى ما حرم الله وان تزدرى بهما مسْلماً دخلت الجنة على راحتىّ هاتيْن » (١) ، وفى الحديث الطويل لانس ان الأعرابى قال : يا رسول الله من يلى حساب الخلق ؟ فقال : « الله تبارك وتعالى ، قال : هو بنفسه ؟ قال : « نعم » فتبسّم الأعرابى فقال ﷺ : « لم ضحكت يا اعرابى ؟ » فقال : ان الكريم اذا قدر عفا ، واذا حاسب سامح ، فقال النبى ﷺ : « صدق الأعرابى ألا ولا كريم أكْرم من الله تعالى ، هو أكرم الأكرمين ثم قال : فقه الأعرابى » ، وفيه ايضاً : « ان الله تعالى شرّف الكعبة وعظّمها ، ولو ان عبداً هدمها حجراً حجراً ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخفّ بولىّ من أولياء الله تعالى ، امـا سمعت قول الله تعالى عز وجل : ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخْرجهم من الظلمات الى النور ﴾ (٢) . وفى خبر : « المؤمن افضل من الكعبة ، والمؤمن طيّب طاهر ، والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة » ، وفى الخبر : « خلق الله جهنم من فضل رحمته سوْطاً يسوق الله به عباده الى الجنة » ، وفى خبر يقول الله عز وجل : « انمـا خلقت الخلق ليربحوا علىّ ولم أخلقهم لأربح عليهم » .

---

(١) رواه مسلم وابو داود .
(٢) سـورة البقرة : ٢٥٧ .

وعن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ : « ما خلق الله تعالى شيئاً الا جعل له ما يغلبه ، وجعل رحمته تغلب غضبه » ، وفى الخبر : « ان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى » ، وفى الخبر : « لو علم الخلق سعة رحمة الله ما ايس من جنته أحد » ، ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ ان زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ (١) حين نزل عليه فى سفر أوان الظهيرة قال : أتدرون أى يوم هذا ؟ يومٌ يقال لآدم عليه السلام : قم فابعث بعث النار من ذريتك ، فيقول : يا رب كم ؟ فيقال : من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون ، وواحد الى الجنة » فابلس القوم اى : أيسوا وجعلوا يبكون وتعطل يومهم عن الاشتغال والعمل ، فخرج رسول الله ﷺ قال : « ما لكم لا تعملون ؟ » فقالوا : ومن يشتغل بعدما حدثتنا بهذا ؟ فقال : « كم أنتم فى الأمم : ان « تاويل » وتاريس » و « منسكا » و « يأجوج » و « مأجوج » أمم لا يحصيها الا الله تعالى ، انما انتم فى الأمم كالشعرة البيضاء فى جلد الثَّوْر الأسود ، وكالرَّقْمة فى ذراع الدابة ، تسعة وتسعون وتسع مائة منهم الى النار ، وواحد منكم الى الجنة » فانظر كيف يسوق الناس بسياط الخوف أولاً .

ولما خرج بهم ذلك عن حد الاعتدال الى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد ، ولا تناقض ، لكن ذكر الشفاء أوَّلاً فاتمه بالدواء لما احتاجوا للعلاج ، وهكذا يعظ الواعظ ، والا كان ما يفسد اكثر مما يصلح ؛ وفى الخبر : « لو لم تذنبوا لخلق الله خلْقاً يذنبون فيغفر لهم » وفى لفظ آخر : « لذَهَبَ بكم وجاء بخَلْق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم » ، وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لله ارْحمُ بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » ، وفى الخبر : « ليغْفر الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد قط حتى ان ابليس

---

(١) سورة الحج : ١ .

ليتطاول لها رجاء أن تصيبه » ، وفى الخبر : « ان لله تعالى مائة رحمة ادّخرُ منها عنده تسعا وتسعين رحمة واظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة ، فبها يتراحم الخلق فتحنّ الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها ، فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه ، وكل رحمة منها طباق السموات والارض ، قال : فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك » ، وقال ﷺ : « ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار ؛ قالوا : ولا انت يا رسول الله ؟ قال : ولا انا الا أن يتغمّدنى الله برحمته » (١) ، وقال ﷺ : « اعملوا وابشروا واعلموا أن احداً لن ينجيه عمله » (٢) ، وقال ﷺ : بعثتُ بالحنفيّة السّمْحة السّهلة » (٣) ، وقال ﷺ : « احب أن يعلم أهل الكتابين ان فى ديننا سماحة » (٤) وذلك ان الله تعالى أجاب دعاءه فى قوله : ﴿ ولا تحمل علينا اصراً ﴾ وقال : ﴿ ويضع عنهم اصْرهم ﴾ الآية .

وعن علىّ لما نزل قوله تعالى : ﴿ فاصْفح الصّفْحَ الجميل ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : « ما الصفح الجميل يا جبريل ؟ » قال : اذا عفوْت عمن ظلمك فلا تعاتبه ، فقال : يا جبريل الله اكرم من ان يعاتب من عفا عنه ، فبكى جبريل وبكى النبى عليهما الصلاة والسلام ، فبعث الله اليهما ميكائيل عليه السلام وقال : « ان ربكما يقريكما السلام ويقول : كيف أعاتب من عفوت عنه ، هـذا ما لا يشبه كرمى » ، والله أعلم .

وأما الآثار فعن علىّ : من اذْنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله

---

(١) رواه البيهقى .
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .

تعالى اعدل من أن يثنى عقوبته فى الآخرة على عبده ، وقال الثورى : ما أحب ان يجعل حسابى الى ابوى لأنى أعلم أن الله ارحم بى منهما ، وقال بعض السلف : المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كى لا تراه فتشهد عليــه ، وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم بخطه : ان العبد اذا كان مسْرفاً على نفسه فرفع يديه يدعو يقول : يا رب ؛ حجبت الملائكة صوته ، وكذا الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة : يا رب قال الله تعالى : حتى متى تحجبون صوت عبدى ؟ قد علم عبدى انه ليس له رب يغفر غيرى اشهدكم انى قد غفرْتُ له ، وقال ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه : خلا لى الطواف ليلة وكانت ليلة ممطرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب وقلت : يارب اعصمنى كى لا أعطيك أبداً ، فهتف لى هاتف من البيت : يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة ، وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك ، فان عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ؟ !

وكان الحسن يقـول : لو لم يذنب المؤمن لكان يطـير فى ملكوت السماوات ، ولكن الله تعالى قمعهُ بالذنوب ، وقال الجنيْد : أن بدت عيْن من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ٠ ولقى مالك بن دينـار رحمه الله أبا يحيى فقال له : كم تحدث الناس بالرخص ؟ فقال : يا أبا يحيى انى لأرجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق به كساءك هذا من الفرح ٠

قال ربْعىّ بن خراش عن اخيه وكان ممّن تكلم بعـد الموت : لمـا مات اخى سجّى بثوبه فالقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً وقال : انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروْح وريْحان وربى غير غضبان وانى رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تغتروا ، وان محمداً ﷺ ينتظرنى وأصحابه حتى ارْجع اليهم ، قال : ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه ٠

وروى : ان رجلين من بنى اسرائيل تآخيا فى الله تعالى فكان أحدهما

يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يعظه وينهاه ويزجره فكان يقول : دعني وربي ؛ ابعثت عليّ رقيبا ؟ حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال : لا يغفر الله لك فيقول الله تعالى يوم القيامة : « أيستطيع احد أن يحظر رحمتي على عبادي ؟ اذهب فقد غفرت لك » ثم يقول للعابد « وأنت قد أوجبت لك النار » قال : فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وأخراه .

وروى أيضاً : أن لصاً كان يقطع الطريق في بني اسرائيل أربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه : هذا نبي الله يمر الى جنبه حواري لو نزلت فكنت معهما ثالثاً ، فنزل فجعل يريد أن يدنو من العابد ويزدري نفسه تعظيماً للعابد ويقول في نفسه : مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد ، واحس العابد به فقال في نفسه : هذا يمشي الى جنبي فضم نفسه ومشى الى عيسى عليه السلام فمشى بجنبه فبقي اللص خلفه ، فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : « قل لهما ليستانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالكما اما العابد فقد احبطت عمله وحسناته لعجبه بنفسه ، واما الآخر فقد احبطت سيئاته بما ازدرى نفسه » ، فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه .

وروى عن مسروق : ان نبياً من الانبياء كان ساجداً فوطىء عنقه بعض العصاة حتى الحق الحصا بجبهته فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضباً فقال : « اذهب فلن يغفر لك الله » فاوحى الله تعالى اليه : « تتألى على في عبادي اني قد غفرت له » وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فاوحى الله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » (١) الآية ، فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام ، وروى في الآثار : ان رجلين من العابدين كانا متساويين في

---

(١) سورة آل عمران : ١٢٧ .

العبادة فاذا دخلا الجنة رفع احدهما فى الدرجات العلا على صاحبه فيقول : يا رب ما كان هـذا فى الدنيا باكثر منى عبادة فرفعته علىّ فى علّيين ! فيقول الله سبحانه : انه كان يسألنى فى الدرجات العلا وانت كنت تسألنى النجاة من النار واعطيت كل عبد سؤاله ، وهذا يدل ان العبادة على الرجاء افضل لأن المحبة اغلب على الراجى منها على الخائف ، فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاءً لعقابه ومن يخدم ارتجاءً لانعامه واكرامه ، ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن ، ولذلك قال ﷺ : « سلوا الله الدرجات العلا فانما تسألون كريماً » ، وقال : « اذا سألتم الله فأعظموا الرغبـة واسألوا الفردوس الاعلى فان الله تعالى لا يتعاظمه شىء » ، وقال بكر ابن سليم الصوّاف : دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فقلنا : يا ابا عبد الله كيف تجدك ؟ قال : لا ادرى ما أقول لكم الا انكم ستعاينون من فضل الله ما لم يكن فى حساب ، ثم ما برحْنا حتى اغمضناه .

وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته : يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى اياك مع الاعمال ، لأنى اعتمد فى الأعمال على الاخلاص وكيف احرزهـا وانا بالآفة معروف ، وأجدنى فى الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف ؟

وقيل : ان مجوسياً استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام فقال : « ان أسلمت اضفتك » فمر المجوسى فأوحى الله اليه : « يا بإراهيم لم لا تطعمه الاّ بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره ، فلو اضفْتَه ليْلةً ماذا كان عليك ؟ » فمر ابراهيم يسعى خلف المجوسى فردّه واضافه فقال له المجوسى : ما السبب وما بدا لك ؟ فذكر له ، فقال لـه المجوسى : أهكذا يعاملنى ؟ ثم قال : اعرض علىّ الاسلام فاسلم .

ورأى ابو سهل الصعلوكى أبا سهْل الزجاجى فى المنام فقـال له : كيف

حالك ؟ فقال : وجدنا الامر اهون مما توهمنا ، ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له : استاذ ، بما نلت هذا ؟ قال : بحسن ظنى بربى ، وجمع رجل قوما من ندمائه ودفع الى غلامه اربعة دراهم وامره أن يشترى شيئا من الفواكه للمجلس ، فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسال لفقير شيئا فيقول : من دفع اليه أربعة دراهم دعوت له اربع دعوات ، فدفع الغلام اليه الدراهم ، فقال منصور : ما الذى تريد ان أدعو لك ؟ فقال : لى سيد اريد أن أتخلص منه ، فدعا منصور ، وقال : الاخرى أن يخلف على دراهمى ، فدعا ، ثم قال : الاخرى ؟ فقال : أن يتوب الله على سيدنا ، فدعا ، ثم قال : الاخرى ؟ فقال : أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم ، فدعا منصور ، فرجع الغلام ، فقال له سيده : لم ابطأت ؟ فقص عليه القصة ، قال : وبم دعا ؟ قال : سألت لنفسى العتق قال له : اذهب فانت حر ، قال : وما الثانية ؟ قال : ان يخلف الله على الدراهم ، قال : لك أربعة آلاف درهم ، قال : وما الثالثة ؟ قال : ان يتوب الله عليك ، قال : تبت الى الله تعالى ، قال : وما الرابعة ؟ قال : ان يغفر الله لى ولك وللقوم . وللمذكر قال هذا الواحد : ليس الى ، فلما بات تلك الليلة رأى فى المنام قائلا يقول له : أنت فعلت ما كان اليك افترى انى لا افعل ما الى ؟ قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين .

وكان بعض السلف يقول فى دعائه : يارب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ، ورزقك عليهم دررا ، سبحانك ما احلمك ، وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة حتى كانك يا ربنا لا تغضب ، والحمقى والمغرورون لا يسمعون ذلك بل يسمعون أسباب الخوف ، وأكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبى العرم ، لا يستقيم الا بالسوط وخشونة الكلام ؟ !

التنبيه الرابع : اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقلال ، والخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ، وتارة لكثرة الجناية بالمعاصي وتارة بهما وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى : وانه ﴿ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ (١) تكون قوة الخوف ، فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ، ولذلك قال ﷺ : « انا لخوفكم لله » (٢) ولذلك قال الله جل جلاله : ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٣) فينحل الجسم ويصفر ويبكى وقد تنشق به المرارة فيفضى الى الموت ، وقد يدخل الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيقنط ، وذلك من القلب ، وأما في الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات جبراً لما فرط ، واستعداداً للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكى ويمسح عينه بل يترك ما يخاف أن يعاقب عليه ، قال أبو القاسم : الحكيم من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب اليه ، وقيل لذى النون : متى يكون العبد خائفاً ؟ قال : اذا نزّل نفسه منزلة السقيم الذى يحتمى مخافة طول السقام فيكره المعاصي المحبوبة كما يكره العسل الذى عرف فيه سمّاً فيخشع ويفارق الكبر والحقد والحسد ، ويحاسب نفسه باللحظة والخطورة والخطرة والكلمة .

وأقل درجات الخوف ما يورث الورع الذى هو الكف عن المحرمات ، وان زاد قوة كفّ عما يتطرق اليه ، ويسمى تقوى ، وهو أن يترك ما يريبه الى ما لا يريبه ، وان زاد كان صدّقاً وهو أن يترك ما لا بأس مخافة البأس ، وكل واحد يدخل فيما قبله فاذا ذكر الأخير فقد ذكرت كلها ،

---

(١) سورة الانبياء : ٢٣ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) سورة فاطر : ٢٧ .

وهكذا شأن الأخص كما تقول : الانسان اما عربى أو عجمى ، والعربى اما قرشى أو غيره ، والقرشى اما هاشمى أو غيره ، والهاشمى اما علوى او غيره ، والعلوى اما حسنى او حسينى ، فاذا ذكرت أنه حسينى فقد وصفته بالجميع ، وكلما ذكرت واحداً فقد ذكرت به ما قبله .

التنبيه الخامس : الخوف قاصر او مفرط أو معتدل وسط ، وهو المحمود فاما القاصر فهو الذى يجرى مجرى رقة النساء تخطر بالبال عند سماع آية من القرآن ، أو مشاهدة هائل تورث البكاء وتفيض الدمع ، فاذا غاب السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة ، وهو خوف قليل الجدوى ، كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية فانها لا تستقيم به ، وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء بالله وآياته وأفعاله ، ولا أعنى العلماء بمسائل العلم ، قال الغزالى : هم ابعد الناس عن الخوف ، ولذلك قال الفضيل بن عياض : اذا قيل لك هل تخاف الله ؟ فاسكت فانك ان قلت : لا كفرت ، وان قلت : نعم كذبت ، اى لأن الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى وما لم يؤثر فى الجوارح فهو حديث النفس ، وأما المفرط فمذموم لأنه يؤدى الى اليأس ويمنع من العمل ، أو الى المرض والحيرة ، وزوال العقل ، وانما المراد من الخوف : الحمل على العمل والتحرز من المحذور ، ومن مات بالخوف مات شهيداً لكن ليس افضل من أن يبقى فى زيادة العمل وطرح المعاصى واكتساب المعارف بالله تعالى ، وانما شهادته افضل بالنسبة الى ما دونها ، واذا اثمرت درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهو اقصى ما يحمد من الخوف والله أعلم .

التنبيه السادس : ما الخوف الا بانتظار مكروه بالذات كالنار ، أو مكروه لافضائه الى المكروه بالذات وهو المعاصى والموت قبل التوبة ، وبغض التوبة ، ونقض العهد ، ومضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وتبدل الرقة بالقسوة وان يوكل الى ما اتكل عليه من حسناته ، والاشتغال عن

الله وتعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح وسؤال منكر ونكير ، وسكوت الموت ، وعذاب القبر ، وهو الحشر والفضيحة فيه ، والختم بسوء والقضاء والأزلى ، وكان رسول الله ﷺ على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيـه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص » ثم قبض كفه اليسرى : « وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأنسابهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ، وليعملنّ أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم هم ، بل هم هم ، ثم ينقذهم الله قبـل الموت ولو بفواق ناقـة وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقـال كأنهم منهم ، بل هم هم ، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة » (١) .

وقضاء الله على السعيد بالسعادة بتيسير أسبابها من غير تقدم وسيلة منه ، وعلى الشقى بالشقاوة بتيسير أسبابها بلا تقدم وسيلة لا يدرى سببه ، وأنا التجىء اليك اللهم والى نبيك محمد ﷺ ، ومن كانت صفته هكذا فحقيق أن يخاف ، قال الله تعالى لداود عليه السلام : « خفنى كما يخاف السبع الضارى » والسبع يخاف لا لجناية سبقت ولله المثل الأعلى ، بل السبع يحتاج الأكل أو يتصور أن الآدمى يهلكه فيدفعه والله سبحانه قاهر عزيز لا يحتاج الى خلقه والله يعلم ما لا نعلم ، والله أعلم .

التنبيه السابع : لا تحصل سعادة لقاء الله تعالى فى الآخرة الا بتحصيل محبته والأنس به ، ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ، ولا الأنس الا بالمحبة ودوام الذكر ، ولا دوام الفكر والذكر الا بانقطاع حبّ الدنيا من القلب ، ولا الانقطاع عن حبها الا بترك لذّاتها وشهواتها ، ولا تقمع الشهوة الا بالخوف وهو ثمرة العلم ، قال الله جلا

---

(١) رواه أبو داود .

وعلا : ﴿ وهدىً ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ (١) ، وقال : ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ (٢) ، ومن لم يعرف الضر لم يتّقه ، قال الله تعالى : ﴿ وخافونى ان كنتم مؤمنين ﴾ (٣) ، قال ﷺ : « رأس الحكمة مخافة الله تعالى » (٤) ، وقال ﷺ : « ان أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف من بعدى » (٥) ، وقال الفضيل بن عياض : من خاف الله دلّه الخوف على كل خير ، قال الشبلى : ما خفْتُ الله يوماً الا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة ما رأيته قط ، وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه خصلتان : خوف العقاب ، ورجاء العفو ، كثعلب بين أسديْن ، قال الله تعالى : ﴿ سيذّكرُ من يخشى ﴾ (٦) ، وقال : ﴿ ولمن خاف مقام ربّه جنّتان ﴾ (٧) ، وقال الله عز وجل : « وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوْفينُ ولا أجمع له أمْنيْن فان امننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، واذا خافنى فى الدنيا أمّنته يوم القيامة » ، وقال ﷺ : « من خاف الله تعالى خافه كل شىء ، ومن خاف غير الله خوّفهُ الله من كل شىء » (٨) ، وقال ﷺ : « اتمكم عقلاً أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظراً » (٩) ، وقال يحيى بن معاذ : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة ، وقال ذو النون : من خاف الله ذاب قلبه واشتد لله حبّه وصح له لبّه ، وقال ذو النون : ينبغى ان يكون الخوف أبلغ من الرجاء ، فاذا غلب

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٤ .
(٢) سورة البينة : ٨ .
(٣) سورة آل عمران : ١٧٥ .
(٤) رواه أبو داود .
(٥) رواه أبو داود .
(٦) سورة الأعلى : ١٠ .
(٧) سورة الرحمن : ٤٥ .
(٨) رواه أبو داود .
(٩) رواه ابن حبان .

الرجاء تشوّش القلب ، وقال أبو الحسين الضرير : علامة السعادة خوفُ الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده ، فاذا انقطع زمامه هلك في الهالكين ، وقيل ليحيى ابن معاذ : من آمن الخلق غداً ؟ قال : اشدهم خوفاً اليوم ؛ وقال سهل : لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال ، وقيل للحسن : يا أبا سعيد كيف نصنع ؟ نجالس اقواما يخوّفوننا حتى تكاد عقولنا تطير ؛ قال : والله انك ان تخالط اقواماً يخوّفونك حتى يدركك أمْنٌ خيْرٌ لك من أن تصحب قوماً يؤمّنونك حتى يدركك الخوف .

وقال ابو سليمان الداراني : ما فارق الخوف قلبّاً الا خرب ، قالت عائشة : قلت : يا رسول الله ﴿ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ (١) هو الرجل يسرق ويزني تعني يتصدق ويفعل الفواحش ؟ قال : « بل الرجل يصلّي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل » (٢) .

والخوف والرجاء لازمان لا ينفك احدهما عن الآخر ويغلب احدهما الآخر وهما يجتمعان ، ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لغفلته عنه ، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه ، فبتقدير وجود المحبوب يروّح القلب ، فذلك الرجاء ، وبتقدير عدمه يتوجع فذلك الخوف ، وذلك على حدّ سواء ، وقد يترجح بحضور بعض الأسباب ويسمّى ظنّاً ، وعلى كل حال يتلازمان ، قال الله تعالى : ﴿ يدعوننا رغباً ورهباً ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ يدعون ربهم خوْفاً وطمعاً ﴾ ، ولذلك عبر للعرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى : ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ (٣) وقال ﷺ : « ما من عبد مؤمن تخرج من عينه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم

---

(١) سورة المؤمنون : ٦٠
(٢) رواه مسلم .
(٣) سورة نوح : ١٣ .

تصيب شيئاً من حر وجهه الا حرمه الله على النار » (١) ، وقال ﷺ :« اذا اقشعرّ قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحاتّ عن الشجر ورقها » (٢) ، وقال ﷺ : « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع » (٣) ، قال عقبة بن عامر : ما النجاة يا رسول الله ؟ قال : « أمسك عنك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك » (٤) ، وقالت عائشة رضى الله عنها : قلت يا رسول الله أيدخل أحد من امتك الجنة بغير حساب ؟ قال : « نعم ؛ من ذكر ذنوبه فبكى » (٥) ، وقال ﷺ : « ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى ، او قطرة دم أهريقت فى سبيل الله سبحانه » (٦) ، وقال ﷺ : « اللهم ارزقنى عينين هطّالتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دماً والأضراس جمراً » ، وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظل الا ظله ـ وذكر منهم ـ رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » (٧) .

وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه : من استطاع أن يبكى فليبكِ ، ومن لم يستطع فليتباك ، وكان محمد بن المكندر اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول : بلغنى أن النار لا تأكل موضعاً مسّته الدموع ، وقال عبد الله بن عمر بن العاصى : ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ، فو الذى نفسى بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه ابو داود .
(٤) رواه البيهقى .
(٥) رواه النسائى .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه مسلم .

ينكسر ظهره ، وقال أبو سليمان الدارانى : ما تغرغت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر" ولا ذلة يوم القيامة ، فان سالت دموعه اطفئت بأول قطرة منها بحاراً من النيران ، ولو أن رجلاً بكى فى امة ما عذبت تلك الامة اى بكى لذنوب امة اى يتوب الله عليهم .

قال كعب الأحبار : والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل الدموع على وجنتى أحب الى من أن أتصدق بجبل ذهباً ، وقال عبد الله بن عمر : لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الى من ان أتصدق بألف دينار ، وعن حنظلة : كنّا عند رسول الله ﷺ ؛ فوعظنا موعظة رقّت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى أهلى فدنت منى المرأة وجرى بيننا حديث الدنيا فنسيت ما كنت عليه عند رسول الله ﷺ ، وأخذنا فى الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت فى نفسى : قد نافقت حين تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت أنادى نافق حنظلة فاستقبلنى ابو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : كلا لم ينافق حنظلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ وانا أقول نافق حنظلة ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا لم ينافق حنظلة » ، فقلت : يا رسول الله كنّا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى أهلى فأخذنا فى حديث الدنيا ونسينا ما كنّا عندك عليه فقال : « يا حنظلة لو انكم كنتم أبداً على تلك الحال لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » (١) .

التنبيه الثامن : لا يقال : الرجاء مطلقاً افضل ، ولا الخوف افضل مطلقاً ، بل ان اغترّ القلب وغلب عليه داء الأمن أو المعاصى فالخوف افضل ، وان غلب القنوط فالرجاء أفضل ، وان استويا فليعتدل فى الخوف

---

(١) رواه مسلم وابو داود .

والرجاء ، كما تقول : الخبز افضل للجائع ، والمـاء افضل للعطشان ، وان استوى العطش والجوع واجتمعا فالمـاء والخبز مستويان ، وكذلك من ترك ظاهر الاثم وباطنه فليعتدل له الخوف والرجاء ، وقال علىّ لبعض ولده : يا بنىّ خف الله خوفاً ترى انك لو أتيت بحسنات اهل السماوات والأرض لم يتقبلها منك ، وارْجُ الله رجاء ترك انك لو اتيت بسيئات أهل الأرض غفرها الله لك ، وعن عمر لو نودى : يدخل النار الناس كلهم الا رجلاً لرجوت ان اكون ذلك الرجل ، ولو نودى يدخل الجنة الناس كلهم الا رجلاً واحداً لخشيت ان أكون ذلك الرجل ، وذلك من طريق الاعتدال ، وكان عمر رضى الله عنه يبالغ فى تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً اذ كان ﷺ خصّـه بعلم المنافقين ، فمن اعتقد نقاء قلبه فمن اين يأمن مكر الله تعالى ، ولو صحّ فمن أين يأمن نقاءه الى حسن الخاتمة وقد قال ﷺ : « ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وروى الاّ قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار » (١) ! وقدر فواق الناقة مقدار خاطر يختلج فى القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء .

والأصلح لأهل هذا الزمان غلبـة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى القنوط ، وترك العمل ؛ قال مكحول الدمشقى : من عبد الله بالخوف فهو حرُورىّ ، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد ، واراد بالحرورى من كان من أهل حروراء صفريا .

ومن أسباب الرجاء الحب ، فان المحب لا يعذب محبوبـه ، وقال ﷺ فى دعائه : « اللهم ارزقنى حبّك وحبّ من احبك ، وحب من يقربنى الى حبك ، واجعل حبّك احبّ الى من الماء البارد » (٢) ، ويكون الرجاء

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .

أيضاً سبباً للحب فغلبة الرجاء عند الموت اصلح لأنه اجلب للحب وغلبة الخوف قبل ذلك اصلح بلا اياس لأنه اقمع للشهوات ، قال ﷺ : « لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه » ، وقال الله تعالى : « انا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء » ولما حضر سليمان التميمى الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه ، وقال احمد بن حنبل لابنه عند الموت : اذكر لى الأخبار التى فيها الرجاء وحسن الظن والله اعلم .

التنبيه التاسع : الخوف اما من ذات الله تعالى وهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضى الهيبة والخوف والحذر ، المطلعين على سر قوله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ (٢) ، واما من عذابه وهو خوف عامة الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاء على الطاعة والمعصية ، وضعفه سبب الغفلة ، وسبب ضعف الايمان ونزول الغفلة بالتذكير وملازمة الفكر فى اهوال الحشر وعذاب الآخرة بأصنافه ، والأول اعلى وهو خوف العبد من الله ، قال ذو النون : خوف النار عنه خوف الفراق كقطرة قطرت فى بحر لجى ولعامة المؤمنين حظ منه ولكن بمجرد التقليد يضاهى خوف الصبى من الحية تقليداً لأبيه .

وكان ﷺ اشد الناس خوفاً ، حتى روى انه كان يصلى على طفل ، وفى رواية سمع يقول فى دعائه : « اللهم قه عذا القبر وعذاب النار » ، وسمع قائلاً يقول : هنيئاً لك ، عصفور من عصافير الجنة ، فغضب وقال : ما يدريك انه كذلك ، والله انى رسول الله وما ادرى ما يصنع بى ، ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم » ، وذلك قبل

---

(١) سورة آل عمران : ٢٨ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ .

ان يعلم ان الأطفال كلهم او أطفال المسلمين فى الجنة ، وروى ﷺ قال ذلك على جنازة عثمان بن مظعون ، وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة : هنيئاً لك الجنة ، فكانت تقول بعد ذلك : والله ما أزكّى احداً بعد عثمان ، وقال محمد بن خولة : والله لا أزكّى احداً بعد رسول الله ﷺ ولا جدّى يعنى عليّاً ، فثارت عليه الشيعة فأخذ يذكر مناقب على ، وفى رواية : استشهد رجل من أهل الصُفّة ، فقالت امه : هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله ﷺ ، وقتلْت فى سبيل الله فقال ﷺ : « وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره » ، وفى رواية انه ﷺ : دخل على مريض فسمع امرأة تقول هنيئاً لك الجنة فقال ﷺ : « من هذه المتالية على الله تعالى : » ، فقال المريض هذه أمى يا رسول الله ، فقال : « وما يدريك لعل فلاناً كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه » (١) ، وعنه ﷺ : « شيّبتنى هود" واخواتها ؟ الواقعة ، و « اذا الشمس كوّرت » ، و « عم يتساءلون » ، اى لقوله تعالى : « الا بعْداً لعاد » (٢) « الا بعْداً لثمود » (٣) « ألا بعداً لمدْين » (٤) مع علمه ﷺ : بانه لو شاء الله ما أشركوا ، ولو شاء لآتى كل نفس هداها ، وقوله تعالى : ﴿ اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ﴾ (٥) الآية ، اى جف القلم بما هو كائن حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوم كانوا مرفوعين فى الدنيا ، واما رافعة" قوم كانوا مخفوضين فى الدنيا ، ولما فى سورة التكْوير من هوْل يوم القيامة ، وفى سورة النبأ ، ﴿ يوم ينْظر المرء ما قدمت يداه ﴾ (٦) ، ﴿ ولا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ (٧) ، وقال الله تعالى : ﴿ وانى لغفار لمن تاب ﴾ (٨) ،

---

(١) رواه مسلم وابو داود والبيهقى .
(٢) سورة هود : ٦٠ .
(٣) سورة هود : ٦٧ .
(٤) سورة هود : ٩٥ .
(٥) سورة الواقعة : ١ .
(٦) سورة النبا : ٤٠ .
(٧) سورة النبا : ٣٨ .
(٨) سورة طه : ٨٢ .

الآية فشرط اربعة شروط يعجز المرء عن احدها ، وقال الله تعالى : ﴿ فاما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى ان يكون من المفلحين ﴾ (١) ، وهى اشد من الاولى ، وقال : ﴿ ليسال الصادقين عن صدقهم ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ سنفرُغُ لكم أيها الثقلان ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ افامنوا مكر الله ﴾ (٤) الآية ، ﴿ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى ﴾ (٥) ، الآية : ﴿ يوم نحشرُ المتقين الى قوله : وردا ﴾ (٦) ﴿ وان منكم الا واردها ﴾ (٧) الآية ، ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ (٨) ، ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٩) ، ﴿ وقدمنا الى ما عملوا من عمل ﴾ (١٠) الآية ، ﴿ والعصر ان الانسان لفى خسر ﴾ (١١) الخ فشرط اربعة شروط للخلاص من الخسران ، ولم يأمن الأنبياء المكر فخافوا ، روى انه ﷺ وجبريل بكيا خوفاً من الله فاوحى الله اليهما « لم تبكيان وقد أمنتكما ؟ » ، فقالا : « ومن يامن مكرك » وكانهما اذ علما أن الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يامنا أن يكون قوله : « قد آمنتكما » ابتلاءً وامتحاناً ومكراً حتى اذا سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا ، كما قال ابراهيم لما وضع فى المنجنيق : « حسبى الله » ، وهذا دعوى عظيمة ، فعرض له جبريل فى الهواء وقال : الك

---

(١) سورة القصص : ٦٧ .
(٢) سورة الأحزاب : ٨ .
(٣) سورة الرحمن : ٣١ .
(٤) سورة الأعراف : ٩٩ .
(٥) سورة هود : ١٠٢ .
(٦) سورة مريم : ٨٥ .
(٧) سورة مريم : ٧١ .
(٨) سورة فصلت : ٤٠ .
(٩) سورة الزلزلة : ٨ .
(١٠) سورة الفرقان : ٢٣ .
(١١) سورة العصر : ١ — ٢ .

حاجة ؟ فقال : اما اليك فلا ، فكان ذلك تصديقا لدعواه ، فقال الله تعالى : ﴿ وابراهيم الذى وفّى ﴾ (١) أى بموجب قوله : حسبى الله ، وقد خاف موسى بعد قول الله تعالى : ﴿ لا تخافا ﴾ فجدد الله له الأمن بقوله : ﴿ لا تخف انك انت الأعلى ﴾ (٢) وقال ﷺ يوم بدر : « اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض من يعبدك » فقال ابو بكر : دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك ، فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله ، ومقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله لكمال معرفته بأسرار الله وخفايا افعاله ومعانى صفاته التى يعبّر عن بعضها بالمكر مع ان وفاءه قد يكون معلّقا بالمناشدة وأسباب الرجاء رحمة من الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق ، اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلّب القلوب ، قال بعض العارفين : لو حال بينى وبين من عرفته خمسين سنة بالتوحيد اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لأنى لا أدرى ما ظهر له من التقلب .

وعن بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لأنى لا أدرى ما يعرض لقلبى بين باب الحجرة وباب الدار ، وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد آمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه ، ولما احتضر سفيان جعل يبكى ويجزع فقيل له : يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك ، فقال : أو على ذنوبى ابكى ، لو علمت انى أموت على التوحيد لم ابال بأن القى الله بأمثال الجبال من الخطايا .

وأوصى بعض الخائفين بعض اخوانه : اذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند رأسى فان رايتنى مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه فاشتر به لوزاً وسكّراً وانثره على صبيان البلد ، وقل عند ذلك : هو عرس المنقلب ،

---

(١) سورة النجم : ٣٧ .

(٢) سورة طه : ٦٨ .

وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس حتى لا يغتروا بحضور جنازتى ليحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يلحقنى الرثاء بعد الموت ، قال : وبم أعلم ذلك ؟ فذكر له العلامة ، فرأى علامة التوحيد عند موته ، فاشتر السكر واللوز وفرقه .

وكان سهل يقول : المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى ، والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر ، وكان أبو زيد يقول : اذ توجهت الى المسجد كان فى وسطى زناراً أخاف أن يذهب بى الى البيعة أو بيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عنى الزنار فهذا دأبى كل يوم خمس مرات ، وقال عيسى عليه السلام « يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصى ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر » .

وشكا نبى عليه السلام الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله اليه : « عبدى ، أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بى حتى تسألنى الدنيا ؟ » فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال : « بلى يارب رضيت فاعصمنى من الكفر » وذلك كالشرك والبدعة والكبر .

وقد اشتد خوف الصحابة من النفاق كما مر عن عمر ، وعن الحسن : لو علمت أنى برىء من النفاق كان أحب الىّ مما طلعت عليه الشمس ، وارادوا بالنفاق كبائر دون الشرك ، كما قال ﷺ : « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم أنه مسلم ، وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر » (١) وروى : « واذا عهد غدر » وقال بعض العارفين : انى أخاف على نفسى النفاق ، وقال : لو كنت منافقاً لما خفت النفاق ، قال ﷺ : « العبد المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى

---

(١) رواه مسلم .

ما الله قاض فيه ، فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار (١) » وبالله التوفيق .

التنبيه العاشر : سوء الخاتمة على قسمين :

الاول : الرتبة الهائلة أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله ، اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ذلك الجحود أو الشك حجابا بينه وبين الله تعالى وذلك يقتضى البعد الدائم .

والثانى : وهو دون الأول ان يغلب عند الموت حب أمر من أمور الدنيا فيستغرقه فلا يبقى فى تلك الحال متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال فيكون قلبه بذلك منكسا الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ، ومهما انصرف الوجه عن الله حصل الحجاب ، وربما محا عن القلب هذه الحالة دوامه قبل ذلك على الأعمال الصالحة وتاكده ، وسبب الختم على الشك أو الجحود أمران : الأول يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح فى الأعمال ، كالمبتدع الزاهد بان يعتقد فى صفات الله سبحانه وافعاله خلاف الحق اعتقادا جازما فاذا ظهر له عند الموت بطلان اعتقاده فى ذلك ظن بطلان سائر ايمانه واعتقاده الصحيح لأنه لا فرق عنده بين ذلك الاعتقاد الباطل وغيره فى الصحة فيموت مشركا قال الله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (٢) ﴾ وقال : « قل هل انبئكم بالأخسرين اعمالا (٣) » الآية .

أحسنت ظنك بالأيام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة الزمر : ٤٧ .
(٣) سورة الكهف : ١٠٣ .

وسالمتك الليـــالى فاغتررت بهــا

وعنـد صـفو الليـالى يحـدث الكــدر

الثانى : ضعف الايمان فى الأصل ، ثم استيلاء حب الدنيــا على القلب فيضعف الايمان بضعف حب الله فيقوى حب الدنيا ، فلا يبقى لحب الله فى قلبه موضع الا من حيث حديث النفس ، ولا يظهر له اثر فى مخالفـة النفس والشيطان فينهمك فى المعاصى فيسود قلبه ويقســو ، ولا يزال يطفا نور الايمـان منه فعند سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً لـما يبدو لـه من فراق المحبـوب الذى هو الدنيـا فيتألم القلب فيكره قضـاء الله عليـه بالموت ، وربما أدى الى بغض الله تعالى اذ كان هـو المقـدر للموت ، وقال سـهل : رأيت كانى أدخلـت الجنـة فرأيت ثلاثمائة نبى فسألتهم : ما اخـوف ما كنتم تخافون فى الدنيا ؟ قالوا : سوء الخاتمة .

التنبيه الحادى عشر : روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه فيتردد يدخل ويخـرج خوفاً من عذاب الله ، وقال ﷺ : « ما جاءنى جبريل الا وهو يرعـد من الجبـار (١) » ، ولما ظهر كفر ابليس طفق جبريل وميكائيل يبكيان ، فاوحى الله اليهما : « مالكما تبكيان هذا البكاء ؟ » قالا : « يا ربنـا ما نامن مكرك » فقال الله تعالى : « هكذا كونا لا تامنـا مكرى » ، وقال محمد بن المكندر : لـما خلق الله النـار طارت قلوب الملائكة من أماكنها ، فلما خلق بنو آدم عـادت ، وقال رسـول الله ﷺ لجبريل : « مالى لا أرى ميكائيل يضحك ؟ » فقال جبريل : « ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار » .

ويقال : ان لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النـار مخافة أن يغضب عليهم فيعذبهم ، وكان رسـول الله ﷺ يصعق اذا قـرأ

---

(١) رواه أبو داود .

أحيانا ، وكذا داود عليه السلام ويموت بوعظه آلاف ، وكان ابراهيم الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فيقول جبريل عليه السلام : « ربك يقرئك السلام ، ويقول : هل رأيت خليلا يعذب خليله ؟ فيقول : يا جبريل اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى » .

التنبيه الثانى عشر : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لطائر : ياليتنى مثلك ولم أخلق بشرا ، وقال أبو ذر رضى الله عنه : وددت لو انى شجرة تعضد ، وكذا قال أبو طلحة ، وقال أبو عثمان : وددت أنى اذا مت لم أبعث ، وقالت عائشة رضى الله عنها : وددت انى كنت نسيا منسيا ، وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه ، فكان يعاد أياما ، وأخذ يوما تبنة من الارض وقال : ياليتنى كنت هذه التبنة ، يا ليتنى لم أكن شيئا مذكورا ، ياليتنى كنت نسيا منسيا ، ياليتنى لم تلدنى أمى ، وكان فى وجهه خطان أسودان من الدموع ، وقال رضى الله عنه : من خاف الله لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ، وقرأ : ﴿ اذا الشمس كوّرت — الى قوله تعالى — واذا الصحف نشرت (١) ﴾ فخر مغشيا عليه ، ومر بدار انسان يصلى ويقرأ سورة : و « الطور » فوقف يستمع ، ولما بلغ : « ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع (٢) » نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع لمنزله ومرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه .

وقال عمران بن الحصين : وددت أن أكون رمادا تنسفنى الرياح فى يوم عاصف ، وقال أبو عبيدة بن الجراح : وددت انى كبش فيذبحنى أهلى

---

(١) سورة التكوير : ١ — ١٠ .
(٢) سورة الطور : ٧ .

فياكلون لحمى ويحسون مرقى ، وكان على ابن الحسين اذا توضأ اصفرّ لونه ، فيقول له اهله : ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد ان اقوم ؟ وقال موسى بن مسعود : كنا اذا جلسنا الى الثورى كان النار قد أحاطت بنا لما ترى من خوفه وجزعه ، وقرا نصر القارىء يوماً : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (١) ﴾ الآية ، فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال : وعزتك لا عصيتك جهدى أبداً فاعنّى بتوفيقك على عبادتك ، وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع القرآن لشدة خوفه ، ولقد كان يقرأ عليه الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرا عليه : ﴿ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ﴾ فقال : انا من المجرمين ولست من المتقين اعد على القول ايها القارىء ، فاعاد عليه فشهق شهقة فمات ، وقرىء عند يحيى البكاء : ﴿ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم (٢) ﴾ فصاح صيحة ومكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار : بينما انا اطوف بالبيت اذا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهى تقول : يارب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها ، يارب : اما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكى ، فمازال ذلك مقامها حتى طلع الفجر ، قال مالك : فلما رايت ذلك وضعت يدى على رأسى صارخاً اقول ثكلت مالكاً امه .

وروى أن الفضيل رئى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى كالثكلاء المحترقة حتى كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء وقال : واسوأتاه منك وان غفرت ، ثم انقلب مع الناس . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين قال : قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ،

---

(١) سورة الجاثية : ٢٨ .

(٢) سورة الانعام : ٣٠ .

والقيامة موعـدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدى الله ربنا موقفنا ، ومـر الحسن بشاب وهو مستغرق فى الضحك وهو جالس مع قوم فى مجلس فقال له الحسن : يا فتى هـل مررت بالصراط ؟ قال : لا ، قال : فهـل تـدرى الى الجنـة تصـير ام الى النـار ؟ قال : لا ، قال : فما هـذا الضحك فما رئى ذلك الفتى بعدها ضاحكاً .

قال حاتم الأصم : لا تغتر بموضـع صالح فلا مكان اصلح من الجنـة ، ولقد لقى آدم فيها ما لقى ، ولا تغتر بكثرة العبـادة فان ابليس بعـد طول تعبده لقى ما لقى ، ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر عنـد الله تعالى منزلة من المصطفى ﷺ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه .

وقال السرى السقطى : انى لأنظر الى أنفى كل يوم مرات مخـافة أن يكون قد اسود وجهى ، وقالت لمحمد بن كعب القرظى امه : يا بنى انى أعرفك صغيراً طيبا وكبيراً طيباً كانك أحدثت حدثاً موبقاً لمـا أراك تصنع فى ليلك ونهـارك ، فقال : يا امـاه ما يؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع علىّ وأنـا على بعض ذنـوبى فيمقتنى ، فقـال : وعـزتى وجـلالى لا غفـرت لك .

وقال الفضيل : انى لا اغبط ملكاً مقرباً ولا نبيـاً مرسـلا ولا عبـداً صالحاً ، أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة ، انما اغبط من لم يخلق .

وروى أن فتى من الأنصـار دخلته خشية النار فكان يبكى حتى حبسه ذلك فى البيت ، فجـاء النبى ﷺ فدخل عليه واعتنقه فخرّ ميتاً فقال النبى ﷺ : « جهـزوا صاحبكم فان الفرق من النـار فتـت كبـده » وروى عن ابن أبى ميسرة أنه كان اذا اوى الى فراشـة يقـول : ياليت امى لم تلدنى فقالت امه : يا ميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك ، هداك الى الاسـلام ، قال : أجـل ، ولكن الله قـد بيّن لنـا أنـا واردوا النـار ولـم يبين لنـا أنـا صادرون عنهـا .

قيل لعطاء السلمي في مرضه : الا تشتهي شيئاً ؟ فقال : ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعاً للشهوة ، ويقال : أنه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة ، وأنه رفع رأسه يوما فانفتق في بطنه فتق ، وكان يمس جسده في بعض الليالي مخافة ان يكون قد مسخ ، وكان اذا اصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال : هذا من أجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس .

قال عطاء : خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهر العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ ، وكأنهم خرجوا من القبور ويخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين ، فبينما يمشون اذ مر بمكان فخر مغشياً عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً فجيء بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال : اني ذكرت انني عصيت الله في ذلك المكان .

وقال صالح المري : قرأت على رجل من المتعبدين ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله واطعنا الرسولا (١) ﴾ فصعق ثم افاق فقال : زدني يا صالح فاني أجد غماً فقرأت : ﴿ كلما ارادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها (٢) ﴾ فخر ميتا ، وروى أن وزارة بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ ﴿ فاذا نقر في الناقور ﴾ خر مغشياً عليه فحمل ميتاً .

ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال ، عظني يا يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين اعلم انك لست بأول خليفة يموت ، فبكى ثم قال :

---

(١) سورة النور : ٤٤ .
(٢) سورة الحج : ٢٢ .

زدنى ، قال : يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب الا ميت ، فبكى وقال : زدنى يا يزيد ، قال : يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل ، فخر مغشيا عليه .

وقال ميمون بن مهران : لما نزل ﴿ وانّ جهنّم لموعدهم اجمعين ﴾ (١) صاح سلمان الفارسى ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدرون عليه ، ورأى داود الطائى امرأة تبكى على رأس قبر ولدها وهى تقول : يا ابناه ليت شعرى أى خديك بدأ به الدود أوّلا ، فصعق وسقط مكانه ، ومرض سفيان الثورى فعرض ماؤه على طبيب ذمّى فقال : هذا رجل قطّع الخوف كبده ، ثم جاء وجس عروقه ثم قال : ما علمت أن فى الملّة الحنيفية مثله ، ورئى الفضيل يوما يمشى فقيل له : الى اين ؟ قال : ، لا أدرى ، وكان يمشى والها من الخوف وحكى ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكى فقالوا : ما الذى يبكيك يرحمك الله ؟ قال : روعة يجدها الخائفون فى قلوبهم ، قال : وما هى ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل .

وكان الخوّاص يبكى ويقول فى مناجاته : قد كبرت وضعف جسمى عن فاعتقنى ، قال صالح المرى : قدم علينا ابن السماك مرة فقال : أرنى شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبنا به الى رجل فى بعض الأحياء فى خصّ له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرات : ﴿ اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾ (٢) فشهق شهقة ثم خرّ مغشيا عليه ، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ، وذهبنا الى آخر فقرات عليه الآية فشهق شهقة وخرّ مغشيا عليه ، واستأذنا على ثالث فقال : ادخلوا ان لا تشغلونا عن ربنا فقرات : ﴿ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ﴾ فشهق شهقة

---

(١) سورة الحجر : ٤٣ .

(٢) سورة غافر : ٧٠ — ٧١ .

وخـــرج الدم من منخريه وجعل يشحط فى دمه حتى يبس ، فتركنــاه على حاله ، فخرجنا فاوردته على ستة انفس كل نخـرج من عنـده ونتركـه مغشياً عليه ، ثم اتيت به الى الســابع فاستاذنا فاذا امراة من داخـل الخص تقـول : ادخلوا ، فدخلنا فاذا شـيخ فان جالس فى مصـلاّه فسلّمنا عليــه فلم يشعر بسلامنا ، فقلت بصـوت عال : ان للخلق غداً مقاماً ، فقال الشــيخ : بين يدى من ويحـك ؟ ثم بقى مبهوتاً فاتحــاً فاهُ شاخصاً بصره يصيح بصـوت له ضعيف : أوه أوه ، حتى انقطع ذلك الصـوت ، فقالت امراته : اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة ، ولـمـا كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى ، واما الشــيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حاله مبهوتاً متحيراً لا يؤدى فرضاً ، فلما كان بعد ثلاث عقل .

وقال الحجاج لسعيد بن جبير : بلغنى انك لم تضحك قط ، قال : كيف اضحك وجهنم قـد سعّرت ، والاغلال قـد نصبت ، والزبانية قـد أعــدّت .

ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر هذا فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد فى بيته فصلّت ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت فى منامها فقالت : يا امير المؤمنين انى والله رايت عجباً ، قال : وما ذاك ؟ قالت : رايت النــار وهى تزفر على اهلها ثم جىء بالصراط فوضــع على متنهــا ، فقال : هيه ، قالت : فجىء بعبد الملك بن مروان فحمــل عليه فما مضى عليه الا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى ، فقال عمر : هيه ، قالت : ثم جىء بك والله يا امير المؤمنين ، فصاح صيحــة خــر مغشياً عليه ، فقامت اليه وجعلت تنادى فى أذنه يا امــير المؤمنين انى رايتــك يا امير المؤمنين انى رايتك والله حتى نجوت ، انى رايتــك والله حتى نجوت ، وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجله .

ويحكى : أن أويس القــرنى رحمه الله كان يحضر عند القاضى فيبكى من كلامه ، فاذا ذكر النــار صرخ أويس ثم يقــوم منطلقا فيتبعه النــاس

فيقولون : مجنون مجنون ، وقال معاذ بن جبل : ان المؤمن لا تسكن روعتــه حتى يترك جسر جهنم وراءه ، وكان طاوس يفرش لــه الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبــة فى المقــلاة ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ، ويقول : طير ذكر جهنم نوم الخائفين ، وروى : انه ما ضحك الحسن أربعين سنة ويرى كالأســير قدم ليضرب عنقــه ، واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها ، واذا سكت فكان النــار تسعر بين عينيه ، وعوتب فى شــدة حزنه فقال : ما يؤمننى أن يكون الله قد اطلع علىّ فى بعض ما يكره فمقتنى فقال : اذهب لا غفرت لك ، فانا اعمل فى غير معتمــل .

وعن ابن السماك : وعظت يوماً فى مجلس فقام شاب من القوم فقال : يا ابا العباس لقــد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالى أن لا نســمع غيرها ، قلت : وما هى رحمك الله ؟ قال : قولك : قطــع قلــوب الخائفين طــول الخلودين اما فى الجنة أو فى النــار ، ثم غاب عنى ففقدته فى المجلس الآخر فلم أره ، فسالت عنه فأخبرت انــه مريض يعــاد فاتيتــه أعــوده فقلت : يا أخى ما الذى أرى بك ؟ فقال : يا أبا العباس ذلك من قــولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما فى الجنــة أو فى النــار ، ثــم مــات ، فرأيته فى المنــام فقلت : يا أخى ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ورحمنى وأدخلنى الجنة ، قلت : بماذا ؟ قال . بالكلمة ، والله اعلم .

فهـرس الجـــزء السـادس عشـر

شـرح النيـل وشـفاء العليـل

« ثـــان »

	ص
باب : فى الزهـد والرغبة فى الاسـلام	٥
فصل : فى اهانة الاسلام وأهله وتعظيم الكفر وأهله	٥١
باب : فى بغض المعروف وأهله والاشر والبطر والغيبة والنميمة	٦٤
فصل : فى الأشر والبطر	٨٣
فصل : فى الغيبة	٩١
فصل : فى النميمة	١٢٤
باب : فى الكسل والعجز والملامة	١٤٢
فصل : فى المـلامة	١٥٣
باب : فى الحب والبغض والتاديب واخراج الحق والحكم	١٧٥
خاتمـــة	١٩٥
فصل : لا يأخـذ المرء حقـه بنفسه ولو اماماً أو قاضياً الخ	٢٠٠
فصل : لا يجـوز حكم امرأة وطفل وعبد وان فى كنفقة ودين لمن لـه ذلك الخ	٢٢٠

ص

باب : فى اللمز والهمز والفخر والمداهنة والمداراة ٢٢٧

خاتمــــــة ٢٧٢

باب : فى الرجاء للعاصى ٢٧٤

باب : فى وجوب الخوف والرجاء ٢٨٣

تنبيهـــــات ٣٠١

مطـابع سـجل العرب

To: www.al-mostafa.com